

جولة

في ادب الجاحظ

بقلم

عادل الزواني

وهي الرسالة التي قدمت للدائرة العربية في الجامعة
الأمريكية ببيروت في ٢٥ / ٥ / ٤٥ لنيل درجة استاذ في العلم

الفهرس المحتمل

الفصل الاول في حياة الجاحظ

- ١- تحقيقات
- ٢- حياته العامة
- ٣- الجاحظ في مترك الحياة

الفصل الثاني في كتب الجاحظ

- ١- تعدادها
- ٢- تحقيق في ذلك التعداد
- ٣- وصفها
- ٤- تقديرها

الفصل الثالث في اسلوب الجاحظ

- ١- اسلوبه التاليفي
- ٢- اسلوبه الانشائي
- ٣- اسلوبه العلمي

الفصل الرابع في مادة الجاحظ

- ١- فن الجاحظ
- ٢- علم الجاحظ
- ٣- دين الجاحظ
- ٤- نظرة وتقدير

الفصل الخامس في نهارس متبوعة

- ١- مصادر الدراسة
- ٢- مصادر الجاحظ نفسه
- ٣- شمره
- ٤- الذين اخذوا عنه

الفهرس المنفصل

الفصل الاول في حياة الجاحظ ١١-٤٩٩ظ

=====

المقالة الاولى تحقيقات - ١١-٤٩٩ظ

(في اسمه) ما هي كنية الجاحظ . ترى ابو عثمان ام ابو عمران . ثم ما هو اسمه . ترى عمرو ام عمر . ثم ما اسم ابيه . ترى اهو بحر ام محبوب ام يحيى ام الجاحظ . ثم ما اسم جده . اهو محبوب ام نزاره ام غير ذلك . سعد هذا ما هي ألقاب الجاحظ . ولماذا لُقّب بالجاحظ . ولماذا بالحدتي . واخيرا ما هي انسابه . لماذا هو الكثاني . ولماذا اللبني . ولماذا النقيبي . ولماذا البصرى . وبالتالي ما هو اسم الجاحظ الكامل المحقق . هذا ما سنعالجه في هذا القسم .

(في نسبه) ترى هل كان عربيا . ولماذا . ام كان فارسيا . ولماذا . ام كان حبشيا . ولماذا . ام كان زنجيا . ولماذا . ام كان غير كل هاته . فان كان لماذا كان . ولماذا كان .

(في تاريخه) متى ولد الجاحظ . واين . وكيف . ولماذا . متى مات الجاحظ . واين . ولماذا . ما هي التواريخ المعتمدة لك . وما هي قيمتها من حيث الصحة .

المقالة الثانية نظرات في حياته العامة - ١١-٤٩٩ظ

(في بدو حياته) كيف كان . في اى الظروف تغلب . واى الصعوبات قاسى .

(في ثقافته) ما هي مدارسه . الكتاب . المسجد . الريد . دكاكين

الوراقين . مجالس الادب . الرحلة في طلب العلم . مدرسة الحياة . ومن هم

اساتذته . الانصارى . ابو عبيدة . الاخفش . النظم . غيرهم . ثم ما هو

✓
نوع الثقافة التي تنفها " العربية . الفارسية . اليونانية . الهندية . غيرها " .
وأخيرا ما هو وزن هذه الثقافة من حيث قيمتها العلمية .

المقالة الثالثة الجاحظ في معترك الحياة ————— ٤٥-٤٦

(من كبار الدولة) مع المؤمن . مع ابن الزيات . مع ابن أبي دواد . مع
ابنه . مع الفتح بن خاتان . مع غيرهم . ثم أثر هذا عليه .

(نصيبه من الحياة) المال . ماذا أصاب منه . والجاه . لاي حد اظله .
والمرکز الادبي . لاية درجة صعد فيه . وأخيرا ماذا أفاده كل ذلك .

(اخلاقه وشماله) قبل هذا . ما هو وصفه الشخصي . وما الروايات الواردة
فيه . ولماذا اضاف اليه السندوقي لحيّة . — ثم لماذا هو عادل . ولماذا كريم .
لماذا احب الحياة . وماذا قال الخير فيه . ثم واقعيته . ما القول فيها . والى
اي حد اثرت في ادبه وعلمه ونظراته في الدين . وأخيرا ما القول في جدّه . وما الرأي في
هزله . والى ايهما هو في طبعه أميل . وهل كان له غير هذه من اخلاق يمكن الإشارة
اليها .

الفصل الثاني في كتب الجاحظ ٥٠-٥٨

المقالة الاولى في تعداد كتبه ————— ٥٠-٥١

وفي هذا التعداد راعينا إثبات وجود الاسم للكتاب . سواء بذكره . او
بوجود مخطوطة له . او بكونه مطبوعا . او باجتماع اكثر من عامل من هذه الثلاثة .
فكان لنا ٢٨٥ كتابا .

المقالة الثانية في تحقيق هذا التعداد ————— ٥١-٥٢

(هو باسم غيره) ترى هل كتب هو باسم غيره . ولماذا . ثم من هم الذين كتب
باسمهم . وما هي الكتب التي كُتبت بهذه الصيغة .

(كتب مفردة باسماء متعددة) ماهي هذه الكتب . وما هي اسباب ذلك الالتباس

" التصحيف . التعريف . تبديل ماهية الكلمات . تبديل اماكن الكلمات . نقل
المعنى دون التفتيد بنسب المبنى . اشياء اخرى " . وبعد هذا ما الرأى في كل التباس
من هذه . وما تحليله الخاسر بعد العام .

(غيره باسمه) ترى هل كتب غيره باسمه . ولماذا . وما هي الكتب المنسوبة اليه
ولماذا ترى نحن ذلك في كل منها .

(التي ضاعت) لماذا ضلعت وهل نعرف عنها شيئا .

(والخلاصة) كم كتابا نستطيع ان ننسب للجاحظ . (١٥٢-١٦٤) .

المقالة الثالثة في وصف كتبه - ٩٠-٩٩

(الرئيسية) الحيوان . ثم البيان . ثم الخلا . ذُكر كل منها .
مخطوطاته . طبعاته . ما قيل فيه وما كُتب عنه . وصف مادته حسب اجزائه ببعض
التفصيل . نظرات وخطرات على هامشه .

(العائنية) رسائله المختلفة مرتبة حسب الترتيب الأبجدي . وقد كان لنا منها
اربعون رسالة تختلف كل منها عن الاخرى من حيث اهمية النظرة اليها .
(المنسوبة) خصوصا التاج والحاسن .

المقالة الرابعة في تقدير كتبه - ١١٥-١١٧

(سعة انتشارها) من أدلتها واهميتها .
(غزوات اعدائها) مع امثلتها وقيمتها .
(خطرات انصارها) مع امثلتها وقيمتها .
(والنتيجة) "كتب الجاحظ تُعلم العقل اولا والادب ثانيا" .

الفصل الثالث في اسلوب الجاحظ ١١٨-١١٩

=====

المقالة الاولى في اسلوبه التالي - ١١٨-١٢٤

(النظرى) اعرف كلامك . وض فكرتك . اختر ساعتك . ابدا بالكتابة

مبسلا ومحمدا . لكن حذار من الغرور . والفجس . والانانية . ونقدات فارث .
وعدها امراض متوجك على من عركوا الحياة . وشاورهم في الامر .

(العملي) كان يختصر لثلا يُبل . ولخصر ليجع المتباعد . ويكرر لكي
يُرسخ الفكرة . وشرح لكي يجلو الغامض . ويستفرد لينوع . ومعنى ليرطب الجد .
ومعد ليشوق . ومائل فارثه ليُبقيه متنبها . ومخاطبه ليُثبِت منه على صلة . واحيرا
كان يُحجِم عن ابداء رايه الخاص خوفا من نفور القارئ .

كل هذا بالاضافة الى مسائل ميكانيكية لم يستغن عنها مثل " البسطة
والحدلة . والدعاء للقارئ . وذكر غرض الكتاب . وسرد قسم من مادته . والتنويه
بكتبه السابقة والاحقة في جزئيات الكتاب " . بالاضافة الى ثنائية لم يتخلص منها
برزت واضحة في كل ما كتب .

(أثره) من هم الذين تأثروا به . واين + وكيف . ولماذا .

المقالة الثانية في اسلوبه الانشائي - ١٩٤ - ١٦٩

(اسلوبه الخاص) ومعني التوازن . ما هي مميزات " الفاظ رشيقة . جمل
قصيرة . نفس طويل . جمل مترادفة . كلمات مكررة . اضباب . ايجاز . قم توازن
يختلف باختلاف المقام " . ما هي مواضعه / مرافقاته " قلة المحسنات . مطابقة القول القول .
الوحي والاشارة . بروز الشخصية " . ما هي مواضعه " الرسائل . المقدمات . المواقف
المعاطفية . المواقف الوصفية " . رواد التوازن " من هم . وفي اي المراجع " . فضل
الجاحظ فيه " انه بلوره وسواء اسلوبا " . اتباع التوازن " من هم . وفي اي المراجع " .
واخيرا نقد التوازن " من حيث هو اسلوب قائم بذاته " .

(الجاحظ والأساليب الاخرى) الجاحظ " الكعب " لماذا احبته العرب .
لماذا كرهته . ما هو موقفه الخاص منه " . الجاحظ والترسل " لماذا لم يحجم عنه . واين
كان يتوسل " . الجاحظ والرمزية " هل عرفها . وما هي رمزيته . وما قيمتها " .

(فلسفته في الاسلوب) الاسلوب هو الرجل . الاسلوب هو الموضوع . لا

بل هو مزيج من عنصرين فحين هما الذاتية والموضوعية .

المقالة الثالثة في أسلوه العلي - ١٧٠-١٨١

- (كان يحق) ما هي الأدلة . وما هي البراهين . النظرية العامة . والعملية الخاصة .
 (لم يكن) كذلك . لماذا .
 (كان يعرج) لماذا كان هذا صحيحا .

الفصل الرابع في مادة الجاحظ - ١٨٢-١٩٣

المقالة الأولى في فن الجاحظ - ١٨٢-١٩٣

- (النقد عنده) نقد اللفظة بحد ذاتها . نقد علاقتها بالمعنى . نقد علاقتها بالبيئة . نقد علاقتها بأخواتها في الجملة . ثم ما هي المقاييس أو الخطرات النقدية التي يمكن استنتاجها من أثاره الكثرة . وهل هناك غير * الوضع والإيجاز وعدم التكلف .
 (الجاحظ واللغة) مظاهر اهتمامه باللغة . سعة اطلاعه عليها . مع بحث في معرفة الجاحظ للفارسية أو عدها .
 (الجاحظ وفقه اللغة) هل عرفه . ما قوله في أصل اللغة . ثم في بدئها . ثم في جذورها . وتطور تلك الجذور . ولم الأصوات ماذا قال فيه . واللهجات ما رآه في تلاحقها . ودراسة القوم بدراسة لغتهم إلى أي حد . برز فيه .
 (الجاحظ والشعر) هل قال الشعر . وما القول في شعره . ثم ما رآه هو في تعريف الشعر . وفي قديمته . وفي ترجمته . وفي سرقة . وفي التوليد فيه .
 بالاهافة إلى وحدة القصيدة . وضرورة انتظام عقد أبياتها .
 (باقي الفنون) الخطابة . ما شروطه في الخطيب . وما نقداته للخطبة .
 ثم القصة . ما ميزات قصته . وهل نستطيع أن نسيه قصاصا . ثم حكاية هزله وأدبه الكشوف . ما القول فيهما . لماذا اغرم بهما . وأولع بدرعهما . هل من سبب . وما قيمة ذلك السبب في ميزان النقد الصحيح .

المقالة الثانية في علم الجاحظ - ١٩٤-٢١٧

- (علم الحياة) ما رآه في النشو^{الحياتية} والارتقا^{الحياتية} . وما قوله في مجانسة البيئة^{الحياتية} .

والتعاون بين الحيوانات . هل لاحظته . والتهجين في الوراثة . هل أدركه . والتوالد ^{Parthenogenesis} . هل تكلم عنه . وسنة تنازع البقاء ^{Survival of the fittest} . ما قوله فيها . وعلم الحياة الترتيبي ^{Biogenetic} . ترى هل عرفه الجاحظ . وبعد هذا ما فضل الجاحظ في كل من هذه . وما معيار يمكننا ان نزنها .

(علم النفس) . وحب شيء الى الانسان ما منع . وشبهه الشيء متجذب اليه . والمزج ^{Mix} يجهل عيب نفسه . الى جانب ميل الانسان للتأله . وضعفه النفسي . وغيرها كثير كلها قواعد نفسية عرفها الجاحظ . وتكلم عنها . لكن ترى ماذا قال ^{What he said} .

(علم الاجتماع) الجاحظ والرواة . الجاحظ والأمامة . الجاحظ ونظام الطبقات ترى ماذا قال فيها . وبأية عين نظر الى كل منها .

(علم الاخلاق) ترى ايريدها دنيا تَبْذُل . ام دنيا تَرْتَمُت . ولماذا .

(علم التاريخ) الجاحظ لا يريد التاريخ وصفا لاعمال الرجال بقدر ما يريد تحليلا لنفسياتهم وتبينا لعلاقاتهم ببيئاتهم . يريد تاريخا اجتماعيا انسانيا . فلماذا .
(تقديره كعالم) ...

المقالة الثالثة في دين الجاحظ - ٢٩٨-٢٩٩

(موقفه من القرآن) . كيف . ماذا قال في خلقه . وكيف نظر الى تفسيره . وكيف عالج مسألة اعجازه ...

(من الحديث) لماذا اُسِّم بالوضع وهدم التحقيق . بماذا دافى عنه انصاره . واخيرا ما حقيقة الامر في موقفه من الحديث .

(من الفقه) ما رأى الجاحظ بالمرأة . وحبها بها . ومزاجها . واختلاطها . ما قوله في الفناء . ثم بمسألة المشروبات الروحية . ثم بمسألة اكل اللحم . واخيرا ما قوله في الرقيق تلك المشكلة التي لعبت دورا هاما في العصر الوسطي . ثم ما رايه بالفلسفة الدينية . " حرية الطبائع القضاء . والقدر . نبات البوهر . المعارف " . واخيرا عن اى الطرق وماى الوسائل وكيف كان يحاول الجاحظ التوفيق بين الدنيا والدين . العقل

المقالة الأولى = تحقيقات

ان عطيما مثل الجاحظ تجاوزت اسمه كثير من الافلام وتداولت ذكره اكثر الالسن ، وتقلب هو نفسه في ظروف جداً متغيرة ، لا يُستغرب عليه ان تكرر التحريفات في اسمه او الاراء في نسبه ومثلها الاقوال في تاريخي ميلاده ووفاته . ولهذا خصصنا هذا المقال لاطهار كل من هاته على حقيقتها جهداً المستطاع .

اولا تحقيق في اسمه

تكاد تُجمع جميع المصادر التي رجعنا اليها في هذه الدراسة على انه (ابو عثمان عمرو ابن بحر بن محبوب = الجاحظ الحذفي - الكناي الليثي الفقيهي البصري) . لكن سوء النسخ تارة وحُب السرعة اخرى عطلتا كثيرا في هذه التسمية فحرفناها بعض التحريف مما لا نستطيع معه الا ان نشير اليه .

١ - كنيته = روى ابن عساکر في تاريخه ان الجاحظ قال (نسيت كنيتي ثلاثة ايام . وعندما سألت عنها . قالوا لي انك تكني ابا عثمان^١) . وقال الجاحظ نفسه في مواطن متعددة من كتيبه عندما كان يحب ان يشير الى نفسه اما براءى خاص او ببناسبة خاصة (قال ابو عثمان^٢) . وعلى هذه التكنية اكثر^٣ التابعين من امثال المسعودي في مروج^٤ه وايقوت في معجمه^٥ وابن خلكان في وفياته^٦ وغيرهم كثير .

الا ان الوحيد الذي كان قد هُذ عن هذا الاجماع هو ابو النداء^٧ في تاريخه^٨ ومن ثم ابن الوردي في مختصره^٩ . ان كنياء بابي عمران بدل ابي عثمان .

اما نحن فلا نرى في هذه التكنية اكثر من تحريف نسخي مفضي للتكنية الاولى . وذلك لاسباب . منها اجماع كل المصادر التي طالعناها على التكنية الاولى وانفراد ابي النداء وحده بهذه . الثانية . ومنها شدة الشبه الشكلي بين التكنيتين (ابو عثمان وابو عمران) مما يُعيننا على الاخذ بمنظورية التحريف النسخي . ومنها ايضا تأخر ابي النداء في الترتيب الزمني وانفراده بهذا الخلق الجديد مما يضعف روايته .

٢ - اسم = هذا من حيث كنيته . اما من حيث اسمه فقد قال هو بنفسه

وأجمعت اغلبيّة المصادر على ان اسمه كان "عمرو" . وقد قيل ان الجاحظ كان يحبه ويتشيع له وحتّز به . حتى انه كتب رسالة كاملة "في من يسمى من الشعراء عمرواً" . لينبئ "وجهة" الاسم و"رغب الناس بتسميته به" فيصرونهم عن "الجاحظ" الذي قيل انه كان يكرهه ومفقه وأنف من سماع الناس ينادونه به^١.

نقول على هذا اكرية المصادر . الا اننا وجدنا اننا البحث ان ابا الفداء^٢ يسميه

"عمراً" بحذف الواو ومثله ابن الوردي^٣ . كدنا نري بهاتين الروايتين عرض الحائط ونتهم صاحبيهما بمؤ النسح ثانية لولا اننا وجدنا ان فون ثلوثين طابع "الحاسن والاضداد" يشير في هامش الصفحة الاولى منه الى ان مخطوطة "م.پ." من مخطوطات الكتاب شئت المؤلف "عمراً" ايضاً بحذف الواو . فعدلنا عن السرعة وعدنا نحقق وتدقق ونقارن ونقابل بين كل ما وصل الينا عن اسمه .

لكن الوقت لم يصل حتى عدنا والايمان يعمر قلوبنا بالنتيجة الاخيرة وهي ان طُرُح الواو كان خطأً نسخياً لاسيما وان ابا الفداء ومثله ابن الوردي كانا متأخرين وان مخطوطة م.پ. هذه متأخرة في نسخها كما يدل تاريخها . هذا اذا ثبت وصح ان الكتاب نفسه للجاحظ . وعلى هذا فاسم الجاحظ هو "عمرو" ولا شيء سواه .

٣ - اسم ابيه = هذا عن كنيته ومن اسمه . اما اسم والده فقد عُرباه "بحر" .

وعلى هذا هو نفسه في المواضع التي ترمض فيها لذكر اسم والده في كسبه^٤ . وعليه ايضاً اكر المصادر التي تجد سردها في مكان اخر .

الا ان هناك تغييرات حدثت بخصوصه لا بد من اقامتها لانارتها . فالبيدادي

في نزهة سماء^٥ "يحيى"^٦ . والسيوطي في يغبته سماء^٧ "حبيب"^٨ . في حين اتفق كل من ابن حزم في ملله^٩ وحاجي خليفه في كشف ظنوننا^{١٠} انه "الجاحظ" . وهكذا تتفرق المصادر وتتمايز التسميات .

اما نحن فلا يسعنا امام الاجماع الاول الا ان ننكر "يحيى" الذي اتانا به

البغدادي ونقول عنه انه ليس اكر من تعريف غير مقصود "لبحر" لا سيما وان وجه الشبه

الشكلي بينهما قريب جدا . وننكر الى جانب ذلك ان " محبوب " ايضا ومنله " الجاحظ " على انهما امكانيتان لاسم والد صاحبنا . ذلك لانه يكاد يكون واضحا لكل ذى عينين ان الاول اسم جده . أو على الأقل ليس اسم ابيه ، في حين ان الثاني هو لقبه الذى عُرف به وُلِّب عليه . إنما كانت السرعة وحسب الاختصار في سلسلة النسب هما اسسبب في مثل هذا التشويه . ومنل هذه السرعة وذاك الاختصار معروف ولا يزال متداولاً حتى اليم ما لا يحتاج لتطول شرح .

٤ - والان تنتقل " لمحبوب " هذا الذى قيل عنه انه كان اسما لجده الجاحظ عسانا نبين ما فعلت به يد الأيام .

يقول الجاحظ في اكر من مكان من كعبه : وتتفق اغلبية الذين كتبوا عنه فيما بعد ، على ان " محبوب " بهذا الشكل وهذا الرسم . كان جده .

لكن هيهات لعقد ان يتم انتظامه . ففي حين تجمع هذه الاكثية الساحقة على هذه التسمية ، يقول يموت بن العزق - وموت ارب المقربين الى الجاحظ واعلم الناس بذخائمه (ان جده الجاحظ كان اسمه فزاره وكان جمالا لعمرو ابن قلع الكاشي^١) . في حين يحذف هذا الاسم ولا يأتي له على اى ذكر كل من ابن حزم وابي الفداء والسيوطي وحاجي خليفة . وهكذا تقع في مشكلة تحقيق اسم جده بعد ان كدنا نمر عليها بسلم .

لدينا الان ثلاثة احتمالات = اولها ان اسم جده الجاحظ هو " محبوب " . وثانيها انه كان " فزاره " . وثالثها انه لم يكن له جد . إذ لم يذكر له اسم . لكن ما لا شك فيه انه كان له جد . وان لذلك الجد كان اسم . فما هو اسمه .

لحل المشكلة لدينا ثلاثة اقتراحات = أما الاول فهو ان محبوبا وفزاره ، كانا اسمين صحيحين لجدي الجاحظ من ابيه وامه . على ان يكون الاول هو اسم جده لايه . اما لماذا ذكر جده لاه . فنقول ان يموتا هو ابن اخت الجاحظ . ولهذا لا يُستغرب منه ان لا ينمى ذلك الجد . هذا هو الاقتراح الاول اما الثاني فهو انهما اسم ولقب لاحد جديه . أما لايهما . فلا نعرف . لكننا نرجح ناحية الاب لاخذ اكر العرب بها . اما الثالث فهو انهما اسمان لجدين متواليين من اجداد الجاحظ من جهة ابيه ايضا . اما ترتيبهما المتسلسلي

نحسب* لا نعرفه ولا نستطيع ان نتأكد منه . إنما نرجح ان يكون " محبوب " جده الاول لتواتر الروايات . في حين يبقى ترتيب " نزاره " مجهولا .

واخيرا نخلص من كل هذه المحاولات في توضيح اسم جده ونحن على شبه يقين من ان اسمه كان " محبوب " لا غير .

هـ - لقباء = بعد كل "دوشة" الراس هذه تنتقل لخطوة اخرى وهي التحقيق في ألقابه . للجاحظ لقبان هما " الجاحظ والحقي " . غلب عليه اولهما وُرد به وله به حكايات عليه اجمعت جميع المصادر التي رجعنا اليها دون شذوذ .

سعي صاحبنا بالجاحظ لبحوث عينيه اى برونهما اكر من المعتاد . وقد قيل ان حداثتهما كانتا كبيرتين ايضا ، ولذا لقب بالحدتي . قال الجاحظ (اتيت منزل صديق . نظرت الباب فخرجت الي جاريه سندية . نقلت فولي لسيدك الجاحظ بالباب . فقالت افول الجاحد بالباب . على لفتها . نقلت لا فولي الحدتي بالباب . فقالت افول الحلقي بالباب . نقلت لا فولي شيئا . ورجعت) . وهكذا حُرِّت هذه الجارية لفتي صاحبنا بعد ان سلما من تحريف الكتاب والنساج . وكأنه عز عليها ان يبقى له اسم واحد بدون تحريف .

الا انه قيل ان الجاحظ لم يكن على رضا من هذا اللقب . ان كثيرا ما انتفض عليه وتذمر منه وسماه " الاسم المظلم " . وراح يكتب رسالة كاملة " في من يسمى بالاسم المظلم " . وكانه يريد ان يقول للناس ادعوني بهذا لا بذلك . وما درى ابو عثمان ان لقبه هذا الذي تهرم به سيكون في يوم من الايام لقب " سيد كتاب العربية بلا مدافع " رئيس اوابائهما بلا منازع . وان ابن العميد مع قدره وجلاله سيفتخر ان يتأدبه المقربون منه " بالجاحظ الثاني " . وان ابا زيد البلخي سيكون اعز ما يحرمس عليه لقب " جاحظ خراسان " . في حين ان ابا حسان التوهيدي سيتفنن لو كان له من ابي عثمان ولو هذا الاسم الذي سرق وُرد في المعالمين .

١ - انسابه = واحيرا تنتقل لثالثة الاناثي (نعتي انسابه) اذا كانت اسماؤه والقباه الاولتين . أول نسب نسب اليه الجاحظ هو " الكاثي " . وقد اشار هو بنفسه الى ذلك في الترييح والتدوير عندما قال مخاطبا ابن عبد الوهاب (نوالله لكن ربيتي ييجيله لارمينك

بمكانه ^{١٠٠} أ . وذكره بذلك أيضا ياقوت وغيره كثيرون . اما هل كان هذا النسب لكانه نسب دم أم نسب ولا* - فهو ما سنحاول ان نوضح غامضه فيما بعد .

هذا اول نسب . اما الثاني فهو " الليثي " . الذي انفرد بذكره العبد ^{١٠١} يلز في الكامل ^{١٠٢} دون ان ياتي له بأى تعليل او شرح او تفسير . وقد بحثنا كثيرا لنجد له احد فلم نوفق الا لما قاله الأستاذ كرد علي في امرائه من حيث انه " كان نسبة لليت بن بثر بن عبد ضاة بن كانه بن خزيمه بن مدركة ^{١٠٣} " . اما من اين اتى بهذا الاستاذ كرد . او ما نصيبه من الصحة . فمسائل لا نستطيع الخوض فيها الاك نصرا لانعدام المصادر الاولى من بين ايدينا . لكننا اثبتناه تنمعة للبحث .

وقبل الاخير يأتي نسب ^{١٠٤} نالت هو " النقيمي " الذي لحقه نتيجة لولائه في ال نفيم ^{١٠٥} لطن من كانه كما قال ياقوت في معجمه ^{١٠٦} .

اما الاخير فهو " البصرى " . لقد لصق به هذا النسب لانه ولد في البصرة وامره من الوضع بحيث لا يحتاج لتفسير شرح حتى . لكن الغريب بخصوصه ان يورده ابن حزم بشكل " البصرى " ^{١٠٧} ويورده صاحب فهرس كوبرلي زاده بشكل " البصرى " ^{١٠٨} . ووجه الخطأ في هذا ^{١٠٩} يبين لا يحتاج للكلام . انما الذى يحتاج للكلام وتنبه مستر . هو الحذر كل الحذر من الاغلاط النسخية التي وقع تحت رحمتها كل ما يتعلق بالجاحظ تقريبا .

٧ - الخلاصة = بعد هذا وليس قبله ، نستقيم لنا كيفة الجاحظ واسماؤه والقابيه وانسابه على الشكل التالي = (ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب - الجاحظ الحذني - الكنانى الليثي النقيمي البصرى) . وبعد هذا وليس قبله ايضا ، يستطيع الجاحظ وانصار الجاحظ ان يحمدا الله على ان لم يوضع بين يدى الدكتور طه حسين نينكر وجوده كما انكر وجود امرئ القيس من قبله ، حينما ضاق ذرعه بتعدد اسمائه وكناه ^{١١٠} .

ثانيا تدقيق في نسبه

٢

بخصوص نسب الجاحظ - / لعربيا / أم غير ذلك - تنقسم جمهرة المهتمين بالامر الى ثلاثة مخيمات = افراد الاول يقولون (كان عربيا وعربيا قضا) . وافراد الثاني يقولون (بل كان كل شي * الا عربيا) . في حين يقف افراد الثالث على شبه حياد يقولون (لقد كان مولى ولا علم لنا بأكثر من ذلك) . واليك تفصيل هذا الاجمال .

اما الجماعة الذين يقولون بأنه كان مولى ولا علم لنا بحقيقة ذات الولاء = اكان عن طريق الخدمة او عن طريق الدم ، فهم الاكثية الساحقة من المؤرخين والادباء الذين كتبوا عنه مثل ياقوت في معجمه والسمودي وروجه وابن خلكان في وفياته وغيرهم وغيرهم كثير . وحجتهم في موقفهم انه هكذا ورد عنه ولا علم لنا بأكثر منه . حسبنا انك لحصنا هذه الحقيقة وكنا انا دونها كما حصلنا عليها . لم الخلف يستفيد منها .

اما الفريق الثاني الذي دافع عن عروته فابرز افراده من الحداثيين الاستاذ كرد علي الذي قال في امرائه (هو كاني صليبة خالص النسب) ثم اضاف في مكان غيره (وان كرة اطعمه على ادياب الاجانب لم تنسد عروته) . ثم الاستاذ حسن السندوي في ادبه ان خصص فصلا كاملا للدفاع عن وجهة نظره هذه . اما النقاط التي يعتمد عليها هؤلاء في اتجاهمهم والبراهين التي يقدمونها لدعم مدعاهم فاشهرها واحميا ما يلي =

١ - إنه دافع عن العرب - في وقت اشتداد الازمة بينهم وبين غيرهم . وكان باستطاعته (لو لم يكن عربيا) ان ينضم للفتة الاخرى المناوئة ، مُكْرَمًا مَبْجَلًا من جهتها ، ويدعوا مسنودا من قبل الكثيرين من رجال الادب والسياسة الذين كانوا يحفظون على تلك الفتة . لكنه لم يفعل - وليس هذا بحسب بل راح يوزع الرسائل الطوال في الدفاع عن العرب والظعن في اعدائهم مثل " فضل العرب على العجم " . ولم يتكف بهذا بل راح ينتقم من نوصة للوقع من شأن العرب والحق من اعدائهم وقد اتخذ هذا كدليته طيلة حياته . حتى انه اراد (لو طأه القم الجمل) أن يخصص جميع الجزء الثاني من البيان والتبيين الذي ألفه في أخريات أيامه لنصرة هذا البعد .

٢ - ان ولاه لبني كانه كان ولاه صليبا دميا - وليس ولاه خدمة واسار^{كرو}.

والادلة على هذا ليست معوزة . فالتساب من جهة لم يذكروا واحدا من عائلته وقع في رن او امر او عبودية . واللميون من ناحية يقولون ان العرب كثيرا ما استعملت الولا . بمعنى الخلعة والصحية والعبة وعلى هذا فلا يستبعد ان يكون ولاه للكناني ولاه صبة وصبة لا ولاه خدمة وعبودية^{شرو}.

٣ - كل هذا بالاضافة الى ان الجماز عندما غضب منه وحاول أن يهجمه . لم يجد على لسانه اشقى لثليل قلبه من مهاجمته بما كان يدين به نفسه فقال =
قال عمرو مفلخرا نحن قوم من العرب^{أعزة}
ومرو هذا ه لو لم يكن من العرب لما جَسَّم نفسه مؤونة هذا الفخر .

٤ - قد تكون رواية الجماز ضعيفة نيتحل لها المتحلون الاعذار ويخلفون المطلق لأضمانها ه لكهم لن يستطيعوا ذلك اذا قرؤا في الحيوان الذي خَطَّه الجاحص بقلعه قوله بمواجة ودون اية مواربة (... . ولكي اخذت بهجومه اهل دعوتي ولتي ولنتي وجيزتي وجيزتي - وهم العرب^{أعزة}) . ما لا يستطيع الطعن في عروته بعد قرائته الا كل مكابر من ضياع الوقت إغالة الحاج معه .

هذا ملخص رأى الفريقين الاولين ومُجمل لأهم حججهما . اما الفريق الآخر فيرى أن الحقيقة نالت كلا القومين وأن الجاحظ في الحق كان كل شيء الا عربيا . وحججه في هذا اولا سلبية للرد على افوال السابئين وثانيا إيجابية لزيادة توفيق ودعم ما يقولون به . واليك أهمها =

(١) - إن دفاع الجاحص عن العرب لا يُعد حجة لعمومه . ذلك لانه في الوقت الذي دافع فيه عن العرب وطمع في اعدائهم كما ذكروا ه كان قد دافع عن الموالي وطمع في العرب ايضا كما يظهر من رسالتيه (فضل الموالي على العرب وفضل الفرس على العرب) . هذا من جهة ، اما من اخرى فان الجاحظ رجل عرف بمهارته في سوق الاضداد واغتنام حوادث البيئة ومجريات الأفكار ه وقد كتب في مدح النبيذ كما كتب في ذمه وكتب في الهزل كما كتب في الجذ ه وكتب في غيرها كثير . ومن الغريب ان كلا الفريقين يتخذ افواله حجة على الفريق الآخر . وعلى هذا فلا يستبعد ان تكون كتاباته في هذا الموضوع من هذا النوع " الضددي " . ولهذا لا نشق بها

كما انه يجب ان لا يُعتقد عليها - وما لنا نبعد كثيرا وهو نفسه ينزل في مقدمة الحيوان ما معناه " لا تحكموا علي بما اكتب والا كنت نصرانيا عندما قلت في حجج النصارى . وكنت شيعيا عندما فصلت مذاهب الشيعة . وكنت مفتيا عندما أفضت في المغنين وَفَضَلْتُ صُنْعَتَهُمْ ، في حين اني ابعد الناس عنهم اجمعين^{٧٤} .

وعلى هذا فدفاع الجاحظ عن العرب لا يجوز اتحاذه حجة لعمومه .

٢ - أما مسألة ولاثة لكائة . آدميا كان ذلك أم للخدمة . فامر لم يستطيعوا إثباته عليها . ولذا راحوا تارة يشتبهون بأفوار سلبية من النسب وأخرى يستجدون بتفسيات متوفاة من اللغويين . مما لا يُثبت حقا ولا يُقيم حجة في باب البحث العلمي الصحيح . - ولا لنفرض ان النسب لم يذكروا واحدا من اسله قد أسر . لكن هل يضمن لنا القوم = أولا ان هو لا النسب قد قالوا كل ما يتعلق بالجاحظ . وثانيا انهم هم أنفسهم قد اصلحوا على كل ما قال اولئك النسب أنا كليل بأن شيئا من ذلك لا يمكن الاجابة عليه ايجابيا . هذا من جهة ، أما من أخرى فان اللغة وخصوصا العاطفة منها لا وزن لها في ميادين مثل هذه ما لم تدعمها أدلة قوية أخرى يُعتمدُ بها مثل المنطق على الأقل .

لهذا نقول إن مسألة الولاة التي حاولوا ان يستعينوا بها خانتهم اذ نهبت الفريق المتأوى اليها فاستفاد منها اكثر منهم . فجميع المصادق التي استعنت بها على ان الجاحظ كان مولى ، وان والده كان مولى ، وان جده كان مولى . واذا اضفنا الى هذا ، ان مصدر هذه الروايات جميعا هو ابن اخت الجاحظ وتلميذه القريب اليه ولعرب الناصريه (نعني يعقوب بن العزق) . سهّل علينا ان نتصور الى اي حد كان نسب صاحبنا في الخدمة عريقاً ، والى اية درجة كان تعلقه في الولاة قديماً . وسهّل علينا ايضا ان نتصور انه ما من عربي قُح يستطيع ان يبقى في ذل الولاة ثلاثة اجيال متوالية ليخرج بعدها ويقول بكل قسوة " انا عربي صليبة " .

لقد حاول العروبيون كما مر معنا ان يفسروا الولاة بالحب والصدانة ... السح لكهم نسوا او تناسوا ، ان ما كان صحيحا وقيا من جهة اللغة ليس من الضروري ان يكون كذلك من ناحية الواقع . ولو كان كذلك لكان مهزلة يحرم الجاحظ على البعد منها كل الحرص . اذ من غير الواقع ، بل من غير التعارف عليه ان يُحِب الكاني جد الجاحظ وَخُلِيل له الخلّة وَتَوْثُق بينهما

عري المودة والاخاء ، لا ليرفع من مقامه وعلني درجته عنده - إنما ليرعيه جماله . وزيد فيتمسك بولده وولد ولده ثلاثة اجيال متتابعة . . نقول إن مثل هذا غير متعارف عليه والا لعن الله ذلك الحسب . وتبا لتلك الصدافة التي تؤدى بصاحبها الى مثل هذا .

٣ - إن الجاحظ كان أسود اللون . وكذلك كان جده كما تقول الروايات

كلها . وما لا شك فيه ان والده كان كذلك . اذن ثلاثة اجيال متوالية من العائلة الجاحظية كانت قد اصطبغت باللون الاسود . وعلى هذا فالسواد أصيل في نسب الجاحظ ولا يمكن ان نعه دخيلا ابدا حسب أبسط قوانين الوراثة المندلية . - لكن العرب فهم ليسوا سودا . اذن فالجاحظ ليس عربيا حسب أبسط قوانين المنطق الارسطوطاليسي . اما الى اية درجة هو ليس عربيا فمسألة فيها خلاف كبير . فقد يكون مغموز النسب من جهة أمه . وقد يكون من جهة ابيه . وقد يكون من كليهما . كما قد يكون من جد واحد . او من عدة اجداد . مما يصعب التحقيق فيه . ولذا نتركه لنقول إن الجاحظ لم يكن عربيا صليبة .

لقد حاول المرويون ان يحتجوا لسواده بقولهم إن السواد لون شائع في العرب وانهم مدحوه وفخروا به ، وان اغرستم كلهم سود وهم عدد كثر . . . - لكن هؤلاء لثاني مرة نسوا او تناسوا ان اكثر هؤلاء الأغربة مغموزا النسب من جهة الامهات كما افروا هم بانفسهم . ونسوا ايضا ان هؤلاء الاغربة قد يكونون عربا ويفخرون بعروبتهم - لكن لا على انهم عرب افحال ، وانما على انهم عرب تيج . وقد كان من هؤلاء جم غفير . . ونسوا ايضا او تناسوا ان بحننا هنا بحث علي ببولجي بحث . وليس بحسولا وتبعية . اذ ان ميدان الاول ضيق جدا ولا يقبل الا القليل النادر من اناس مروا بامحان دقيق ، في حين ان الثاني (التبعية) اوسع ، وصدره ارحب وبالرغم من اننا لا نعتبه ، ~~في الجاحظ~~ وأنه قد حاس لنا ان نستعمل العلم الصحيح في تحقيقاتنا ونزوي جانباً اساليب المهد القديم من رواية وسماع تعتمد على الاهواء اكثر من اعتادها على اساليب العلم الصحيح .

٤ - إن الجاحظ سكت عن نسبه . في وقت كان الكل مخلوق فيه يفترعن

نسب يابوى اليه . والجاحظ حكى بنفسه أنه صَنَعَ أنساباً كثيرة لأناس كثيرين سألوه ذلك منها ما جاء في البيان والتبيين حيث قال (كان يحضر لي رجل نصيح من المعجم . فقلت له هذه الفصاحة وهذا البيان - لو ادعيت لقبيلة من العرب . لكت لا تنازع فيها . فاجابني الى ذلك . فجمعت

احيظه نسباً حتى حفظه وهذه هذاً . نقلت له = الآن لا تتعلمنا . فقال سبحانه
الله ان فعلت ذلك اني اذن ^{سأعذبك} . فاذا كان هذا صحيحاً وهو الصحيح - لانه رواه بذاته ،
للهم! فلماذا يصنع للغير وترك نسبه تتناوبه الالسن . ترى ايقل = لانه كان علم في
رأسه ناراً . وهو في الحقيقة لم يكن . ام لانه كان اضعف من ان يصبر به . وهو الظاهر .

في الحيوان قال الجاحظ = (ان العرب تفضل البرابرة والزنج السود لورعاية
البلهم) . وسكت عن كل لا او نعم بخصوص جده . وهو يعلم كل العلم بل كان ادرى الناس ،
بان هذه الجبله مستثير حول نسبه شبهات كثيرة . لا سيما وان جده كان اسود اللون وكان
جمالاً لمعرووس قلع الشامي . لشه مع ذلك سكت . في حين انه عندما ذكر هجاء لشخر
اسمه الفتي في البيان لم يتمالك الا ان يقول (ولا عبرة بهذا الهجاء لان بني نعيم كانوا قد قتلوا
اباه غالباً) .

بالطبع نحن لا نفوز ان مثل هذه الاشارات تثبت عدم عروته (بمفردها) . انما نقول
اولاً انها اشارات قوية . وثانياً اننا بالتعاون مع اخواتها تكوّن برهاناً قوياً على ان الرجل بان معمر
العروة من ناحية التسمية وكان جداً ضعيفاً من ناحية الدم .

هـ - هذا ونحرم ان لا يغوتنا قبل الفراغ من هذا القسم ان نفهم اولئك القم
ان ما ذكروه من قول الجمار على لسان الجاحظ ، وما اردوه من كلام الجاحظ نفسه في الحيوان ، وما
أستطيع ان اورد لهم الكثير من امثاله مما غفلوا عنه وقد حمله الجاحظ - نقول نحب ان نفهم
ان هذا لا يعتمد به البتة . لانه مادام من كلام الجاحظ هـ في هذا الموضوع ، فهو اما ان يحمل على
محمل الجسد ، اى ان الجاحظ قاله وانه كان جاداً فيما قال . سواء صحت روايته او اخطأت
واماً على محمل الهزل ، ان صحت أو اخطأت كذلك . اما الاول . فمن نبي دفاعه عن العرب الذي
اوردوه سابقاً ويُنْتِظاً بطلانه . واما الثاني فانه قيمة له بالمره ، لاننا "بالكاد" نقبل الجسد فما نقل
في الهزل خصوصاً في مسألة خطيرة مثل هذه . اى اثبات نسب الجاحظ .

من هذاتوى ان الجاحظ لم يكن عربياً ، كما انه لم يكن فارسياً لان الفرس كالعرب ليسوا

من الجنس الاسود انما كل ما نمرته عنه انه كان اولاً اسود وثانياً مولى . لكن من اى سود الموالي
كان . او بالاحرى اين وطنه الاصلي الذى جاء منه . فامر سنحاول ان نبين غامضه فيما يلي =

نحن نعتقد ان الجاحظ لم يكن عربيا للأسباب التي مر ذكرها . كما اننا نعتقد
ايضا انه لم يكن فارسيا لذات الاسباب تقريبا . بالإضافة الى اعتقادنا انه لم يكن حبشيا
لانه ذم الاحباش "بلكا وجنسا في البيان والتبيين حيث قال (فار حكيم بن عمار الكلبي

الم يك ملك ارض الله طرا لاربعة له متميزنا

لحمير والنجاشي وابن كسرى وقصر غير قول المتمرنا

فما ادري باى سبب وضع الحبشة بهذا الموضع . اما ذكره لحمير فان كان انما ذهب الى تبّع نفسه
في الملوك فهذا له وجه . - وأما النجاشي فليس هو عند الملوك في هذا المكان . ولو كان
النجاشي في نفسه فور تبع وكسرى وقصر لما كان احد ملوكه من الحبش في هذا الموضع . وهو
لم يغضب النجاشي لمكان اسلامه ، يدل على ذلك تفضيله لكسرى وقصر ، وكان وضى كلامه على
ذكر الممالك ثم تروى المالك واخذ في ذكر الملوك (.) . كما نعتقد ايضا انه لم يكن زنجيا لانه سخر
بالزنج في الحيوان اذ ضعمهم الى الكلب في قوله (اطيب الافواه نكهة واشدها عذوة واكرها ريفا
انواه التّونج . والكلاب من بين السباع اطيب انواها منها ^{١٤٧}) . فانظر كيف قرن الزنج بالكلب .
وفي مكان اخر ذم بانفخهم وفي ثالثهاهم تركيب اجسامهم ^{١٤٨} . ومن كل هذا نستنتج انه لم يكن
عربيا ولا فارسيا ولا حبشيا ولا زنجيا . اذن من اى سود الموالي هو .

لدينا اقتراح نجح ان نلقي به في معترك الاخذ والرد لشهر قوّته على البقاء
وقدرته على الحياة . وهو ان الجاحظ يبرى من برايرة افريقيا الذين نزحوا الى الجزيرة واقاموا
مدة في اليمن او في الجنوب على العموم . ثم نزحوا الى الشام بعد ان عرت الافاليم . ودليلنا على
انه يبرى من افريقيا اولا سواده . وثانيا باقى وصفه الشخصي الذى وصلنا من حيث احمرار عينيه
وغلظ شفتيه وتجمد وجهه وقصر عنقه وغيرها وغيرها . وثالثا ان افريقيا هي اقرب الامكانيات
وذلك لقربها من الجزيرة جنرايا ولتأكدنا من انه كان بينهما تجارة من قديم الزمان . ولهذا
فلا يُستغرب ان يكون أحد اجداده قد جاء واقام في اليمن مدة . اما لماذا اليمن . فلانها مع
حرمته للرسول ومع استغراقه مرته في مدحه ومع وضعه ايساء فوق الجميع ، لم يستطع عندما احتدمت
العصبية في راسه الا ان يكتب رسالة كاملة يغض فيها القحطانية على الكنانة وسائر المدنانية .
وهذا لا يكون من ابي عثمان الا بواز قوى .

على كل - هذا ما توصلنا اليه بخصوص نسب الرجل . فتأكدنا أولاً بأنه كان
اسود وثانياً من انه كان مولى . وثالثاً من انه لم يكن عربياً . واخيراً ملنا الى القول بأنه كان
من سواد اتريقيا النازحين . والله اعلم بالصواب .

ثالثاً نظرة في تاريخيه

روى ياقوت ونالت جميع المصادر التي اطلعنا عليها ان وفاة الجاحظ كانت في
يوم لم يُعرف تاريخه . من شهر الحرم ه سنة ٢٥٥ في البصرة لا في غيرها كما قال البعض ^{٢٥٥ هـ}
كان هذا الاجماع جيلاً من ناحية لانه يدور على أهمية الرجل عند موته وتقدير القوم له بحسب
تاريخه بدون تغيير او تبديل . وفيه من آخرى لاننا بحث باقي الروايات عليه ، ومنستطيع في
الفقرات التالية من تعيين تاريخ ميلاده الذي تنسارت فيه الروايات وكثر فيه الحذف والتخمين ،
حتى اضحى ضرباً من الحذف والتخمين .

روى ياقوت في معجمه ان الجاحظ قال (انا أؤمن من ابي نواس بسنة .
ولدت في أول سنة ١٥٠ وولد لي اخراً ^{١٥٠ هـ} . وعندما قرأ الاستاذ السندوي هذه الرواية
بهذه السراحة والوضوح ، وَضَحَ القلم وقال (اذن هذا هو الصحيح وليس بعده نمر) .

لقد خُذع الاستاذ السندوي بظاهر القول . ولو كَفَّ نفسه قليلاً من منقذ
البحث لما اطمأن الى مثل هذا التاريخ المغلوط ولما قَبِلَه بهذه السرعة - فان الجاحظ (على
نور صحة الرواية) إنه اشترت مع ابي نواس في تاريخ الولادة . وقال ايضاً ان ذلك التاريخ المشترك
كان سنة ١٥٠ . والآن نضع الشق الثاني (اى سنة ١٥٠) . على الورق ، لنأخذ في تحقيق
الاول (اى اشتراكه مع ابي نواس في تاريخ الولادة) لنرى الى اي حد - صحيح .

قال الانباري ولد ابو نواس سنة ١٣٦ . وقال طابى ديوانه ^{١٣٦ هـ} على جميع بل ولد
سنة ١٤١ . وقال ابن خلكان لا بل سنة ١٤٥ . وحاول الاستاذ السندوي ان يتغاضى
عن كل هذه التروقات الواسعة فقرر انه ولد سنة ١٥٠ ^{١٥٠ هـ} . لكن المعروف منه ان الجاحظ ولد . وأنه

انه ولد مرة واحدة . وعيها في سنة معينة . ناية سنة هي لاسيما والروايات متضاربة ! -
اما نحن فـر يسعنا اننا هذا التضارب إلا أن نضرب بجمهورتها عرض الحائط بعد أن نُظهر
خُلُفها ، ثم نسمى من جديد في تعيين تاريخ ميلاد الرجل .

لو سَلَّنا بصفة الروايات الواردة اعده جميعا ، لكان عُمر الجاحظ كما يظهر
من رواية الانباري ١١٩ سنة . وكما تقتضي رواية صابح الديوان نحو ١١٤ سنة . وكما يستنتج
من رواية ابن خلّكان ١١٠ . وكما يجب أن يكون حسب قول السندوي ١٠٥ . أي أن الجاحظ
حسب أقلها قد جاوز القرن . وهذا من الضعف بحيث لا يصح الأخذ به ولا الاضثنان اليه .
اولا لان هذا العمر شاذ ومع ذلك لم يُسَمَّ اليه احد . مما يُشير الشبهات حول صحته . وثانيا
لان هناك رواية اخرى تنافى الرواية التي كانت سبب هذا التنبؤ . اودها ياقوت نفسه وايد
فيها ابن خلّكان^٢ . وهي التي تقول ان مولد ابي نواس كان غير معين لكن بتحديدات عامة وقع بين ١٣٠-١٤٠
وعلى هذا أولا لا يمكن ان يكون قد اشترى ابو نواس والجاحظ في ميلاد واحد ، وان كان قد اشتركا فان
ذلك التاريخ قد يكون كى شيء الا سنة ١٥٠ . اذن متى ولد الجاحظ .

إذا نظرنا في الروايات الواردة اليها بخصوص مرضه ومن ثم وفاته ، وجدنا ثلاثا
متسلسلة . اولها تقول انه قال عندما زاره الخولي المتطبب " ان اكثرا ما يشكو التلغين^٣ " .
وثانيها انه قال عندما زاره رسول المتوكّل " ان اكثرا ما يشكو التسعين^٤ " . وثالثها " انه توفي
عن ست وتسعين سنة^٥ " . الا اننا لسوء الحظ لا نعرف متى زاره الخولي تلك الزيارة .
ولهذا خسرنا مفعول الرواية الاولى . اما الثانية فقد عرفنا ان رسول المتوكّل زاره قبيل وفاة ادحير
يدعوه اليه في الوقت الذي اشدت فيه المر عليه في اى الى الجاحظ . واجر تاريخ يمكن تعيينه
لهذه الزيارة هو سنة ٢٤٧ اي السنة التي مات فيها المتوكّل . وعلى هذا يكون ميلاده نتيجة
مسألة حسابية بسيطة . (٢٤٧-١٠=١٥٧) . لكن الرواية الاخيرة مع مساعدة حواشي الثانية اى انه
تيف على التسعين ثقب التاريخ من الصحيح . اى من سنة ١٥٩ .

والخلاصة هي ان الجاحظ ولد في سنة ١٥٩ . ومات في سنة ٢٥٥

وانه على هذا قد سلخ في الحياة الدنيا ستا وتسعين سنة كاملة .

المقالة الثانية حياته الدائمة

انه لمن الغريب حقا ان يصل الباحث الى كل ما وعد اليه من العراكر المتنازعة في عوالم الادب والعلم والدين ، ثم يتوقف ووارث التراب ولا يقيم واحد من انتصاره او اعدائه وهم كثر ، او على الاقل واحد من طائفه وهم ائمة القلم حيث حلوا - ليكتب لنا شيئا ينير امامنا جوانب هذه الحياة العامرة لهذا الرجل العظيم . نقول بكل اسدلم يقيم احد حتى جاء المسمودي فَحَطَّ في مروجيه بضعة اسطر لا تُسمن ولا تفتني من جوع . وفي الامر طلسمًا يعتمد على الحدس والتخمين اكثر من اعتماده على العلم واليقين ، حتى بدأ ياقوت معجبه في سيرة الادباء . فخصص عددا لا بأس به من الصفحات لحياته الباحظ تُعد بالنسبة لغيرها لحسن واصدق المراجع . وتحد ياقوت جاء كبيرين بين مفرط ومفرض كل منهم كتب عن الرجل اسطرًا حسبيله وهواه . فان كان من مشاييمه رحمه للسام كما نرى في تفريظ ابي حيان^١ ، وسقايسات التوحيد^٢ . وان كان من مناوئيه انزله الحضيض وحرمه من كرمه كما راينا في نوري البندادي^٣ وروابع بن شهيد^٤ . وهذه المصادر - التي يشق النثر نُسجها مصادر - قليلة في عددها هزيلة غامضة في مادتها . نرواياتها في كثير من الاحيان ضعيفة ان لم تكن غير معقولة . وفي كثير غيرها تكاد تكون شبه متناقضة . واستخلاص اقل شيء ثابت منها يحتاج "لجهود المقاربت".

اولا - في بده حياته

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نقول بكل جهد جهيد وتحقيق شديد وتدقيق عنيد استطعنا ان نستخرج من هذه المصادر القليلة في كهها الهزيلة في نوبها ، انه ولد في البصرة سنة ١٥٩ كما مر تحقيقه . وانه كان دميم الخلقة كما سئرى في وصفه . وان ابوه كانا فقيرين في حَسْبِهما ونَسَبِهما كما يستنتج من رواية ابن العزق^٥ . وان والده مات في صغره . فحرمه عطفه وحنانه كما قال كرد علي^٦ . ولهذا رثه امه ووقع في كف بخيل تكل برعايته كما حكى هو بنفسه في البخلا^٧ . واخيرا اضطر للكسب قوته مبكرا فباع الخبز والسمك بسيحان كما روى المرزباني^٨ . الا ان الله هداه فنتجه للعلم بلكيته خلاصا من هذا المحيط الجائر كما تتفق كل الروايات .

هذا كل ما ابقت لنا نظيره يدُ الايام . اما من ابوه . او من كانت امه . او في اهله

سنة ولد . او على الأقل كيف قضى ايامه الاولى في البصرة . او شيئاً عن ميله في سنينه . والى
 اى حد انتقلت او اختلقت عما عُرف عنه في كبره . الخ . الخ . فامور على الرغم من اهميتها
 صمتت عنها جميع المصادر صمتاً رهيباً يكاد يذكرنا بسكون الاموات . وضعت المصادر هذا لم
 يقعد عند حد طفولته بل تداها فنشر ظله اليهيم وجهاًه الحفيف على معظم حياة الرجل حتى
 جاوز به الاربعين . ولم يفلت من تلك المغازاة العفوية سوى ثلاث قصير هزيلة غامضة تلخصها
 فيما يلي لعلها تلقي بعض ضوء نحن في ميسر الحاجة اليه .

اما الاولى فنفسه الكلب^(١) ولخصها ان العوام تقول ان من غنه الكلب الكلب اثر عليه
 يأخذ بالنباح . قال الجاحظ وقد رايت كلباً غنى ولداً من الكلب الذى كت فيه فلم اشاهد
 الأعراسه التي قالوا بها . وعلى حد تعبيره " رأيت بعد ذلك بشهر وقد عاد الى الكلب وليس في
 وجهه من الشتر الا موضع الخيط الذى حيط به . فلم ينبج الى ان برع ولا دعا بما حتى
 اذا راه صاح رده . ولا بان جرو ولا علفا ولا اصابه مما تقول العوام قليل ولا كثير^(٢) .

اما الثانية فنفسه الكرايس^(٣) ولخصها انه جاء^(لامه) ذات يوم سالها طعاماً فقدمت له
 طبقاً عليه كرايس وقالت له كل . فقال ما هذا . فقالت هذا الذى تنجيع به وقتك . فعاد للكتاب
 ثانية فاعطاه بعضهم شيئاً . وعندما عاد لامه قدمه اليها وقال كي من هذا الذى اضيع به وقتي^(٤) .

اما الثالثة فنفسه الخفان^(٥) ولخصها انه رأى الخفان يصير في الليل ويعتدى على
 بعض الحيوانات ومما ولداه معاملة خاصة انكرها العوام فجاء الجاحظ يكذبه^(٦) .

ومن هذه الثلاثة نستنتج انه كان دقيق الملاحظة في الاولى ولنه استقبل حياة
 مغمسة في الثانية وانه كان مولعاً في تحقيق اقوال العامة في الثالثة . وهي في مجملها كما
 ترى ضئيلة قليلة عديمة الجدوى . اوردها لانها ابرز القليل الباني من حياته الاولى .

الكتاب كمادة الفهم في تلك الأيام ابتدأ الجاحظ حياته العلمية بالتردد على هج الكتاب . وفي هذه المدرسة تعلم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ جانباً من القرآن والشعر واطلع على بعض الشيء على الحساب وجود الخط . وقصة الكلب التي مر ذكرها تناد تكون الوحيدة التي بقيت لنا من ذلك العهد . وهي ترينا بوضوح مقدار توثق ذهن الجاحظ وتطلمع الى كشف نواب الحقيقة عارية كما هي . ونحن لا نشك في ان هذه الميزة (اى حب الوقوف على الحقيقة) قد رافقت طيلة حياته تنهوا مع السنين وتشتد بالتجارب حتى كان ما كان منه في كتاب الحيوان من تحقيق وتدقيق لم يُعرونا قبله . وصاحفة اخرى نحب ان نغفلها عن هذه النقطة وهي ان حياة الكتاب كانت مرهقة وان معاملة شيخه كانت خشنة زعرت كره الشائيب ومعلمها في قلبه . ولم تضعف تلك النقطة في صدره بل على العكس ازدادت قوة ونشاطا مع السنين ولذا كان يهاجمهما في كل مناسبة . ومن جملة تلك المهاجمات اولاً ما جاء في البيان والتبيين حيث قال لا نستشر معلم اولاد ولا راعي غنم ولا كبير القعود مع النساء . ١ . وثانياً رساله كامله ألفها في المغرب بالمعلمين سماها نوادر

المعلمين موجودة الآن في المتحف البربراني ومطبوع لاسم منها في هامش الكامل الاول .

المسجد اما المدرسة الثانية او الابتدائية (اذا كان الكتاب هو بستان الاطفال) فهي المسجد . والمسجد في تلك الايام كان المنتدى الواسع او الجامعة الرحبة التي يتقاضي اليها ائمة العلم كل يأخذ قُرْنة او سارية من قُرْنة وسواره . يلتفت حوله الراغبون في علمه ثم يأخذ يلقي عليهم ما تَجَمَّعَ في صدره من دقائق ذلك العلم . وكان لا يَمُكِّنُ كان الحق في حُضُور اية حلقة والاستماع الى اى شئ . حتى اذا ما تكونت عند احدهم فكرة واضحة عن علم ما وسال اليه بقلبه لانه شيخه حتى ينال منه ما يريد . وتندها يقال " تخرج فلان على فلان او اجاز فلان فلانا " . فنقول جا' الجاحظ الى المسجد بعد ان استعد في الكتاب . وجلس الى اكر حلقاته واستمع الى اكر مشايخه ولهذا كان له في علم الادب باع وبى علم الدين ذراع وبى علم الكون صاع اكمال به اكر من غيره . وعند الكلام على نوع ثقافته والكلام على اساتذته مستعرب الشئ الكثير عن هذه الازرع والابواع والضاعات . لقد اغرم الجاحظ في المسجد كثيرا وهام بمجالسه حتى انه نسي اكله وشربه ونسي كل شئ عداه . بالرغم من فقره وبالرغم من انه ^{كان} يُطالب بمساعدة اُمه على مهام الحياة . وقصة الكرايسر التي اردها السندوبي في مقدمة البيان والتبيين شاهد صادق على ما نقول .

اما اثر المسجد فيه فقد كان عظيما لانه في الحق كان المدرسة الاولى التي كَوَّنَ فيها عقله " وَتَوَّجَ " فيها ميوله وحدد فيها اهدانه وراى فيها نور الحق من بعيد . وقد تكلم عن ذلك في البيان والتبيين فقال (ادركتُ المسجديين والمريديين واخذت عن اكرهم ^١) الا انه لم يكن اعنى بل كان واسع العينين يربط الملتح والفتيح وكان فيما بعد حر القلم يدون كل شئ . فلما انه مدح جملة ^{من} المسجديين في البيان لم يفته ان يسحر من بعضهم في البخلاء . فعقد فصلا كاملا بعنوان قصر المسجديين ^٢ . سماهم فيه اصحاب الجمع والفتح ^٣ وحكى عن بخلهم ونظرياتهم في الدناع عنه ما يثير الضحك " في نفس من نقد اياه " .

المرسيد المرید مكان بظاهر البصرة كانت تند اليه جمهرة العلماء وكثير من الاعراب الذين لم تفسدهم الحارة . فيتبادلون الانعام ويتدارسون اللغة ويتسامعون اللهجات وتدير بينهم المناقشات في موضوعات اكر من ان تُحصر خصوصها في الادب وفي الدين ^{صغرى} . واذا كان الكتاب هو بستان الاطفال والمسجد هو المدرسة الابتدائية ، فاننا نعتبر المرید مدرسة الجاحظ الناجية التي التحق بها لينال فيها العلم من مصادره الى ان الاعراب الملهم . فنقول اكر الجاحظ من

من التردد على العريد مدة من الزمن استفاد فيها الكثير مما كان الحصول عليه صعبا في الجبل
المسجد . خصوصا رواية الاشعار الجاهلية ونوادر الاعراب الطريفة وحكايات اخرى لا تدخل تحت
حصر مما استعان به فيما بعد - في استطراده الكثيرة في البيان والخيول التي قال ان غرضه
من ايرادها ترويح نغم القارئ وازالة السأم والمَلل اللذين قد يعتريانها من صول الاستصاق بالجهد .
اما اثر العريد في كتاباته فأكبر من ان يؤتمن على جزئياته - الا اننا نعتقد ان فيما ذكرنا الكفاية . لكي
يسمح لنا الوقت بالانتقال الى مدرسة اخرى من مدارسه .

دكاكين الروافين هذه هي المدرسة الرابعة او بالاحرى هي الجامعة التي اصنام اليها

الجاحظ . وليست جامعات ايم مثلها او على الاقل تنسج على نوالها في حرية الدرس وفق البحث
وتوفر المصادر وخلق الرغبة الحقة في نفوس التلميذ . على كل ما لنا ونشأ . أحب الجاحظ
هذه الدكاكين واولع بدروسها حتى رُضت عن غرامه بها الروايات . فان ابو هفان كان الجاحظ
مولعا بدكاكين الروافين يمر بنام فيها طول الليل . هكذا كان " يكتري دكاكين الروافين وهو العنفس
بنام فيها يطالع وينقب وهو بحاجة للراحة من تعب النهار " . بهذه الدكاكين اطلع الجاحظ
على ما لم يكن في الكتاب لانه صعب وما لم يتوفر في المسجد لانه كثر وما لم يسمح به في العريد
لانه ليس من بضاعة الاعراب . هذا الشيء هو "فلسفة اليونان" . فلسفة اليونان العميقة
في الالهيات وطرفهم الفصحة في الكلام ونضرياتهم "العميقة" فيما رواه الطبيعة . في الكتاب كان مثل
هذا صعبا لا طاقة للصغار به . وفي المسجد كان حراما الخير كل الخير في تحاشيه .
وفي العريد ليس لاعترا بة دخل . الا ان الوحيد الذي كان يُلجئ به صُحبت الناس عليه في
المسجد هو النُّظَام . وقد جلس الجاحظ اليه وسمع منه واجبه وتلمذ عليه خصيصا .
ولهذا نقول ان النظام زرع بذرة حب الفلسفة والكلام في الجاحظ ايام المسجد وبعد ذلك
سهر الجاحظ عليها يرعاها ويغذيها في دكاكين الروافين . ولم تكن لفلسفة اليونان هي
الوحيدة التي صالح في تلك الدكاكين ، بل تزود من ادب الفرس وحكمة الهند بنزاهة كل ما وقعت
عليه يده . اما اثر هذه التفافات في نفسه فقد كان واضحا في كل ما كتب تقريبا = فأكبر مصدر
من مضاده في الحيوان كان ارسطو . وكتابه فيه - بالاضافة الى افلاطون وجالينوس وغيره
وحيث قرأت في البيان وجدت امثال " فان حكيم الهند " . اما المفردات الفارسية فحدث عن
انتشارها في تأليفه ولا حش . ولم يشأ الجاحظ الا ان يسطر ولو هرفات يذكر الناس بها
بعد موته اختياراته الجيدة في تلك الدكاكين ولهذا كتب رسالة في مدح "الروافاة" واخرى في ذمها ،
لسوء الحظ ضاعتا معا .

مجالس الادب = هذه المجالس كانت خاصة فردية . اشبه بما يعقده بعض ادباء اليوم في دورهم من حفلات واجتماعات لا للقرص وشرب الكأس وإنما للبحث والذاكرة والدرس . من امثال ما كانت تعقده الانسة بي بي بيتهما او كان يدعو اليه احمد زكي باشا في مكتبته الزكية . نقول الى هذه المجالس تحول الجاحظ لا ليأخذ منها بقدر ما يعطي اليها . وفي الاجتماعات كان يلقي بالحسن بن وهب وسهل بن هرون وبالحسن بن سهل وابي العيناء وغيرهم كثير . يتذاكرون العلم ويتداولون الاراء ويتناقشون في شتى ألوان المعرفة . وقد احب الجاحظ هذه الخلقات واجتهد في حضور اكبرها ولهذا كرر تروده على بغداد مبكرا . وعندما سأل أحدهم عن اثرها فيه قال (لقد استفدت منها اكثر مما استفدت في السجدة)

الرحلة في طلب العلم = الرحلة مدرسه عطية لا غنى لمحب علم عنها . وقد تنبه العرب الى هذا في قديمهم فكانت "الرحلة في طلب العلم" تكاد تكون المدرسة الاخيرة لكل من احب التجسس . وعرفها الاجانب ايضا ورحلات شيلي وبايرون وغيرها معروفة للجميع . نقول جريا على العادة وحبا في اخذ العلم من مصادره ، رحل الجاحظ الى اماكن كثيرة نوه اليها في الحيوآن^٢ . منها بغداد^٣ والموصل^٤ واسط^٥ وانطاكية^٦ والشام^٧ واخيرا الى قيل انه رحل الى مصر^٨ . وهذا الاخير ضعيف لا نأخذ به اولا لحكاية السروكي وثانيا لان منته يستبعد على الجاحظ . اما ما استفاده من هذه الرحلات نصعب الكلام عليه لانه اختبارات شخصية عديدة ومتنوعة واطلاعات ذاتية كثيرة ومتفرقة . جمعها من السنة الناس ومن مشاهدات العين ومن دفاتر الروافين . الا ان الكلام على اثرها في كتاباته يكون اسهل . وبرزت تلك الانوار اود كتابه "البلدان" الذي تكلم فيه عن كثير من البلدان التي زارها . الا انه لسوء الحظ قد ضاع ولم يبق منه الا ما يتعلق بمكة والمدينة والكوته والضائف . ثانيا هذه المعرفة الدقيقة في طباع البشر مما لا يمكن ان يعرفه دون اطلاع سابق او احتكاك مباشر مثل قوله (قال الفنى اسكن مصر فقال الذل وأنا معاك...)

مدرسة الحياة = هذه المدرسة التي لا يحُدّها الكثيرون مدرسة عندما يحددون المعاهد التي تلقى فيها رجل من الرجال ثقافته . لانهم يظنون انها صبيعية ولازمة . ونسوا انها هي اهم واحدة يجب عليهم ان يذكروها وان يطيلوا النفس في آثارها التي تركتها فيه لانها في الحق اقوى المدارس واكثرها مفعولا . بقي الجاحظ في مدرسة الحياة ستا وتسعين سنة كما بينا . تعلم فيها علوما مختلفة ولعن اقوالا متعددة واختبر اختبارات متنوعة . واختصار قُرْبَ فيها

كثيرا من حقيقة الانسيا، وَفَرَّطَ أَكْثَرُ طُرُقِ الْحَقِّ لِلْوَصُولِ إِلَيْهَا . أَمَّا الدُّرُوسُ الَّتِي اسْتَعْمَانَ بِهَا لِلْوَصُولِ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ ثَلَاثَةٌ . الْأَوَّلُ الْإِحْتِكَانُ بِالنَّاسِ عَلَى اخْتِلَافِ صِفَاتِهِمْ وَمُشَاهَدَتِهِمْ فِي أَعْمَالِهِمْ وَسُؤَالِهِمْ عَنْ خَفَايَا تِلْكَ الْأَعْمَالِ . وَالثَّانِي التَّجَرُّبَةُ النَّفْسِيَّةُ وَالْعَمَلِيَّةُ وَالتَّطْبِيقُ الذَّاتِي الْحُضْرُ لَكثيرٍ مِمَّا كَانَ يَرَى وَسَمِعَ . وَآخِرُهَا التَّفَلُّسُ الْعَقْلِيُّ وَاسْتِخْرَاجُ قَوَائِينِ عَامَةٍ وَحُكْمِ جَامِعَةٍ لِكُلِّ مَظَاهِرِ الْحَيَاةِ هَذِهِ . أَمَّا أَمْرُ هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ وَهَاتِهِ الدُّرُوسِ فَيَبْعُدُ مِنْ أَنْ يُوَحِّدَ إِلَى فِرَاقِهِ . فَالْإِحْتِكَانُ وَآلٌ وَسِعَ مَعْلُومَاتِهِ نَكَالَ دَائِرَةِ الْمَعَارِفِ، وَالتَّجَرُّبَةُ قَرِيبَةٌ مِنَ الْحَقِيقَةِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ تَكَانَ الْعَالَمِ الْحَقِّ، وَالتَّفَلُّسُ فَادَهُ لِلْحِكْمَةِ تَكَانَ صَاحِبِ الْقَدْحِ الْمُعَلَى فِي النَّظَرِ الْعَقْلِيِّ . وَاقْرَأْ فِي الْجَاهِظِيَّةِ وَاضِحٌ .

هَذِهِ مَدَارِسُ الْجَاهِظِ وَهَذِهِ مَعْلُومَاتُهُ فِيهَا وَهَذِهِ أَثَرُهَا عَلَيْهِ . فَالْيَ نَظَرُهُ فِي اسَاتَذَتِهِ تَحْوِلُ .

٢ - اسَاتَذَتُهُ = أَنْ تَعْدَادَ اسَاتَذَةَ الْجَاهِظِ يَتَعَبَلُ لِأَنَّهُ فِي الْحَقِّ لَمْ يَتَرَكْ مَخْلُوقًا يُمْكِنُ اسْتِغَادَتُهُ مِنْهُ وَلَمْ يَأْخُذْ عَنْهُ أَوْ يَجْلِسْ إِلَيْهِ سِوَا "بِسْوَالٍ خَاصِيٍّ أَوْ اسْتِثْنَاءٍ شَفَوِيٍّ أَوْ رَوَايَةٍ أَقْوَالٍ . أَلَا إِنَّا فِي هَذِهِ الْعَجَالَةِ سَنَقْتَصِرُ عَلَى اشْهَرِهِمْ بَلْ عَلَى أَهَمِّ مَا يُمْكِنُ أَنْ يَفْقَالَ عَنْ ذَلِكَ الْإِسْمِ الْأَشْهَرِ .

الْأَصْمَعِيُّ = كَانَ صَاحِبَ لُغَةٍ وَنَحْوٍ وَآخِبَارٍ وَنَوَادِرٍ وَفُرَائِبٍ وَطَلَعُ . قَالَ اسْحَقُ الْمُصْطَفِيُّ (لَمْ أَرِ الْأَصْمَعِيَّ يَدْعِي شَيْئًا مِنَ الْعِلْمِ فَيَكُونُ أَنْ أَحَدًا يَعْلَمُ بِهِ مِنْهُ) . وَقَالَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (مَا عَرَفْتُ أَحَدًا مِنَ الْعَرَبِ بِأَحْسَنِ مِنْ عِبَارَةٍ الْأَصْمَعِيِّ) . جَمَعَ نَسَبَتِي اللُّغَةَ فِي الشَّجَرِ وَالنَّبَاتِ وَالشَّأْءِ وَالْحَوَاشِي وَغَيْرِ ذَلِكَ قَالُوا أَنَّهُ كَانَ يَحْفَظُ ثَلَاثَةَ اللُّغَةِ . وَلَدَ سَنَةَ ١٢٢ وَتَوَفَّى سَنَةَ ٢١٦ . عَلَى اخْتِلَافٍ فِي الرِّوَايَاتِ . سَمِعْتُ عَنْ الْجَاهِظِ فِي الْمَسْجِدِ وَلاَزَمَهُ مَدَّةَ ظَهْلِهِ . أَمَّا أَثَرُهُ فِيهِ فَقَدْ كَانَ أَبِينِ مِنْ نَهْرِ الشَّمْسِ فِي رَابِعَةِ النَّهَارِ . وَابْزَغَ مَظَاهِرُهُ حُبَّ الْجَاهِظِ لِللُّغَةِ وَلَوْلَهُ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا . فَأَوْرَدَ كَثِيرًا مِنَ الْغَرِيبِ وَمِنَ التَّفَاسِيرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فِي أَمَاكِنَ سَنَطَلَعُ عَلَيْهَا عِنْدَ الْبَحْثِ فِي لُغَتِهِ . وَمِنْ مَظَاهِرِهِ أَيْضًا كَثْرَةُ مَحْفُوظِهِ مِنَ الْآخِبَارِ وَالتَّوَادِرِ خُصُوصًا عَنْ الْأَعْرَابِ مِمَّا نَرَاهُ مَوْجِعًا هُنَا وَهَنَّاكَ خُصُوصًا فِي الْبَيَانِ وَالتَّيْبِينَ .

أَبُو عَبِيدَةَ = قَالَ أَبُو نَوَاسٍ (ذَاكَ أَدِيمٌ طَوَى عَلَى عِلْمٍ) . وَقَالَ الرَّبِيعُ (هَذَا عَدَمَةٌ أَهْلُ الْبَصْرَةِ) . وَقَالَ الْجَاهِظُ (أَنَّهُ جَمَاعُ الْعِلْمِ) . وَقَدْ بَلَغَ مِنَ الْعِلْمِ دَرَجَةَ كَانَ الْأَصْمَعِيُّ فِيهَا يَخَافُهُ . وَلَدَ سَنَةَ ١١٠ وَمَاتَ سَنَةَ ٢٠٩ . عَلَى اخْتِلَافٍ فِي الرِّوَايَاتِ . صَنَفَ فِي الْبَزَائِي وَالْحِمَامِ وَالْعَنَابِ

والحيات والزئج . وكان الغريب اغلب عليه واحبار العرب وایامهم على لسانه . كان يرى رأى الخوار . وتشيع للشعوبية . وقد كتب كثيرا في الدفاع عن وجهة نظر اصحابها . اما الجاحظ فقد جلى اليه واستمع له وروى عنه كثيرا في مختلف فنون المعرفة من علم " وخصوصا علم الحيوان " لادب " وخصوصا اخبار الاعراب ونواديرهم " لغير ذلك مما تعودته ان نراه يملأ صفحات وصفحات من البيان والحيوان على وجه التخصيص . الا انى الجاحظ لم يتأثر بناحيتين من نواحي استاده هما التحصب للشعوبية ومظاهرة الخوارج . ولعل لذلك اسبابا لما نقف عليها لحد الان .

ابو زيد الانصارى = كان صاحب لغة ونوادير غريب . حدث ابو عثمان المازني قال (رايت الاصمعي وقد جاء الى حلقة ابي زيد المذكور فقبل راسه ونال انت رئيسنا وسيدنا من خمسين سنة!) . ولد سنة ١٢٢ وتوفي سنة ٢١٥ على اختلاف في الروايات . الد في القور والترس والنضيب والابل والوحوش وخلق الانسان والطر والنبات . اما اثره في الجاحظ فواضح اولا بكرة الاسمار التي نقلها عنه وثانيا في بكرة النوادر التي نسبها اليه والتي نال يجعلها مطية يستطرد بها ليرج عن فائره مله

الاخضر = كان من اكابر ائمة النحو في البصرة . حدث عن نفسه فقال (ما كتب سيويه شيئا الا عرّضه عليّ) . ضروري انه قال حينما دخل الفراء عليه (جاء سيد اهل اللغة وسيد اهل العربية . فما كان من الفراء الا ان قال اما مادام الاخضر يعير فدا) . ولعمري لقد نفق الفراء بالصواب لان اخضر في الحق كان امة في النحو . ولد في سنة لم نعرف تاريخها ومات في سنة ٢١٥ كما تقول الروايات . ولقد اخذ عنه الجاحظ كثيرا وتأثر بروحه لدرجة انه نال في كثير من الاحيان *Handwritten signature* يتوك النظم على الديك والسلب الذي هو بصده ليجدنا عن النحو وضرورة اقامته وتجهين اللحن والهجيم عليه مما سياتي الكلام عنه في باب اللغة . وقد كان هذا منه في اثر من موضع خصوصا في الحيوان والبيان ومقالة ذم اعمال السلطان .

النظام = كان النظام رئيسا من رؤساء المعتزلة ومدرسا بارزا في المسجد . تحبّه الجاحظ مدة وتأثر بآرائه كثيرا خصوصا في علم الكلام ورائه في المعتزلة حتى تغلغلت هذه في صميم قواعد الجاحظ فاجبها حبا جما وعار من عدة المعتزلة فيما بعد . روى المرتضى ان الجاحظ قال (ان الله يبعث في الناس كل الد سنة رجلا يهديهم سواء السبيل . وراس هذه الالف هو النظام) . وفي موطن اخر قال عنه (هو اعلم الناس قاطبة باللفظ والكلام . هو مصدرهما واليه يرجع في حل مشالهما) . وفي مقام ثالث قال (كان مأمو للسان قليل القول والزئج في بابي الصدق والكذب) . وفي رابع قال (لا نرتاب بحدينه اذا حكي عن سماح او عيا) . هذا هو النظام وهذا هو موقف الجاحظ منه .

اما اثر الاول في الثاني فواضح لا يحتاج لسرد شرح . فما الجاحظية الا فرع من المعتزلة ولعت بالمنطق واعتدت بالكلم واعتدت على العقل ^{واعتزلة} واعتدلت اعتقادا اصغر تطرفها في اعين الكيريين .

هو لا هم اشهر اساتذة الجاحظ ونعم . النخبة هي الا ان الجاحظ اخذ عن كثيرين غيرهم من لا فائدة من تعدادهم مثل صالح بن جمل اللحي وعرويين كركره وعرويين العلاء وغيرهم كثيرين .

٣ - نوع ثقافته = من هذا نرى ان الجاحظ اخذ عن اكر واشهر اساتذة عصره شفاها ومداينة بالاضافة الى ما استفاده من كتب دكاكين الرافيين ولقاء الاعراب الخلس . وعلى هذا تكون قد اجتمعت له ثقافة الثقافة العربية كاملة من لقاء الاعراب في العريد والاستماع للأساتذة في المسجد وصحبة ائمة الدين في الحلقات المختلفة . وتكون قد اجتمعت له عناصر الثقافة الفارسية ايضا من مطالعة ما كان قد ترجم الى وقته وسنابلة الجماعة المهتمين بذلك النوع من الثقافة خصوصا المترجمين او الذين هم من اصل فارسي مثل ابن المقفع وما سرجوه . وتكون قد توفر لديه قسط لا بأس به من الثقافة اليونانية وخصوصا الجانب الفلسفي والفلسفة الصبعية على وجه التخصيص . اما مسادره او بالاحرى طريقه لهذه الثقافة تكال ما وقع عليه مترجما في دكاكين الرافيين وما سمعه شفاها من الطلعي على تلك الثقافة مثل حنيس بن اسحق وغيره . فلو اشهر الفلاسفة الاغريق الذين طالع لهم الجاحظ ثارسطو وافلاطون وجالينوس هذا بالاضافة الى ديمقراط وديموس وتومقراط وليمون وميريسطوس وما سرجوس وارسخانس وغيرهم ما تجد اسماؤهم منتشرة في كتبه وسنقلاته عنهم . حتى لقد قال البغدادي ان الحيوان الذي قال الجاحظ انه من تاليفه لم يحد في الحقيقة اكر من نسخ العدة مواضع من كتاب ارسطو فيه ضم اليها تحبا من مختارات ما عرف واتسع له عقله من حرافات واحاديث قال بها المدائني . الى كل هذا اطلع على جانب كبير من الحكمة الهندية . فلهما أولا وتذوقها ثانيا وسطر منها الكثير في كتبه اخيرا .

وانه . ليحسن بنا قبل الفراع من هذه الناحية ان نذكر بعض مؤلفاته التي ركز درسه عليها في الادب والعلم والدين . اشهر هذه الكتب كتاب ارسطو في الحيوان وكتاب الفراسه لافليمون وكتاب طباع الالبان لما سرجوه وكتاب الهندسة لافليدوس وكتاب المنطق لارسطو . هذا بالاضافة الى منقولات كثيرة دون تسمية كتب من بختيشوع وحسين بن اسحق وجالينوس وغيرهم كثير منه سترد اسماؤهم في فهرس المصدر .

ثانيا - نسي وفاته

لقد مات الجاحظ، لكن كيف مات . لقد وُزِرَ ابن أبي دؤاد للمامون سنة واحدة بعدها مرض بالنالغ فاضطر لاعتزال الوظيفة . لكنه قبل ان ينتحى بالكليّة اوصى ^{ابنه} ~~بأن~~ من بعده بالجاحظ خيرا . وهكذا كان . لكن الابن لم يكن كالأب ولهذا لم يصل عهد الجاحظ مع الابن طويلا . أولا لتتكرر الفتول للمعتزلة وثانيا لتغير الابن عن الأب وثالثا لاستيلاء العزم والهرم على الجاحظ نفسه . فاضطر تحت هذه العوامل المتعددة أن يعود الى مسقط رأسه في البصرة .

في هذه الفترة الأخيرة - بين إجله وأخوانه القدماء - عاش الجاحظ مدة من الزمن هي التي نسميها في تاريخ حياة المرء بفترة الشيخوخة - شغلها فيها ثلاثة اشياء . أولا الكتابة وثانيا التعليم واخيرا مداراة المرض الذي كاد يطبق عليه من جميع الجهات .

اما في سبب ذلك المرض فقد رُويت روايات . اشهرها تلك التي تقول إنه اجتمع بعض اصحابه على مأدبة بلبل الوزير حيث قدم لهما سمك ومثيرة . قال صاحبه الطبيب (انصحك يا ابا عثمان ان لا تأكل منهما معا . لان الجمع بينهما مضر . فضح ابو عثمان وسأل لماذا . الا ان الطبيب اكثف بهز رأسه وتأكيد ضررها ، اما ابو عثمان فابتسم وقال اسمع يا هذا لا بد ان يكون السمك واللبن اما ذوى اثر واحد او ذوى اثرين مختلفين . فان كلاً ^{من} ~~من~~ واحد ناكل من كليهما ونفترس اثنا اكنا من واحد وشبعنا . وان كان ^{من} ~~من~~ اثنين فكذلك ناكل من كليهما فيبطل مفعول احدهما مفعول الآخر . فسمت الطبيب ثم قال لقد قلت ما قلتُ عن علم اما المنصف فمالي في دروه قدم^١ . وكان ان اكل الجاحظ مات ليلته وفي الصباح اغتراه النالغ^٢ .

لقد رويت في اخبار مرضه روايات شيرة كلها تدل على ان المرض كان قد اعباه حوالى سنة ٢٤٢ الا انه كان موجودا بالفعل قبل سنة ٢٤٧ لذكرو ذلك في الحيوان . والحيوان قدم ١٦٦٤/ لمحمد ابن الزيات الذى توفي حوالى سنة ٢٤١ .

هذا عن سبب العلة وعن تاريخها ورد ناه كما جاء في الروايات . اما عن انواعها فقد قيل أن النالغ والنقرس وحصر البول كانت بعض نواحيها . والروايات على هذا متوافرة وللمطالعها بالتفصيل راجع قصصها في ^{ملا} مواضعها الاصلية مثل ياقوت وابن خلكان وابن ابي اصيبعة وغيرهم .

بعد اجتماع هذه الملل لا قبله "نام" الجاحظ . وبعد تكاثرها جميعها عليه انزوى في البيت لا ليصبح او ينحى او يندب حظه المشؤم واحذ في فلسفة سليبية كما كان من امر ابي العلاء المعري - بل ليتابع رسالته الادبية والعلمية والدينية التي وقد نفسه من اجلها . فكان في هذه الفترة وتحت هذا الضغط اولا يعلم تلاميذه . ثانيا يستقبل زواره . ثالثا يتابع كتاباته في نسق ^{مميز} / مبادئ المعرنة . اما ما يثبت التعليم فقصه الاندلسي الذي سمع به وجاء يطلبه من الاندلس^١ . واما ما يثبت كره زواره واستقباله اياهم بالترحاب وافادته اياهم بكل ما لديه فقص المبرد^٢ والخولي^٣ رسول المتوكل^٤ والبرمكي^٥ وغيرهم مما لا يمكن التناخي عنهم . في حين ان كتاب البخلاء الذي كتبه في شيخوته وكتاب الحيوان كذلك تنسب الى انه لم يتحل عن الكتابة حتى النفس الاخير .

بقي يعاني مفعول هذه الامراض ثماني سنوات على الاقل . حتى انهالت عليه رفوف الكتب التي كان يرصنها امامه ولى جوانبه . فمات في البصرة لا في غيرها كما قيل سنة ٢٥٥ هـ . وما يؤيد هذا قول المهلبى (^{قال} / ^{عليه} لابن المعتز ورد الخبر بوفاته الجاحظ يا يزيد . فقلت لا مير المؤمنين طول البقاء^٦) .

المقالة الثالثة - الجاحظ في معترك الحياة

بعد ان اجتمعت كل هذه العوامل النفاية والتيارات العقلية لديه تَشَرَّتْ رَوْحُهُ وتفاعلت في نفسه - اخذ يصهرها في اتونه وقولها في دماغه واخيرا بدأ يخرجها للناس كأنها جديدا ومخلوفا فريدا هو ما عرف بهلذ بادب الجاحظ . لقد بدأ الجاحظ الكتابة بالبصرة وفعلا طرأ هناك للسوء بعد الشيء الا ان القوم لم يكونوا قد تعودوا على مثل هذا الأدب الصريح في لهجته المتخلي عن كل تصنع في لونه . وسبابة مختصرة ونفوا وقفه العتاب من هذا الاديب الواقعي لأكثر حصد . ولهذا لم تروج كتبه الرواج الذي انتسره . ولم تأت الاموال دفانا كما تأمل . ولا عجب في البصرة ليست بالسوق الذي يتسع لمثل عَرْضِ الجاحظ . تليفتر عن سواها .

في هذه الفترة كانت معركة الامين والمأمون قد انتهت . ووبرى الامين التراب وقدم المأمون بخداد ليتبوأ العرش وتولى ادارة دفة السفينة . نقول في هذه الفترة على العموم وفي سنة ٢٠٤ على الخصوص قدم المأمون بخداد . تفتطرت اليها الونود لتنهى* . وتوافدت اليها الشعراء لتقول ما يقال في مثل هذه المناسبات . وبالطبع قدم الجاحظ ليقول كلمة الادباء . واية كلمة هي ... كانت كتابا كاملا هو كتاب العباسية او امامة ولد العباس على اختلاف في الرواية . سلمها للمأمون وغاب ينتظر . وما هي الا ايام حتى جاء الامر بالحضر والشول بين يدى الخليفة الذي قال له لقد ارى العيان على السماع^١ . ومن هنا بدأ نجم صاحبنا بالارتفاع .

ولم تطل المدة بعد ذلك حتى اخذ يتردد على ديوان الصولي بين الفينة والفينة يساعدهم في هذا ورشدهم في ذاك حتى كان أن شغرت رئاسة ديوان الرسائل . طلبه المأمون ليمهدها فاعذر لكفه اضطر للقبول نزولا عند ارادة امير المؤمنين^٢ . وتقول الرواية انه بقي في الديوان ثلاثة ايام فقط بعدها استقال فاقبل. أما لماذا ؟ فالجواب لا يزال سرا من الاسرار . الا ان الظاهر تدل على ان عاملين فحين عمل في المسألة اولهما حسد اعداء الجاحظ وتانيهما كبر نفسه وجبه للحرية . اما الاول فيشتم من سهل بن هارون عندما سمع بامر التعيين (اذا بقي الجاحظ في الديوان فقد اقل نجم الكتاب^٣) . واما الثاني فيستنتج من كتابه الذي كتبه بعد ذلك في ذم اخذ في الكتاب حيث وصفهم تارة بالذن والحذوق والطق واخرى بالرياء والغباوة والغفلة!

الا ان الجاحظ لم يعتزل ديوان الرسائل المأموني الا ليتعرف الى كاتبين اعظم كتاب عصره . ومنشي من اقرب منشي اياه نعتي ابن الزيات الذي صار مؤخرًا وزيرًا للمؤمن .

لقد ازداد التعارف بين الرجلين فتطير الى صُبة واستدت الصحة نادت الى رفع التكليف حتى قيل انهما كانا ياكلان على مائدة واحدة^١ وحكاية السمك والضيعة التي فلع الجاحظ على اندها قيل انها كانت على مائدة ابن الزيات . نقول باختصار ان كلا من الرجلين احب صاحبه واغرم به وتحسين الفرس لارضائه واعاد^٢ كلمته وتوفير سبيل الهنا^٣ والعز له . فابن الزيات من ناحيته كان يجزل العطايا للجاحظ وقدمه في المجالس وسجع كلمته في كثير من الامور حتى قيل انه افطه اربعمائة جريب تدر عليه مالا وفيرا^٤ . وسُخر له سبيل الرحلة للشام^٥ لياخذ ما هو بحاجة اليه من مكائيبا وغير مكائيبها وتفرج على جميلها . في حين كان الجاحظ يقابله من ناحيته بما يملك الاديب فتكبله كتاب الجد والهلل^٦ وعنون باسمه رسالة الحاسد والחסود^٧ واهدى اليه كتاب الحيوان^٨ غرة كنية رومز ادبه . هكذا عاصر الرجلان كل منهما يحسب صاحبه ويغريه منه حتى ارتفعت الكلفة كما قلنا وحتى استنداع الجاحظ ان يذكره في الحيوان مبتلا وفي البيان كذلك بدون اى لقب او كلمة تبجيل . وان يروى عنه الروايات التي اقل ما يقال فيها انها (بلدية) مثل حكاية الكلب^٩ الذي كان ياتس باين الزيات ويسخر له . وكان من نتيجة هذه الصبة ايضا ان تحسنت حال الجاحظ المالية وارتفع مركزه الاجتماعي . وضحى كاتبها تكاد تكون له الصبغة الرسومية كما سنرى .

لقد عرف الجاحظ ابن ابي دؤاد في صفوه كما قال في مقدمة المعاد والمعار^٨ . الا انه تجافى عنه في شسابه للعداوة او بالاحرى للتنافسة التي كانت بين احمد وسعيد . لكنه اضطر للعودة اليه عندما دارت الایهام على محمد وارتفع نجم احمد . وتقصيص هذا انه يموت الوافي واستلم المتوكل زمام الحكم نعي اليه ان محمدا كان من القائلين بعدم نسج المجال للمتوكل لكي يكون وصي المهد^٩ . هذا بالاضافة الى ان ابن الزيات كان شديد الوفاة على المتوكل بذاته^{١٠} . عندما كان الاول وزيرا نالذ الكلمة وكان الثاني شبه ولي للعهد تتناوشه الاراء وتختلفه الارياح . نقول باستنم الوافي^{١١} الحكم عزل ابن الزيات وارسل الى ابن ابي دؤاد يرضعه في مكانه . اغتم هذا الفرصة وانهم المتوكل ان لا سمة للدولة مع بناء ابن الزيات حيا . وهكذا طارده الجواسيس وحاصره الميون فاضطر للهرب . لكنه اخيرا وقع في الفخ وقبض عليه ونُ في التنور الذي كان قد اعده لتذيقه من تقع عليه الشبهة من ذوى المظالم . تحت هذه الظروف لم يجد الجاحظ سوى

التسمر والآنزوا والمزلة مهرا . لكنه لم ينجح بن قهر عليه اعراس ابن ابي دؤاد ، وروى في السجس اياما حتى تذكره القاضي وارسل في طلبه للحكاكة فاقبل يرأسف في اعراس الحديد . سأل ابن ابي دؤاد لماذا هربت ؟ فقال لكلا اكوي ثاني اثنين اذ هما في التنور . فخرج ابن ابي دؤاد وطلب من حداد ان يفتك فيوده فنشر الجاحظ الى الحداد وقال اعمل عمل سنة في ساعة وعمل ساعة في دقيقة فان اطرافي تكاد تذوب ؟ فخرج ابن ابي دؤاد وامر له بكسوة واعطيه واقبل عليه يبتسم وقال له (هات حدثنا يا ابا عثمان) وبعدها ضمه الى بظانته . بعد هذا لازم الجاحظ القاضي احمد طيلة السنة التي شغل فيها هذا الوزارة . الجاحظ يكتب له امثال المعاد والمعارس مسائل اخرى خاصة مهدى له الجمهوري البيان - الموسوعة الادبية المعروفة . وذات يُغدق عليه النخ والعضايا وجزل له الهبات حتى مرض احمد ولمعتزل الحكم .

بالرغم من ان الجاحظ انضم لحاشية الوليد بن القاسم مدة من الزمن ازمه فيها واحسن مقامه الا ان الايام كانت قد تغيرت والاصحاب تبدلت ولم تعد بغداد بدار مقام . ولهذا عاد الجاحظ للبصرة للاسباب التي مر ذكرها . لكنه قبل ان يعود كان قد تعرّف الى شخص له مكانته وعار فيما بعد والي اشام على عهد المتوكّل نعتي الفتح بن حاتم . احب الفتح الجاحظ وقربه . وابى الجاحظ بالفتح واحمل له . اذ ان الايام ابتدأت ان تفرق بينهما فعندما ذهب الفتح للشام انضم الجاحظ " بالرغم من دعوة الفتح اياه لمرافقته " نفوس اضمر للعودة الى البصرة . لكنه مع ذلك بقي على اتصال به ومن اتار هذا الاتصال ودات الولا بقي لنا اولا اهداؤه له كتاب مناقب الترك وثانيا ارسال الفتح للجاحظ تلك العبارة التي تعبر بجنوح عن مقدار ما يكرهه صاحب المخلص لصاحبه^٣ .

هو^٤ هم اشهر من اتصل بهم الجاحظ من عظماء الدولة . لكنه يحسن بنا ان لا نترك الكرم قبل ان ننسب الى ان هناك كثيرين اخرين اتصل بهم الرجل في مناسبات ولا رامر مختلفة . نذكر منهم سهل بن هارون صاحب بيت الحكمة والحسن بن سهل الكاتب المعروف والحسن بن وهب الذي استمع له في المسجد وابن رباح الذي كان على بيت المال وابراهيم الصولي الذي تولى الديوان مدة من الزمن وابنه محمد الذي ذكره ابن خللكان وأثر اسمه ابو الوليد الذي كتب له رسالة استنجاز العهد ونجاح بن سلمه الذي قال فيه قصيدة نذكرها في الفهرس وارسل له كتابا خاصا نذكره في سرد كتبه . هذا بالإضافة الى كثيرين غيرهم من من لم يكن لهم بهم اتصال مباشر .

اما نتيجة هذا الاتصال فهو كما قلنا تحسين مركزه المالي وارتفاع مستواه الاجتماعي واخيرا اعضاءه الصبغة الرسمية في الكتابة لانضمامه تحت لواء هؤلاء الكبار . فاستماع ان يغزل في خلد الفراء وفي حرية الطباع وفي الرد على كل الفرو الاخرى تفريبا بجملة . ووضوح عناد وقوة نفس ايام الامون .

ثانيا - نصيبه من الحياة

كلما ذكرنا الحياة ونصيب الجاحظ منها ترتسم امامنا صورة الجاحظ الضلل الاسود المشوه الخلقة . الذي مات ابوه فاضح يتيما والذي قل ماله فعار فقيرا والذي جفاه اصحابه فانزوى وحيدا والذي كرم عاد من المسجد وليس في بطنه شيء الى بيت ليس فيه شيء لا يحمل الا كتابا في يده ولا يملك الا ثوبا خلقا على جسمه والله يعلم ما اذا كان قد احتذى شيئا في رجليه - فنقول ترتسم امامنا صورة على هذا الشكل وقد دخر على امه يدلب منها ما ياكل فتقدم له طبق الكواريس وتقول له كل/بدا لك .

هذا الطفل المسكين البائس ، الاسود ، المشوه الفقير ماليا ، الحقير اجتماعيا ، الضعيف نسبيا ، العاشي في مهب الريح - هو الذي سستدبر به اديام وعلو به النجم وشنير به زحل الى سعد فيص بجزأؤ . وابتسامة أمل (لا ينقصني الا ان تكون الخدافة بيدي وان يحمل ابن الزنا بامرؤ) . لهذا الحد وصل الجاحظ والى بعض النسخ في كيفية ذلك التغير نتحول

١ - ماليته = لقد ظل رزق الجاحظ قليد ومورده ضئيلا . تارة يعتمد على بخيل واخرى يبيع السمك وثالثة يبلون لأأمه . حتى بلغ سن الرشد على ما تظن . وحتى أنسر من نفسه الكتابة للكتابة . فآخذ يستمع فله ويخط اولى رسائله ويبحث بها للسوق عساها تعود اليه بما يتبلغ به ويساعده على مهام الحياة . الا ان القوم كما قلنا قد تنكروا له وجهمرتهم اعرضت عنه واكروهم راح يظعن فله ويغمر كبه . ولعل للحسد الذي فطر عليه اكثر الناس نصيبا في ذلك وقد اشار الى كل هذه المضايقات في اول كتاب الحيوان حيث سرد جانبها لا بأس به والقي نورا منيدا على غيب كبه ومتنقصي ادبه . وصرح بان سياسته ازا هم لم تزد على سياسة " انهم

قم جهال علينا بقع عبء تعليمهم ولذا يجب علينا ان لا نغضب".

الا ان سعة الصبر وطول البال وكثرة الحلم اضرت بالرجل . نأثمه لم تعد تُجده والبخيل قد ازداد شدة والأمال التي كان يبنيها على كبه لم تتحقق، والبصرة كما يبدو ليست بالبلد الكبير . لهذا رحل لبخداد حوالي سنة ٢٠٤ لغرس لا نعرفه الا اننا نرجح انه لم يذخر عن نفاق ثلاثة : إما للسلب العلم الذي اتى علي ك مصادره في بلده . وإما لطلب الجاه والمال اللذين يسمى لهما كل مدلول اجتماعي . وإما لاعطاء العلم والتدريس في بخداد بعد ان شعر بان في وعابه شيئاً . ونحن نرجح ان الثالثة قد عملت متأثرة في نقله من البصرة لبخداد . على كل حال جاء بخداد واحتت بالمامون فاعطاه واكرمه . واحتت بابن الزيات فاحذ منه خمسة الاف على كتاب الحيوان واربعمائة جريب هبة لسوابق وغيرها وغيرها كثير . ثم التحق بابي دودان فاعطاه خمسة الاف على كتاب البيان وامده بما لا نعرف على وجه التأكيد الا اننا نستنتجه من تلميحاته اليه في المعاد والمعار . ولا ننسى ابراهيم الصولي الذي وهبه ضيعة كاملة^(١) اما التي بن خافان فقد كاد يقطع لسان الجاحظ عن كل سؤال . بالآفاق الى التعيينات التي كان يقضي من بيت المال والهدايا التي كان يستلم من اماكن مختلفة والبهات التي كان يستقبل من المعجبين بلاديه . وان نسينا نلن ننسى مورداً من اهم موارده خصوصاً في هذه الفترة خصوصاً بعد ان ذاع صيته وتناقلت الناس اقواله نعتي بيعات كبه .

هذه هي الموارد التي حسنت حالته المالية . اما مظاهر ذلك التحسن فاليك اخباره بكل اختصار منقولة لا عن غيره وماخوذة لا عن سواء بل منسوجة بالحروف من كبه المختلفة قال الجاحظ كان لي غنم^(٢) وغنم اخر^(٣) . وقلت لنفيس عربي^(٤) . وكان لي خادم خدم اهل الثروة واليسار واشياء الطوك^(٥) . وكان لي^(٦) ان رم لي غلمان^(٧) . كل هذا عن الغلمان . اما عن الجوارى فقال انما انا جارية وجارية تحدهما^(٨) ناسم بالله . اما عن المظاهر الاخرى فقال كان لي نجار^(٩) وكان لي مئ^(١٠) وكان لي بستان زرع فيه الاراك^(١١) . هذا بعمر ما استصعنا ان نبتدى اليه ونستغنى في كبه وهو مما لا نشك فيه جانب بسيط مما كان عليه الجاحظ . ولو لم يكن له الا خادم خدم الطوك ، او لو لم يكن له جارية عادية وانما جارية لتخدم الجارية او بالاحرى "مسرة" لكن اشارة الى المركز المالي العظيم الذي وصل اليه ذلك الطفل الاسود المشوه الذي اشرنا اليه . ولكي يؤكد لنا بجلاء لا يشوبه شئ من المبالغة صحة ما استنتجنا

قال بلمجته التي طالما عرفنا الخوض ، وصدق الدلالة ، والفسد الى المعنى الوافعي فيها، جوابا
 على سائل سألته كيف حالت يا ابا عثمان (انك انا وجارية وجارية تخدمها . اهديت الحيوان
 لابن الزيات فاخذت عليه خمسة الاف دينار واهدت البيان لابن ابي دؤاد واخذت عليه خمسة
 الاف اخرى . فعدت الى البصرة ولي ضيعة لا تحتاج لتسميد وانا الان بانتظار الفرج . قال
 وما الذي يا ابا عثمان فان ان تاتيني الحرفة وان يتكلم باسمي ابن الزيات^١ . الى هذه
 الدرجة وصاحب ابو عثمان والى هذه العاية امتدت به الاحكام . ونحن نحمد الله على ان لم يات الفرج
 والا ضاع علينا الكثير من درره . الا انه يحسن بنا ان نذكر الى جانب هذا ان الجاحد مات
 فقيرا وهذا مستنتج من جوابه لمن سألته في مرضه كيف حالك يا ابا عثمان فقال

مريض من مكانين من الافلاس والدين

وقبيل ذلك اضطر لتعليم الاولاد في كتاب . بعضهم فان انه كان يُعَلِّم ليفيد وبعضهم فان
 بل ليكسب قوة يومه . ونحن الى الثاني امين . والسبب في سباح كل هذه الثروة على ما يظهر
 لنا من مجمل اصنافنا على سيرته اولا حبه للمعنى بالحياة . والتفت لا يكون " ~~لا يكون~~ بيلانز"
 فالذي يفتني جارية وجارية تخدمها لا يفتن ان يقال عنه انه احجم عن الحياة . ثانيا كرمه وسخاؤه
 واحتقاره للمال فهو في حين يقول فائق الله الصنع واخذ الحرص يرون يكتب رسالة ثالثة في زم
 البخل وكثابا طويلا يعد من درره في الهز بالخلاء .

٢ - مركزه الاجتماعي = هذا عن الناحية المالية . اما الاجتماعية نحدث عن البحر ولا حرج .
 فالجاحظ وان لم يتبوأ مراكز رسمية يد على العكس استفاد منها بعد ان نالها - نقول بالرغم من ذلك
 كان صاحب كلفة في اكبر المحافل وذا رأى لدى اكبر الناس . وللقاء خو^٢ على هذه الناحية نورد لك
 اولا رسالة التتج اليه ثم نذكر ان كثيرين من الناس كانوا يتشفعون به لدى الولاة^٣ واخيرا نرجع
 القارئ الكريم ثانية ليقرا وحيد النظر فيما قال هو بنفسه^٤ على جواب السائل الذي مر ذكره بخصوص
 حكاية الخلافة وابن الزيات .

اما رسالة التتج اليه فيستنتج منها اولا انه يحبه كثيرا . ثانيا ان الخليفة ييسر اليه
 نالنا ان كبه كانت تقدم للعطاء اولا ^٥ رابعا ان له اعطيات معينة لدى الخليفة . وللتحقق
 في هذا راجع رسالة التتج المنشورة في معجم ياقوت .

اما حكاية الشفاعة فهي وان كان لا يعيننا نصبا في هذا المقام الا انها تشير بوضوح الى انه وحل المركز الذي اضطر الناس في ايامه الى ان يرجعوا اليه ليشفع لهم او يبيح بهم عند الولاة . والباحظ وان لم يكن قد قيل ان يتشفع الا ان الرجل لم ياته عدوا بل عن سابق ارشاد وتدبير . ولعل السبب في رفضه هو انه كان يفضّل ان يعيتر حرا من فيود الشفاعة والوساطة وذلك بالناس المتشابهة التي تبعده عن درسه من ناحية وتُفلق راحته من اخرى . وانا اعرف كثر كثيرين من هذا النوع همهم الدرس والكتاب وكل ما عداهما تعلق الهامس . —

اما جوابه على السؤال الذي جُبه اليه فلما لا يحتاج لشرح . لقد قال السندويي ان تصريحه بخصوص الخلافة لم يكن معنيا بالحرف ان كان حقا قد صرح به وانما على سبيل المبالغة والدلالة على مقدار توفر اسباب الدنيا لديه . ولمعنى لقد اصاب السندويي كبد الحقيقة . فاجتماع الباحظ لا يدل على امال من هذا النوع قط . نعم لقد كتب في الامامة وتحدث عن اداب السلطان واصر الخلفاء وله في كل هذه اراء جليلة الا انه لم يورد عنه مثل هذا القصد في يوم من الايام انما نعتقد مع الاستاذ السندويي انها لم تكن مفصودة بالحرف وانما كان لعامل التنكح وخفة ارجل ابني عرب بها الباحظ نصيب كبير في الموضوع .

ولنذكر قبل ان نختم هذه اللوحة ان الباحظ اضطر اخيرا للانزواء في بيت حقير في البصرة بعيدا عن كل الناس . الا انه لحسن الحظ لم يفكر في العزلة والانزواء والحبس ولم يكره البشر وسيي الظن في كل شيء كما كان من امر ابي العلاء المعري . بل على العكس فتح بابا ووسع بيته ولم تلاميذه واستقبل زواره الذين تواجدوا اليه من كل الاقطار حتى من الاندلس . روي ان احدهم صرق الباب عليه ودخل . فوجده في زمة حوالي عشرين طفلا . فالتقى السلام وقال ايكم الباحظ . وتيل بل دخل عليه في بيته مع امراته فالتقى السلام وقال ايكم الباحظ . فطلع فيه الباحظ وقال ممن الرجل . فقال من الاندلس فقال طينة حقفا وما تفصد قال علم ابي عثمان . فقال الباحظ انصحك ان تعود مسرعا لانه لا خير نيك .

٣ — مركزه الادبي — هذا عن المالية ومن اجتماع الباحظ . اما عن الناحية الادبية فحدث عن المحيط ان كت فيما قبل حدثت عن البحر ولا حرج . لقد خلق الباحظ لكي يكون اديبا ولهذا فعقله بالفترة متقد . وحسه بالطبع مرهف . وتله بحكم الظروف كان سيالا . كتب

في كل شيء تقريباً واصفا نارة واناطة اخرى موصيا باراً من اجمل ما يكون في عدة اماكن .
 للعلم في اديه جانب وللدس اخر وللحياة العامة والخاصة زوايا وفن . ليست مادته هي التي
 جذبت اليه الناس فقط بل للصرفه الواقعية البسيطة التي اتخذها واسطة لعرض تلك المادة اثر
 في نفوس الناس ووقع في قلوبهم لمحبتهم به وفرتهم اليه . لقد انقسم الجمهور الى عدو وصاحب .
 لكن هذه سمة من سمات العظمة وواسطة لا بد منها لنشر اسم الرجل ومعه فضله . ولكي
 نشير الى (ولا نفور نشر) مرثزه الادبي الذي وصل اليه نهد القصيدة التالية مكتفين بها دون
 تعليق (روى ان كعبه وصلت الاندلس وان احدهم قد اتى الى بغداد خصوصاً ليستفيد من
 الجاحظ شخصياً واخذ عنه شفاهاً^(١) . روى ايضا (ان ابن الاخشاد مع فضله وعلو كعبه في
 الادب ارسل من ييحدث عن كتاب الفرق بين النبي والعتبي في عرفات^(٢) . وقال احدهم (الجاحظ
 ذات رئيس ادباء العربية بار مدافع^(٣) . وقال هو نفسه في التريخ والتدوير مخاطباً ابن عبد
 الوهاب (تخف يا هذا من تناول) وقال ابو هفال عندما قيل له لما لا تهجو الجاحظ (اتلي
 يحدع عن عقله فوالله لو كتب في رسالة لما اغتحت الا وذكرها في الصين . ولو قلت فيه الله
 بيت لما طن منها بيت واحد في الف سنة^(٤) كل هذه قصص روايات واقوال ان كانت لتدل
 على شيء فانما على الدرجة التي وصل اليها الرجل من العزة والمنعة وسعة الانتشار .

ثالثاً - اخبره وشمائله

كان الجاحظ مرمواً^(٥) . فيه ميل للقصر كما دافع عن نفسه في التريخ والتدوير ضد
 هجوم ابن عبد الوهاب على القصيرين^(٦) . وكان اسود البشرة . كما قال عنه اكر مؤرخي حياته
 مش ياقوت^(٧) وكما اكده ابن العزق في رواياته عن سواد جده فكانه اراد ان يقول " والسواد لون
 متأصل في اسرة الجاحظ وليس ظارناً عليها " . وكان جاحظ العينين كبير حدقتيهما^(٨) . كما حدث
 هو نفسه مما مر ذكره وما الصر به هذا اللقب الذي نال يحقه وذكره سماعه . والى جانب هذا
 كان صاحبنا دقيق العنق صغير الراس والادنين^(٩) . كما صر بلسانه في التريخ والتدوير ايضا
 اما السديني من الحديث فقد زاد على هذا فتصوره بلحية عريضة كبيرة كثة^(١٠) هي رمز الفح في
 اى مخلوق التصف به . وكانه عز على السنديني ان يغت هذا النوع من الفح الجاحظ او صعب
 عليه ان يغت مؤرخي حياته ذكره نجاء متاخراً يلصقه به ولو في رسم تخيله له . اما من اين اتى

بهذه الحية **فد نعرس** . **اذ** ان واحدا من المصادر لم يذكرها . لكننا نظن ان السندوي تخيل ضرورة وجودها لان ارخاء اللحي كانت " المعوضة " السائدة في تلك الايام . فاحب ان لا يحرم جاحشنا من لحيته . الا ان غيره كان اجمع منه (ارض السندوي) في وصفه للجاحظ اذ قال لو يمسح الخنزير منسحا ثانيا ما كان الا دون فبح الجاحظ رجل ينوب عن الجحيم ^{بريحه} ^{بمقله} وهو الفذل في كل طرف لاحظ^١

كل هذا ما استعصنا ان نجعله من صفات الجاحظ سواء من كتيبه رسائله او من كتابات من جاء بعده عنه . ومني كما ترى ملاحظات قصيرة مقتضبة الا انها مع ذلك تعطينا فكرة عامة عن سمرة الرجل الشخصية يستطيع الفنان الماهر بمساعدتها ان يصنع له رسما يدل لا على شخصه فقط بل على روحه ايضا . اما هذه الذكرى العامة فهي ان خلقة الرجل كانت في غاية الفبح والدماة . وقد توارثت الروايات على هذا حتى لم يعد هناك اى مجال للشك فيه . ومن احسن ما بقي لنا من هذه الروايات او الحكايات او النوادر او سمعها ما شئت ما يلي

اولا اجتماع رجلين يتحدثان عن هذا الفبح . وبعد ان اتفقا على انه كان في الذرة منه قال احدهما لبيته يعود الى بطن امه لعل الله يصلحه ثم يخرج من جديد . فما كان من الثاني الا ان قال وهو تنص ان الله بحاجة الى ارشاد . انه لن يفعل هذا ابدا . انه يعلم ان خلقه من جديد اسهل عليه من محاولة اصلاحه^٢ .

ثانيا قال هو عن نفسه ما اخجلني الا امرأتان ادولى طليت مني ان اتبعها في احد اسواق البصرة . فتبعتهما حتى اتينا دكان صانع تماثيل . فاشارت الى التماثيل وقالت^٣ : مثل هذا وانطلقت من فورها . سألت الرجل الخبر . فقال جاءني تطلب مني ان اصنع لها تمثال شيطان فلما قلت لها لا اعرف جاءني بك . واما الثانية فصوله جميلة تعلم فيها قلت لها انزلي الى عالمنا يا هذه . فقالت ما لك لا تصعد فنرى وجه الله^٤ ؟

ثالثا وقال هو عن نفسه ايضا : قابلت طويلا تنظر الي شرا وقال كانك صموة في اُس حشر اصاب الحشر طش بعد رش وسكت . فصعدت فيه وقلت له اما انت . فقال ماذا . قلت اما انت ف كانك بعرة في ذيل كبش تدلدل هكذا والكبش يعيش

نضحك الطويل وضرب على كفي وقال غلبتني يا ابن الخبيثة^{١١}.

رابعاً - روي ان احداً حسن أعجبت بعقله فعاولت ان تزاوده عن نفسه باعتراضها اياه في الشارع إثر خروجه من الشاب . قالت له ما رايت يا ابا عثمان لو تنزوي فتنجب ولداً يجمع بين جمال جسي وكمال عقلك فيكون اعجوبة عصره . فسكت الجاحظ واعرق فليد نم امسك بلحيته بتره بعدها تطلع فيها وحدها بنظرة غابرة وقال وهو يعبر الطريق . كفات ياهذ وما يدريك لعله يأتي بفتح خلقي وكمال غرورك . ثم سار فما راته بعد^{١٢}.

كل هذه الحكايات تدل دلالة واضحة على قبح جُلُفه سوا في الوجه او في الضور او في جبل التكوين . بعضها قالها بنفسه وبعضها حاكه حوله للناس . والان ننتقل الى وصفه الخلقي بعد ان القينا نظرة على وصفه الخلقي .

كثرة الاخلاق التي اتصف بها الجاحظ والتي برزت واضحة جلية في كتبه رسائله وما كتبه عنه المحققون . ولو حاولنا الاتيان على جميعها بالسرد والشرح والتعليق لإحتجنا لكاتب كتاب كامل . لكننا مراعاة للظروف التي نحن تحت حكمها في هذه الرسالة سنذكر اهم تلك الاحراق ونقول اهم ما يمكن ان يقال عن ذلك ادم نقط .

١ - عدل الجاحظ = اول خلق تحب ان تقول فيه هو العدل . هذا الخلق الذي كاد يسمى بميسمه كل ما ترك الجاحظ من ادب سوا في الدين او في العلم او في غيره ما صعب بطابعه كل ما ورد عنه من روايات سوا في السخرية او في الجد او فيما بينهما . حتى لقد اصبح يخيّل الي انه لا يمكن الفصل بين السخرية " الجاحظ والعدل " - في نقله كان عادلاً . فقد نقل عن اعدائه مشد الحوار ورواه في كثير من الاحيان كما نقل عن اصحابه وقرومهم عندما راي ضرورة لذلك . واحسن مثال يمكن احذه على هذا هو مثال استاذة النظام . والنظام انسان معرض للخطأ كما هو معرض للصواب . عند الخطأ يجب ان يلام وينبه الى خطاه وعند الصواب يجب ان يشكر ويحار الى صوابه . لا ان يتغاضى عن جانب مؤخذ بعين الاعتبار جانب واحد وقع من قلب الكاتب موقع هو . والا كان ذلك الكاتب ظالماً لا عادلاً . ومعيذ عن الجاحظ وصف الظلم . فهو عندما راي في النظام جيلاً لم يتوان ثانية عن منحه رونقه الى عنان السماء .

وفي حين انه عندما وقع له على ما لا يجوز من الغلط لم يحجم عن يسلم سيفه السياف ويقول انه لم يكن ثقة. هذه كلمة في عدله في النقل الادبي. اما في العلم فلك من تحقيقه الدقيق وقصده للحقيقة العارية دون سواها ما يبهز العقل خصوصا اذا عرفت ان مثل هذا التحقيق لم يعمره احد من سابقيه او معاصريه. ولولا ان لتحقيقه بابا كاملا لانفضنا في جرثيماته. هذا عن عدله في الادب وفي العلم اما في الدين فيمكن ان نقول انه كان من المعتزلة الذين يسمون اصحاب العدل والتوحيد ولكن ان يكون رئيس الجاحظية تلك الفرق لا المعتزلة نحسب بل والمتطرفة في الاعتوال. سئل احدهم لماذا تسمون انفسكم باصحاب العدل. فان لانتا ننفي القضا والقدر. فان وما شان ذلك بالعدل. قال لانه لا يجوز ان يقال كما تقول الفرق الاخرى ان الله قدر علينا المعاصي ثم يعود ليعاقبنا عليها. لان هذا لا ينجيه من تهمة الصلح. اما نحن فنقول ان اعمال الانسان من خلقه وانه حر في تصرفه بل انه ليس مسؤولا عن كثير من اعماله غير الارادية ولهذا كان اذا ما اخطأ وهذه الله كان الله عادلا ولم يكن له على الله حجة في انه ظلمه. لقد اعتنق الجاحظ الاعتزال وتطرف في عقيدة العدل حتى لقد كفره من اجلها الكثيرون من الفقهاء روموه في الزندقة. والذي يذال البهتادى في برقه يرى من انواع السباب والشتم ما ينتزه الفلم الاديب عن تثراره.

الا انه يحس بنا ان ننكر ان عدد الجاحض لم يكن نظريا سبطوره في الكتب وقرنه في الوسائل ليطلع عليه الناس من بعده وهو عنه في عزلة انما كان عليها عار فيه طول حياته. روي ان احدهم جاءه ليشفع به عند حاكم فرفض. وعندما سئل لماذا قال لان الشفاعة لا تخلو من قول زور. والزور لا شك فيه ضرب من الصلح واخفا الحيفه. وروي الى جانب هذا حكايات كثيرة اخرى نسكت عنها لان الغرض ليس التعداد بقدر ما هو الاستشهاد.

٢ - كرم الجاحظ = هذا ثاني خلق يبرز جلليا في كحياته. الكرم بالرغم من فقره. والكرم بالرغم من فقره. طبع على الكرم والسخا فليس له عسا احجام. لقد قلنا نيا سبق انه ولد فقيرا. ثم قلنا انه غنى بعد ذلك. فكان علينا ان نسميه من الجملة الذين يغنون دفعة واحدة. وكان علينا ايضا ان نستنتج كما هو المعروف انه كان بخيلا. لكن الحقيقة غير ذلك. فقد كان كريما وكان يكره البخلا واليت بعض الشواهد. في اخر رسالة استنجاز الوعد قال (فاقن الله الحرص واخفى الطمع) وهذا ان دد على شيء فليس الا على ثروة كاملة في نفسه على هاتين الترتيبين عبر عنها بكل هدوء وسعادة بساتين الجميلتين. قد يقول البعض ان هذا كان

ان هذا كان نظريا في حياته وليس له من العملية نسيب . انذكيرا فما اولى الجاحظ بامر كان هو ابعد الناس عنها - لكن هذا يفسد عندما يعلم هو* البعيران الاول المولدة من الدنانير التي جمعها من هدايا كبه وان الضيعة الغنا* التي زرع فيها ادرات هاتر فيها مع جارية وجارية تخدمها . وان الخادم الدوحدم ذوى اليسار واشباه الموت كلما ناعت ميا* - ولكن كيد بلغت لست ادري . الا انني ادري انه عندما مات مات فقيرا . وانه قبيل ذلك اضطر لان يكتسب قوته من عرو جيبته بالتدليس في كتاب . وانه عندما سأل احداهم في اواخر ايامه والعرض يحزن في ضلوعه والمه يسرى في عظامه فيكاد يهدا = كيد . الت يا ابا عنان لم يكن من جواب الا مريض من مكانين من الانسلا والديس .

لم يمت الجاحظ فقيرا فحسب وانما كان مديونا ايضا مديونا والله اعلم بكم . ولو كان بعيده لما وصل الى هذه الدرجة . قد يقال ان افعال واقوال تضرب وتقال في مناسبات . يعتمد عليها من يريد منكر صحتها من يشت في الار فهاثوا لنا غيرها . الا اننا قبل ان تأتي بغيرها نقول اننا قد تأكدنا من صحة نسبة كل ما مر عن كرمه ومع ذلك خذوا هذا الدليل الثالث . احسن كتب الجاحظ على الاطلاق واقربها الى روحه وادلها على نفسه هو كتاب البخر* . نال هو* المنزى تقدم هذا الكتاب . لا لنفاش ونجار ونبرهن* ان الرجل كان كريما بل لنتركهم بفروعه لودهم وغيروا اراهم بانفسهم . كتاب البخر* هو اعجوبة الدهر في ذم البخر واسخرية من اهله . كتاب البخر* هو السيف الطاع الذي يملك شهرة في وجه كل بخيل ليسكت عن نثرته ويترك الدفاع عن نفسه ان لم يتحرك كريما . اقروا كتاب البخر* .

٣ - حسب الجاحظ - حياة = ثالث ناحية من نواحي حلقه نجب ان نتكلم عنها هي - ناحية حبه للباية . وهي كما يذكر غامضة يمكن وضع نواحي كثيرة تدتها والكلم عنها جميعا عنها . منها منه مربية الزمان ومنها كذلك العيل للتحلل ومنها ايضا الانانية بالاضافة الى المفهوم الواسع من التفتي بالحياة . وفي الاسطر القليلة التالية سنحاول ان نلقى نظرة على كل من هذه وان كانت جميعها يجمعها قولنا = حسب الحياة .

اما ميله للتحلل . وان كانوا لا يقولون تحلة كاملة - فهو خلق رماه به اعداؤه لما راوه من حلمه وسعة صدره واتساع افان عقله . فهو اذا نفى تحريم انواع الشراب في رسالة التنبذ ولم ير بأسا من شره قالوا هو متحلل من الفيرد الدينية . واذا سجن الى الجوارى واكثر متعبر / قالوا / في متعبر / من / اذبهيد

منهم قالوا هو متحلل من القيود الخلقية . وإذا سخر وتهكم قالوا لا وزن للزنجار
 وحدوده عنده . وما دروا ان كل حكيم متزن يقول بما قال الجاحظ يرى بما رأى . هذا من
 ناحية تحلله اما مذبذبة دهره نعم اذا راوه سائر السلطان وتبويده قالوا ليس بغريب فهو
 متعلق . واذا جرد قلعه يقول في العامة قالوا هو مداهن لا ياتي الا بالاسم وما دروا ان الحيلة
 ليست وجهها واحدا بل ذات وجه وان على الاديب الحق ان يقول فيها كلها . وكأن الاستاذ
 السندوي لم يشع بكل هذه الطعاع حتى راج "ضيف الى الحروف نقطها" فيتهمه بالانانية . اما
 من اين اتى بهذه الانانية او من ماذا استنتجها او كيف اهتدى اليها فلان بالرغم من اننا طالعنا
 اكثر ما بقي لنا من ادبه وما قيل فيه لم نجد لمثل هذا راحة . لكننا نقول ان هذا كان
 استنتاجا شخصيا استنتجه السندوي من ابتعاده عن الناس وحلوه للخلوة . فهو لم يقبل
 وظائف الدولة وهو لم يوافق على استئصال من استئسف به وهو الى جانب ذلك كان ناثرا على
 اكثر النظم ولم يتفدها كما لا يرى الا نظامه . نفوس لمن هذه الظواهر التي فادت السندوي
 الى استنتاجه . ولو علم صاحبنا ان العالم الحر هو الذي يفعل ذلك واكثر منه اى يعتمد عن
 الناس ليدخلوا الى كعبه لما استنتج ما استنتج ولما قال ما قال . والجاحظ كان عالما وكان ادبيا
 وكان الى جانب ذلك فيها له في الفرفرة مشهورة . فكيف يكون كذلك وهو اناني . كيف يتبعه
 اصحاب فرقته وهو اناني . وكيف يكون فيه صفة العدل وهو اناني . بل كيف يكون كريما وهو اناني .
 الجاحظ لم يكن انانيا اولا لان المصاهر لا تدل على انانية وثانيا لان احدا لم يذكر ذلك واحيرا
 لان عندنا دلائل كثيرة تدل على العكس .

انما يقال باختصار ان الجاحظ كان يحب الحيلة . لكنه لم يكن يحبها كما يحبها غيره الكثر
 الكيرون . اى يتضحى كل شيء في سبيلها . او لم يحبها لانه اضعف من ان يقام مغرياتها
 انما احبها لفرقة فيه تالية تحكمت بعقله واستبدت بكن ما فعل . احبها لانه كان واقفيا .
 خياله ضعيف ولذا لم يحلم بمدينة فاضلة . وعقله حفيف ولذا لم يتصرف كثيرا للنظريات البعيدة . هنا
 نعيش . وحسب هذا يجب ان نتكيف . لا ان نعصم جسيما في عالم مروجيا في لوجه اخر .

٤ - واقعية الجاحظ = هذه الواقعية جاءت الرابعة في العدد الا انها

في الحق الاولى عندى في الاهمية . وقد سخر الجاحظ كل ما لديه من جسم وعقل وروح للعيش
 بحسبها . وقد هيئت هي عليه فتبعته كل حركة وسكنة منه بطابعها . الواقعية هي كل شيء

عنده وهي الخاتم الذى تجد اثره على كد ما ترك . في الدين كان واقعيًا ولهذا بطلت عنده اولا
التفريعات الخيالية والاوقاف الهوائية التي تعود غيره الواقعي بالدين وحل حلها تعاليم جديدة
عملية يتفهمها من يحاول مطالعة تعاليم الجاحظ . وبطلت عنده ثانيا تلك الرق العقيمة في اثبات
الدين والدفاع عنه مما كان يسميه (مهارات) وحل حلها الفتن والعقل واستعمال القوى المميزه .
والذى يظالم لا شأبه في الدين بحسب (حجج النبوة) بل وحتى الحيوان وما قيل فيه يتأكد من
صدق ما ذهبنا اليه . ادبه كان ادبا واقعيًا وعلمه كان علما واقعيًا ودينه كان دينًا واقعيًا وديانه
في كل جزئياتها كانت كذلك . اما لماذا ناعتقد لانه سبر الحيلة في جحيمها ونعيمها وأطلع
على كل خفاياها .

هـ - هزله وجيده = على هذين نظير . نظر الجاحظ . ومن الغريب

انهم متنافسان وقل ان يجتمع في واحد عالم يكن من الذين يجمعون بين المتناقضات . الا ان
الجاحظ كان صاحب تضاد وقد جمع بينهما . وعلى هذا فليس من الغريب ان يجمع بين المتناقضات
انما الغريب فيه ان يكون مبرزًا في كليهما . فنكتة الجاحظ لا يكاد يعدلها نكتة وحكمة الجاحظ
لها في المناشير وقع كبير . ونحن نرى ان الجاحظ في جميعه قد رُكِبَ على الجسد والعبوس .
لان حياته الاولى لا تولد ولا توحى بعبر ذلك . لكنه غني ونسيم فيما بعد فجاءته الابتسامه والسرور
وعندما تطورت به الايام وشرته السنون وتجمع لديه المنصران صهرهما في اتونه ثم خلق منهما كيانا
جديدا هو الثيان الادبي الخاسر بالجاحظ الذى يبرز فيه هذا المنصران واضحين . والدليل
على هذا ان رسائله الاولى مثل العباسية مشلا كلها جادة رزينة لا عبث فيها ولا مداعبة . في
حين ان رسائله الوسطى قد عنت عليها هذه النكهه طغيانا عظيما مش رسالة الجد والهزل . واذا
تقدمنا الى ما الع في شيخوخته ونعني البخلاء والحيوان والبيان وجدنا التزعين مما قد دمجت
واحسن دمجها . كثيرون الذين قالوا ان جانب الضحك في خلق الجاحظ اقوى من الجد . واكثر
منهم الذين راوا العكس . الاولون يستشهدون بهذه النكات الكثرة الواردة عنه . ومذكرون هذه
الرسائل المضحكة التي خلفها اذا ما طُلب ذلك - في حين ان الآخرين يستشهدون بعجل حياته
وهذه الرسائل الدينية الجامدة التي خلفها ايضا اذا ما طُلب ذلك . اما نحن فاننا نميل الى الراي
الثاني وهو ان الجاحظ كان في مجمل طبعه جادا لكنه كان في كثير من الاحيان (وهو يربف الناس
في برجه العاجي) كان يرى سيروهم على غير هدى وكان يحسب حماقاتهم دون ان يدركوا ، فما
كان يملك من ان يعود الى دفتره مسطر هذه المسخانات وضحك من هذه الحفافات حتى يكل .

ثم يحسن هذه الكتب فيضحك لها من بعده جميع الناس .

٦ = اخذنى اخرى = مثل حلمه ومثل دهائه ومثل اعتداده بنفسه وشروبه
ذهنه ومثل تواضعه ومثل غيرها كثير نمت عن الاغاضة فيها ونكفي بالتلميح اليها اولا لان الضروف
لا تساعد وثانيا لانها لم يكن كبير اثر في حياته الخاصة واخيرا لانها لم تبرز وانحة في ابدية
لدعوة تضطرتنا معها أن نتكلم عنها بأسهاب .

هذا هو الجاحظ . الفقير الغني . الحفيظ العظيم . (للجهل المكنون المحبوب
الجاهل العالم الذي بكل اختصار جمع المتناقضات ووفق بين الاضداد بل حتى اصططلحت عليه
حتى اضداد الامراض^{وعفوسا} . فعات رحمه الله عنه عنفلا كما يوسر^{الرايم} الرايم

لظروف نية القاهرة اضطررنا لاتباع هذا الاسلوب في الاشارة الى المراجع التي
رجعنا اليها في كتابة الفصل الاول من الرسالة . نعتذرة والسلام .

صفحة	رقم	مرجع	صفحة	رقم	مرجع
١١	١	سندوي ١٧٢	١٥	١	مج ١٢٦
	٢	ح ٥٤/٧		٢	كامل ٢٨٣/١
	٣	مج مسعودي ٣٨/٨		٣	كرد ٣١٥
	٤	ياقوت ٥٦/٦		٤	ياقوت ٥٦/٦
	٥	وفيات ٥٥٣/١		٥	ابن حنم ١٩٥/٤
	٦	ابو النداء ٤٩/٢		٦	كويرلي زاداد ٨٣
	٧	ابن الوردى ٢٣٣/١		٧	طه حسين في " الجاهلي "
١٢	١	ياقوت ٧٨/٦	١٦	١	كرد ٣١٥
	٢	سندوي ١٥		٢	كرد ٣٢٤
	٣	ابو النداء ٤٩/٢		٣	سندوي ١٩٧/١٠
	٤	ابن الوردى ٢٣٣/١		٤	بيان ١٨/٢ ١٥/٣
	٥	بيان ٢٤٤/١	١٧	٥	كرد ٣١٥
	٦	البخدادى ١٦٢		١	سندوي ١٣
	٧	السيوطي ٢٥٤		٢	ياقوت ٦١/٦
	٨	ابن حنم ١١٥/٤		٣	ح ١١٤/٣
١٣	١	ياقوت ٥٦/٦	١٨	١	ح ٦/١
١٤	٥	وفيات ٥٥٣/١	١١	١	سندوي ١٢
	١	ياقوت ٦٢/٦	٢٠	١	سندوي ١٦٩
	٢	سندوي ١٥		٢	ح ١٣٤/٣
	٣	مقدمة البيان ٢/١		٣	ح ٢٠٢/٢
	٤	مقاييس ١٢	٢١	١	ب ٢٤٣/١
	٥	مقاييس ١٤٨		٢	ح ٥٦/٢
	٦	مقاييس ١٢		٣	ح ١٥/٢

صفحة	رغم	مراجع	صفحة	رغم	مراجع
٢٢	١	ياقوت ٨٠/٦	٢٩	١	كرد ٣١٧
		ونيات ٥٥٥/١		٢	ح ١٥/٧
	٢	ياقوت ٥٦/٦		٣	ح ١٠١/٣
	٣	مقدمة البيان ٦/٢		٤	ح ٤٥/٢
	٦/٤	شفيق ٠٠٠١٠		٥	ح ١٠٠/٣
	٧	مقدمة البيان ٦/٢		٦	ح ٥١/٤
٢٣	١	ياقوت ٧٩/٦		٧	ح ١١٣/٥
	٢	ونيات ٥٤٤/٨		٨	ح ٥٦/٤
	٣	عصر الامون ٤٢٨			صبح ٣١٨/٢
	٤	ياقوت ٥٦/٦		٩	ونيات ...
	٥	ونيات ٥٥٤/١	٣٠	٥/١	شفيق ٦٧ ...
٢٤	١	سندوي ١١	٣١	٤/١	شفيق ٦٧ - ١١
	٢	مقابسات ٠٠٠١٠		٥	مرتض ٣٠
	٣	البخدادى ١٦٢		٦	ح ٨٣/٢
	٤	ابن شهيد في مبارك		٧	ح ١٠٦/٤
	٥	ياقوت ٥٦/٦	٣٣	١	مقدمة البيان ١٦/١
	٦	كرد ٣١٥	٣٤	١	ياقوت ٧٥/٦
	٧	بح ١١٤		٢	ياقوت ٧٩/٦
	٨	ياقوت ٥٦/٦		٣	سندوي ١٨٩
٢٥	١	ح ٥/٢		٤	ياقوت ٧٤/٤
	٢	مقدمة البيان ٧/٢		٥	سندوي ١١٢
	٣	ح ١٦٢/٣		٦	ياقوت ٨٠/٦
٢٦	١	ب ٧٠/٢	٣٥	١	ب ٢١١/٣
٢٧	١	٢٢٤/٣		٢	ياقوت ٥٨/٦
	٢	بح ٥٠		٣	ياقوت ٥٨/٦
٢٨	١	ياقوت ٥٦/٦		٤	ننكل ٤٣ ...

صفحة	رقم	مراجع	صفحة	رقم	مراجع
٣٦	١	ابن عسائر ٥٢/٦	٤٠	١	سندوبي ٣٣
	٢	مرتضى ٣٨		٢	ياقوت ٦٢/٦
	٣	مرتضى ٣٩		٣	ياقوت ٦١/٦
	٤	كراوس ٦١	٤١	١	ياقوت ٧٥/٦
	٥	مج ٢	٤٢	١	ياقوت ٧٤/٦
	٦	سندوبي ٣٣		٢	ياقوت ٧٣/٦
	٧	حيوان ٠٠٠		٣	ادباء البكوريا " جاحظ"
	٨	كراوس ٢		٤	مج ١٢٦ ٠٠٠
	٩	كرد ٣١٨		٥	ياقوت ٧١/٦
	١٠	نفسه		٦	مج ٨٨
٣٧	٢/١	ياقوت ٥٨/٦		٧	ياقوت ٥٦/٦
	٣	ياقوت ٧٢/٦		٨	مج ٩٠
٣٨	١	سندوبي ٣٣		٩	ابن خلكان ٣٨٨/١
٣٩	١	ياقوت ٧٦/٦		١٠	اول " ابى الجاحظ"
	٢	ب ٢٢٢/٣	٤٣	١	دائرة البستاني " جاحظ"
	٢	ج ١١/٤		٢	نفس المرجع
	٣	ب ٢٢٦/٣		٣	سندوبي ١٦٦
	٤	ب ٢٣٠/٢	٤٤	١	سندوبي ١٧٠
	٥	ج ٤٦/٢		٢	ادباء البكوريا " جاحظ"
	٦	سندوبي ٣٣			
	٧	ج ٨٥/٣			
	٨	ب ١٣٥/٢			
	٩	كرد ٣٨٧			
١٠	١٠	ج ٨/٣			

المثل البشري : كتب الجاهل

١. سر دك
٢. تحقيقه في ذل الرد
٣. وصف الباقيات . ونظرة تقدير

المقالة الاولى في تعداد كتيبه

- ١ - الايسل = مذكر في ياقوت ٧٦/٦ . لا مخطوطة . لا مطبوعة . ضاع
- ٢ - ابو النجم (رسالة الى - وجوابه) = ذكره السندون ٤ . لا مخطوطة . لا مطبوع.
- ٣ - اثم السكر (رسالة في -) ذكره ياقوت ٧٨/٦ .
- ٤ - احالة القدرة على الظلم = ذكره ياقوت ٧٧/٦ .
- ٥ - احتجاج البخلاء = ذكر في الحيوان ١٢/٢/١
- ٦ - الاحتجاج لنعم القرآن = ذكر في الحيوان ١/٥/١ - وطبع في هامش الكامل الثاني بين ١٢٢ و ١٤٦ . قال السندون ان الباقلا في طعن فيه في الاعجاز .
- ٧ - احدثه العالم = ذكره السندون ٢ .
- ٨ - الاخبار = ذكر في الحيوان ١/٥/٦ وفي ياقوت ٧٧/٦ .
- ٩ - الاخبار وكيف تصح = ذكره ياقوت ٧٦/٦ .
- ١٠ - الاخطار والتراتب والصناعات = ذكره السندون ٩ .
- ١١ - اغلاق الشطار = ياقوت ٧٨/٦ .
- ١٢ - اخلاق الفتيان ونسائل اهل البطالة = التلج ٢/٣/٠ .
- ١٣ - اخلاق الملوك = ياقوت ٧٦/٦ .
- ١٤ - اخلاق الحمودة والاخلاق المذمومة = لم يذكر . يوجد منه مخطوطتان الاولى في الموصل رقم ٣/٢٦٤ والثانية في داماد رقم ١٤٩ / ٢ .
- ١٥ - الأخوان = ياقوت ٧٧/٦ .
- ١٦ - الادب = العقد الفريد ١/٣١١/٢٥ .
- ١٧ - الاستعداد والمنارة في الحرب = ياقوت ٧٨/٦ .
- ١٨ - استحقاق الامانة = لم تذكر . منها مخطوطة في الملحق البريطاني رقم ٢٠/ ١١٢٩
- نشرت في ثنائي الكامل ٢٢٠/٢١٢ و ٢٦٩ / ٢٦١ . وفي رسائل السندون ٢٦٠/٢٤١
- وفي ريشر ١٦٨ / ١٢٩ .
- ١٩ - الاستطاعة وخلق الافعال = ياقوت ٧٧/٦ . والسندون ص ١١٨ .
- ٢٠ - استطالة النعم = خفاجي ١٠٤ . منشور في الخفاجي ١٠٤/١٠٤ .
- ٢١ - استنجاز الهدى = لم يذكر . منه مخطوطة في الملحق البريطاني ١١٢٩/٢١

- ٢١ - منشور في المجموعة ١٧٣ ب ١٧٢ وفي ثاني الكامل ٢٢٠ - ٢٢٢ . وفي ريشر ١١٥ - ١١٩ . وخصوصه راجع ص ١٧٥ و ١٧٦ منه .
- ٢٢ - الاسد والذئب = ياقوت ٦ / ٢٨ .
- ٢٣ - الاسماء والكسوف = بيان ١ / ٢٢٢ وكذلك بيان ١ / ١١١ .
- ٢٤ - الاسم والحكم = حيوان ١ / ١٤٩ / ٢ .
- ٢٥ - الاشجار (كتاب في) = كرد علي ٤٠٣ .
- ٢٦ - اصحاب الالهام = حيوان ١ / ٥ / ٥ .
- ٢٧ - الاصنام = حيوان = ١ / ٣ / ٥٠ راجع السندوي ١١٩ .
- ٢٨ - اصول الدين = ابن خلكان = ١ / ٣٨٨ / ١٠ .
- ٢٩ - اصول الفتياء والاحكام (في -) = حيوان ١ / ٤ / ٢٣ .
- ٣٠ - اطعمة العرب = الدائني ٢ / ٤٩ / ٢٩ .
- ٣١ - الاعتزال وفضله = السندوي ١١٩ .
- ٣٢ - اختيار الشتاء والصيف = ياقوت ٦ / ٧٦ .
- ٣٣ - افعال الطبايع = سندوي ٢٤ .
- ٣٤ - اقسام فضول الصناعات وراتب التجارات = حيوان ١ / ٢ / ٢٠ .
- ٣٥ - الامامة = بيان ٣ / ٢١١ .
- ٣٦ - الامامة على مذهب الشيعة = ياقوت ٦ / ٧٦ .
- ٣٧ - امامة امير المؤمنين معاوية = ياقوت ٦ / ٧٦ .
- ٣٨ - امامة بني العباس = سندوي ١٢١ / ٧ .
- ٣٩ - امامة ولد العباس = مرج ٦ / ٥٥ / ٧ .
- ٤٠ - امامة الروانسية = مرج ٦ / ٥٧ / ٢ . راجع ياقوت ٦ / ٧٦ والسندوي ١٢١ . وروكغن ٩
- ٤١ - امتحان عقول الاولياء = ياقوت ٦ / ٧٦ . وهي رسالة لأبي الفرج .
- ٤٢ - الامثال = ياقوت ٦ / ٧٧ .
- ٤٣ - امر الحكيم = لم يذكر . منه مخطوطة في ميلانو امبروزيانا ن ١٢٩ راجع بروكغن ١٥
- ٤٤ - الامصار = سندوي ٧ .
- ٤٥ - الامصار وجانب البلدان = مسمودي ١ / ٢٠٦ . راجع بروكغن ب ١٠ سندوي ١٢٤ .

- ٤٦ - الامل والامول = ياقوت ٧٨/٦
- ٤٧ - امهات الاولاد = سندوبي ٣٣
- ٤٨ - الانس والسلوة = سندوبي ٣٤
- ٤٩ - الاوطان والبلدان = ملحق البريطاني ١٥/١١٢٩
- ٥٠ - الاوقاف والرياضات = حيوان ٢١/٣/١
- ٥١ - اى القران = ياقوت ٧٧/٦ - راجع السندوبي ص ١١٧
- ٥٢ - البخلا = مرج ١٠/٢٤/٨ وكذلك ياقوت ٧٦/٦ . طبع باشراف الساسي ثم في دمشق
ثم في دار الكتب ثم في لايدن وترجمه رشو ٢٧٦-٢٨٨ . راجع كرد علي ص ٤٣٠ ولحمداين
في ضحى الاسلام ص ١٠٧ .
- ٥٣ - بصيرة غلام المرتد = حيوان ٦/٥/٢ وياقوت ١٠٠/١٦ والطبرى ٨/١٣٠٢/٣ . راجع
رسالة الفتح ابن خاقان اليه في ياقوت ٧٥/٦ وكذلك بروكلمن نمره ١٧ ب .
- ٥٤ - البخل = ياقوت ٧٥/٦ . قال انه ملحق
- ٥٥ - البلقه والاعجاز = ملحق البريطاني ١٦/١١٢٩
- ٥٦ - البلدان = ياقوت ٧٧/٦ وكذلك بلدان ياقوت ٧/٥٩٣/٢ وكذلك سندوبي ١٢٥ .
- ٥٧ - بني امية - زندان ٤/١٦٩/٢ منشورة في رسائل السندوبي ٢٩٢-٣٠٠ .
- ٥٨ - البيان والتبيين = مرج ٧/٢٤/٨ وياقوت ٧٦/٦ وابن خلكان ١٣/٣٨٨/١ وغيبة
السيوطي ص ٢٩٥ . من مخطوطاته في الاسكويال ٢/٢٢٨ ثم لينفراد ١٥٨ ثم داماد
زادى ١٥١٤ ثم في فاس ١٢٥٢ ثم في الموصل ١/١٥/٢٠٨ . منشور في نسخة
١٣٠١ و ١٣٢٢ و ١٣٢٧ و ١٩٢٤ . راجع السندوبي ١٢٦ وروكلمان نمره ١
- ٥٩ - بيان مذاهب الشيعة = المجموعه بين ١٧٨ - ١٨٥ ثم ريشر ١٩٧-٢٠٤ .
- ٦٠ - بين الصديق والكذب = حيوان ١٣/٢/١
- ٦١ - التاج = فهرس العقد الفريد لمحمد شفيح ١٢/٢٦/١ . الا ان العقد بذاته لابن عبد
ربه ذكره في لغيره ١٣/٢٨٧/٢ . وهذا الخصوص راجع مقدمه احمد ذكي بانها .
- ٦٢ - التيسر بالتجارة = منشورة في المجمع العلمي ١٢/٢٢٦-٣٥١ . وهذا الخصوص راجع
الكرملي ١٣/٢٨١-٢٩٩ ثم كرد علي ص ٤٣٠ ثم مجلة المجمع العلمي بالشام ١٣/٢٢٦ .
- ٦٣ - تحسين الاموال = سندوبي ٤١
- ٦٤ - التزييع والتدوير = ياقوت ٧٦/٦ . مخطوطة في الملحق البريطاني ٣/١١٢٩ . منشور
في المجموعه ٨٢-١٤٢ وفي هامز اول الكامل ٤٠-٩٧ وفي مثلت فلوتن ٦٨-١٥٧ وفي
رسائل السندوبي ١٨٧-٢٤١ وفي ريشر ٢١٢-٢٥٥ .
- ٦٥ - التسوية بين العرب والمجم = ياقوت ٧٧/٦
- ٦٦ - تصحيح الاخبار = سندوبي ١١٨ . راجع غنية الامل لاحمد ابن يحيى ٢/٣٨٨٧
وكذلك لغه العرب ٩/٣/١٧٤ وما بعدها وراجع ايضا ريشر ٥٥٢ وما بعدها
- ٦٧ - تصويب علي في تحكيم الحكيم = ياقوت ٧٦/٦ . يوجد منه مخطوطة في امبروزيانا في ميلانو
نمره ١٢٩ . وخصوصه انظر المجلة الالمانية ٧٧/٦٩ وانضر مقاله جريفي في مجلة
القرن لذكرى المستشرق هارمارى ١/٤٠٢-٤١٥ . وقال السندوبي ص ١٢٨ انه وجد تسما
منه . ونحن نقول ولعله " امر الحكيم ذاته الذى مر سابقا " .

- ٦٨ - الفلاح = سندوبي ٤٤ . ولعله اشجار كرد علي الذي مر بذكره .
- ٦٩ - تفضيل الاعتزال على كل نحلة = حيوان ٢/٥/١ .
- ٧٠ - تفضيل البطن على التهر = ملحق البريطاني ١٧/١١٢٩ .
- ٧١ - تفضيل صناعة الكلام = فهرست ٢٥/٣٠٠ . فان السمودي لعلها العاشية
وهذا الخصوص راجع السنديوي ١١٢ .
- ٧٢ - تفضيل النطق على الصمت = ملحق البريطاني ٢٢/١١٢٩ . منشورة في المجموعة
١٤٨-١٥٤ وفي هامر الكامل الثاني ٢٢٧-٢٣٧ وفي ريشر ١٨٦-١٨٧ . راجع ص ١٤٨
منها . ونحن نقول ولعلها فصل من البيان والتبيين .
- ٧٣ - التفكير والاعتبار = ياقوت ٧٢/٦
- ٧٤ - التمثيل = ياقوت ٧٧/٦
- ٧٥ - تنبيه الملوك = زيدان ٢٣/١٦٨/٢ . السنديوي أسماء - والمكايد ص ١٥٢
- ٧٦ - تنبيه الملوك والمكايد = سنديوي ١٥٢ منه مخطوطة شمسية بدار الكتب ٢٣٥٤ .
- ٧٧ - تهذيب الاخلاق = رأيته في مكتبة الجامعة اليسوعية معنونا باسم الجاحظ .
- ٧٨ - الجد والهزل = ملحق البريطاني ١٣/١١٢٩ وداماد ٦/١٤٩ والموصل ٩/٢٦٥ .
- نشره كراوس ٦١-٩٩ . اسماء السنديوي المن والجد ص ١٢٩ .
- ٧٩ - الجزء الذي لا يتجزأ = سنديوي ٧٨ .
- ٨٠ - جمهرة الملوك = ياقوت ٧٧/٦ .
- ٨١ - الجوابات = حيوان ٥/٥/١
- ٨٢ - جوابات المعرفة ياقوت ٧٧/٦ .
- ٨٣ - جوابات في الامامة = ملحق البريطاني ٢٦/١١٢٩
- ٨٤ - الجوارح = بيان ٨٠/١ .
- ٨٥ - الجوارى = ياقوت ٧٦/٦ .
- ٨٦ - الحاسد والمحسود = ياقوت ٧٦/٦ . الملحق البريطاني ١/١١٢٩ . نشر في المجموعة
١٣٢ وفي هامر الثاني ١٦-٢٦ وفي ريشر ١٨٠-١٨٢ . راجع ص ٢ منه .
- ٨٧ - حانوت عسطار = ياقوت ٧٧/٦
- ٨٨ - الحجاب = طراز الخفاجي ٧٣ . مخطوط في داماد ١٢/١٤٩ والموصل ١٠/٢٦٥
منشور في طراز الخفاجي ٧٣-١٦٥ رسائل السنديوي ١٣٥-١٦٨ ريشر ٥٢٣-٥٥٠

- ٨٩ - الحجاب وذمه = هكذا اسماء السندوي ١٥٥ .
- ٩٠ - الحجات = سندوي ١٢٩
- ٩١ - حجة او حجب النبوة = ملحق البريعاني ٨/١١٢١ . منشور في هامر الاول ٢٩٦-٢٧٥-
وفي هامر الثاني ١-١٢٢ وفي رسائل السندوي ١١٢-١٥٤ وفي ريشر ١١٢-١٥٩ .
ذكر في الحيوان باسم الحجة في تثبيت النبوة ١/٥/٥٠ . راجع كرد علي ٤٣٨
- ٩٢ - الحجر والنبوة = ياقوت ٦/٧٧ .
- ٩٣ - الحزن والعزم = سندوي ٥٨
- ٩٤ - حكاية سير قول العثمانية والضرارية = حيوان ١/٦/٥٠ .
- ٩٥ - حكاية عثمان الغياط في اللصور ووصاياه = موصل ١/٢٦٥ .
- ٩٦ - حكاية اصناف الزندية = ياقوت ٦/٧٦ .
- ٩٧ - الحلبة = سندوي ١٦٠
- ٩٨ - الحلبة = سندوي ١٣٠ .
- ٩٩ - الحلبة = ياقوت ٦/٢٨
- ١٠٠ - الحسين = فهرست ٢٣/١٥٥ . ذكره على انه لغيره . ٧٧٨
- ١٠١ - الحسين الى الاوطان = منشور في القاهرة سنة ١٣٣٣ . راجع ص ٤ منها .
- ١٠٢ - حيل صراق الليل = بخلاء ٢/١
- ١٠٣ - حيل لصور النهار = بخلاء ٣/١ .
- ١٠٤ - حيل اللصور = حيوان ١/٢/١٠ و خندادى ٨/١٦٢ . راجع ما قال البغدادي .
- ١٠٥ - حيل المكدين = خندادى ١٣/١٦٢ .
- ١٠٦ - الحيوان = بيان ١/٦٠ + ١٣٨ . بيان ٣/٣٢٣ . مرق ٨/٣٤/١٠٠ . ياقوت ٦/٧٥
- ابن خلكان ١/٢٨٨/١٢ . بغية السيوسي ص ٢٦٥ . مخطوط في عاشر ائندى ٥٨٤ وكذلك
في عاشر ائندى ٨٧٦ . منشور في القاهرة ١٣٢٥ . راجع ما قاله عنه هو٥٥٠ . بالاضافة
الى ما قال السندوي ١٣١ وكرد علي ٤٢٣ و ٤٦٤ و بروكلمن نمرة ٢ .
- ١٠٧ - خلق القران = حيوان ١/٤/٢١ .
- ١٠٨ - الخراج = ياقوت ٦/٢٥ قال انه ملحق .
- ١٠٩ - خصومة الحول والموور = ياقوت ٦/٢٨ . اسماء السندوي - النول والموور .
- ١١٠ - دلائل النبوة = ياقوت = ١٦/١٠٩ . راجع حجج النبوة .

- ١١١ - الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير = منشور . راجع بخصومه كرد علي ٤٢٨
- ١١٢ - الدلالة على ان الامامة فرض = ياقوت ٧٦/٦
- ١١٣ - ذكر ما بين الزيدية والرافضة = ياقوت ٧٦/٦ .
- ١١٤ - ذم الكتاب = ياقوت ٧٨/٦ .
- ١١٥ - ذم اخلاق الكتاب = داماد ٣/١٤٩ والموصل ١٣/٢٦٥ منشور في تنك ٤٠-٥٢ وفي ريشر ٦٢-٧٨ .
- ١١٦ - ذم الرضا = ياقوت ٧٧/٦
- ١١٧ - ذم المعلم ومحدثها = فاتح ٣٣٩٨ و (م.ف.و.) ٥٠١/٥
- ١١٨ - ذم القواد = داماد ١٠/١٤٩ راجع صناعات القواد .
- ١١٩ - ذم اللواط = بغدادى ٩/١٦٢ منشور في هامش الاول ٣١-٤٠ . وفي ريشر ١٠X الح .
- ١٢٠ - ذم التبسيذ = ياقوت ٧٧/٦ .
- ١٢١ - ذم العراق = ياقوت ٧٨/٦ .
- ١٢٢ - ذم الرافة = سندوي ٧١ .
- ١٢٣ - ذم العاهات = ياقوت ٧٨/٦ .
- ١٢٤ - الرافضة = مجموعة ١٨١ . ولعله ذكر ما بين الزيدية والرافضة .
- ١٢٥ - الرجل والمرأة = حيوان ١٦١/١ .
- ١٢٦ - الرد على اصحاب الالهام = ياقوت ٧٦/٦ .
- ١٢٧ - الرد على الجهمية في الادراك = حيوان ١/٥٠٧ .
- ١٢٨ - الرد على عثمانية = ياقوت ٧٦/٦ .
- ١٢٩ - الرد على القولية = ياقوت ٧٨/٦ .
- ١٣٠ - الرد على المشبهه = حيوان ١/٢٢٤ . ياقوت ٧٦/٦ .
- ١٣١ - الرد على من الحد = ياقوت ٧٧/٦ .
- ١٣٢ - الرد على من الحد في كتاب الله = سندوي ١٣٣
- ١٣٣ - الرد على من رم ان الانسان جزء لا يستجزأ = سندوي ٧٨ .
- ١٣٤ - الرد على النصارى = ياقوت ٧٦/٦ . منشور في هامش الثاني ١٤٨-٢١٩ وفي رسائل تنك ١/١ وفي ريشر ٤٠-٦٧ . ومخطوط في البريطاني باسم رد النصارى ١/١١٢٩ .

- ١٣٥ - الرد على اليهود - يافوت ٧٧/٦ .
- ١٣٦ - رسائل متعددة = حيوان ٢٢/٣/١ .
- ١٣٧ - الزرع والنخل = بيان ١٦٣/١ .
- ١٣٨ - الزرع والزيتون والأعناب = حيوان ١٩/٢/١ .
- ١٣٩ - سحر البيان = زبدان ٢٥/١٦٨/١ . مخطوط في كوبري ١٢٨٤ راجع (م. ١٣٤/٧)
- ١٤٠ - السلطان وإخلاق أهله = يافوت ٧٧/٦ .
- ١٤١ - سلوة الحريف بمناخرة الربيع والخريف = منشور بحلب .
- ١٤٢ - الشارب والمشروب = يافوت ٧٦/٦ . ملحق البريطاني ٢٨/١١٢١ . منشور في ثاني الكامل ٢٥١-٢٦٩ وفي رسائل السندوي ٢٧٦-٢٨٤ . وفي ريشر ١٦٣-١٦٨ .
- ١٤٣ - الشكر = صبح الاعشى ١٤/١٧٤-١٨١ .
- ١٤٤ - الشمعية = بخمة ٣٦٧ ، ٣٧٤ . ولعلها تلجج لما جاء في البيان والتبيين الثالث .
- ١٤٥ - السرحا والهجناء = مجموع م ٥٤ . حيوان ١٥/٢/١ . حيوان ١٢/١١٦/٣ . يافوت ٧٧/٦ .
- ١٤٦ - صناعات الفواد = الخفاجي ٦٧ . منشور في الخفاجي ٦٧-٧٢ وفي رسائل السندوي ٢٦٠-٢٦٦ وفي ريشر ٥٢٧ وما بعدها . بخصوصه راجع لجنة العرب ٥/٢١٤ .
- ١٤٧ - صناعة الكلام = منشور في هامش الثاني ٢٢٨-٢٦٥ وفي ريشر ١٥٩-١٦٣ . قال بروكلمان وتسمى ايضا في فضيلة - . وسأها المسمى تفصيل - .
- ١٤٨ - صياغة الكلام = يسافوت ٧٦/٦ .
- ١٤٩ - الصوالجيه = يافوت ٧٧/٦ .
- ١٥٠ - الطب = فهرست ٢٤/٣٠٠ .
- ١٥١ - الطبائع = يافوت ١٥/٩/٥ .
- ١٥٢ - طبائع الحيوان = بخدادى ١٦٢ .
- ١٥٣ - صفات المغنين = زبدان ١/١٦٦/٢ . ملحق البريطاني ٥/١١٢١ منشور في اول الكامل ١٢٠-١٣٠ وفي المجموعة ١٨٦-١٩٠ . وفي ريشر ٢٠٤-٢٠٦ .
- ١٥٤ - الطنجلين = مروج ١٠/٣٤/٨ . يافوت ٧٦/٦ .
- ١٥٥ - العالم والجاهل = يافوت ٧٨/٦ .
- ١٥٦ - العباسيه = حيوان ١٤/١/١ . منشورة في رسائل السندوي ٣٠٠-٣٠٣ . يقول

١٥٧ - العبر والاعتبار = ملحق البريطاني ١٨٤ .

١٥٨ - العثمانية = مرج ٠٨/٥٦/٦ منشورة في رسائل السندي ١٣/١ . راجع سندي ١٣٤

١٥٩ - العداوة والحسد = نشرها كراوس ١٩٩-١٢٤ . وطبع في لايدن .

١٦٠ - العرافة والزجر على مذهب الفرس = زيدان ٢/١٦٩/٢ . مطبوعة في لايدن سنة ١٢١٠

١٦١ - العرب والعجم = حيوان ٣/٣/١ .

١٦٢ - العرب والموالي = حيوان ١/٣/١ .

١٦٣ - العرجان = بيان ٤٢/٣ .

١٦٤ - المرجان والبرصان = ياقوت ٢٦/٦ .

١٦٥ - المرجان والبرصان والقرعان = بغية السيوطي ص ٢٩٥/٢

١٦٦ - العرس والعرس = سندي ١٢٩

١٦٧ - العشق والنساء = ملحق البريطاني ٦/١١٢٩ منشورة في المجموعة ١٦١-١٦٩ .

وفي هامش الثاني ٣٠-١٦٦ . وفي رسائل السندي ٢٦٦-٢٧٥ ويشر ١٨٨-١٩٤ .

١٦٨ - عصام العريد = ياقوت ٢٦/٦ .

١٦٩ - الحفو والصفح = ياقوت ٢٨/٦ .

١٧٠ - عمروا (نعيم يسى من الشعراء -) = ياقوت ٢٨/٦ . يشك بولكن فيما اذا كان

هو نفس كتاب محمد بن داود الجراح ص ٢٢٥ .

١٧١ - عناصر الادب = سندي ٩٨ .

١٧٢ - غش الصناعات = حيوان ١٠/٢/١ . ياقوت ٢٨/٦ . بنداى ١٦٢/٩ .

١٧٣ - الغيرة - حيوان ١٤/٢/١ .

١٧٤ - الفتيا = ياقوت ٢٦/٦ . بنداى ١٦٢

١٧٥ - الفتيان = ياقوت ٢٦/٦ .

١٧٦ - نخر السودان والبيضان = داماد ٥/١٤٩ . الموصل ٦/٢٦٥ . منشور في المجموعة

٨٢/١٤٧ . وثلاث نلوتن ٨٦-١٥٧ ويشر ٢١٠-٢١٢ .

١٧٧ - نخر هافس وهد شمس = سندي ١٠٢ .

١٧٨ - النخر بين عبد شمس وخزم = ياقوت ٢٦/٢ . راجع سندي ١٠١ .

١٧٩ - نخر القحطانية والمدنانية = ياقوت ٢٦/٢ . سماها في المجموعة ص = ٨١ نخر

عدنان على قحطان .

- ١٨٠ - فوط جهل يعقوب بن اسحق الكندي = ياقوت ٧٨/٦ .
- ١٨١ - الفرس على الهملج = ياقوت ٧٧/٦ .
- ١٨٢ - الفرق ما بين النبي والمُتَنَبِّي = حيوان ٨/٥/١ . سماها ياقوت النبي والمُتَنَبِّي ٧٦/٦ .
- ١٨٣ - الفرق في اللغة = قروان ناس ١٢٦١ . مجلة المعارف ٥٢/١٤ .
- ١٨٤ - الفرق ما بين الجن والانس = حيوان ١٨٧٣/١ .
- ١٨٥ - الفرق ما بين الحيل والمخارق = حيوان ٥/٥/١ .
- ١٨٦ - الفرق ما بين الذكور والاناث = حيوان ١٥/٢/١ .
- ١٨٧ - الفرق ما بين الملائكة والجن = حيوان ١٨/٣/١ .
- ١٨٨ - فضل اتخاذ الكتاب = سندويي ١٠٧ .
- ١٨٩ - الفضل ما بين المداوة والحسد = موصل ٨/٢٦٥ . ولعلها المداوة والحسد .
- ١٩٠ - فضل الفرس = ياقوت ٧٧/٦ .
- ١٩١ - فضل الفرس على الهملج = سندويي ١١٠ .
- ١٩٢ - فضل العلم = ياقوت ٧٦/٦ .
- ١٩٣ - فضل المولي على العرب = عقد ج ثاني ٢٥/٧٤/٢ . وخدادى ٢/١٦٢ .
- ١٩٤ - فضل هاشم على عيد شمس = منشور في رسائل السندويي . ١١٦-٦٧ .
- ١٩٥ - فضيلة المعتزلة = ياقوت ٧٦/٦ . قال السندويي وهو الذى رد عليه ابن الرواندى بكتاب فضيحة المعتزلة ص ١١٩ . وقد ذكره ايضا الخياط في الانتصار ٦/١٦٤ .
- ١٩٦ - فضيلة الكلام = فهرست ٢٤/٣٠٠ . نسخة لازي «بريد» ٢٧١ .
- ١٩٧ - فضيلة صناعة الكلام = ملحق البريطاني ٢٣/١١٢٩ .
- ١٩٨ - فنون شق مستحسنة = داماد وادى ١٢٥/٨٥ .
- ١٩٩ - الفحاح والكلام واللاطحة = بخدادى ١٢/١٦٢ .
- ٢٠٠ - القحطانية والمدنانية في الرد على القحطانية = حيوان ٢٣/٢/١ . وخدادى ١/١٦٢ .
- ٢٠١ - القضاة والولاة = ياقوت ٧٨/٦ .
- ٢٠٢ - القلم ياقوت ٧٧/٦ .
- ٢٠٣ - القواد = ياقوت ٧٦/٦ .
- ٢٠٤ - القواد واسباب الصناعات = سندويي ١٣٩ .
- ٢٠٥ - القول في البغال وسناعتها = داماد ابراهيم ١٦/١٤٩ . والموصل ١٤/٢٦٥ .

- ٢٠٦ - الفياض - داماد ابراهيم ١٤/١٤٩ منشورة في رسائل ننگل ٥٣-٧٥ . ريشتر ٧٨-١٠٠
- ٢٠٧ - الكبير المستحسن والمستفيع = سندويي ١١٩ .
- ٢٠٨ - كتمان السر = ياقوت = ٧٧/٦ .
- ٢٠٩ - كتمان السر وحفظ اللسان = داماد ٣/١٤٩ والموصل ٤/٢٦٥ . منشورة في كراوس
- ٢١٠ - الكرم = ياقوت ٧٨/٦ . راجع لغة العرب جيلبي ٨ سنة ١٩٣٠ . بروكلمان ٤٣ .
- ٢١١ - الكيما = ياقوت ٧٨/٦ .
- ٢١٢ - اللاشي والمتناشي = سندويي ١٤٩ .
- ٢١٣ - اللصوص = ياقوت ٧٦/٦ . بلدانه ٢١/٢٣١/٤ . رخدادى ١٦٢ .
- ٢١٤ - مئة امثال علي = برلين ٧/٨٨٥٦ . ثم برلين ٧/٨٣٥٧ يقول بروكلمان انه طبع في صيدا سنة ١٣٤١ . وانه املاه في اواخر ايامه لتلميذه احمد بن زاهر . وان محمد بن عبد الرشيد نقله للناشرية .
- ٢١٥ - ما بين الرجال والنساء = حيوان ٢٠/٢/١ .
- ٢١٦ - ما بين الخوالة والعموه = حيوان ١٩/٢/١ .
- ٢١٧ - المعامن والاضداد = منشور في مصر واروما .
- ٢١٨ - المخاطبات في التوحيد = ياقوت ٧٦/٦ .
- ٢١٩ - المختار من كلام ابي عثمان = برلين ٥٠٣٢ .
- ٢٢٠ - مدح التجارة وذم اعمال السلطان = ملحق البريطاني ٢٤/١١٢٩ . منشور في هامش الثاني ٢٤٦-٢٥٠ . وفي المجموعة ١٥٥-١٦١ . وفي ريشتر ١٨٦-١٨٨ .
- ٢٢١ - مدح الكتاب = ياقوت ٧٨/٦ . اشك في التلخيص
- ٢٢٢ - مدح الكتب والعرض على جمعها = عاشر ائدى ٧/١٤٤/٥ راجع المجلة الاسيوية الالمانية ج ٢٨٩ ص ٣٨٩ ثم راجع صفحة ١٤٤ من بروكلمان نمرة ٧ .
- ٢٢٣ - مدح النبذ = ياقوت ٧٧/٦ .
- ٢٢٤ - مدح النبذ وصفة اصحابه = بريصاني ٤/١٩٢٩ . قال بروكلمان انها رسالة الى الحسن بن وهب وانها منشورة في اول الكامل ١٧-١٢٠ وفي رسائل السندويي ٢٨٥-٢٩١ . وفي ريشتر ١١١ وما بعدها .
- ٢٢٥ - مدح المراق = ياقوت ٧٨/٦ .
- ٢٢٦ - المزاج والجند = ياقوت ٧٧/٦ .

- ٢٢٧ - المسائل (كتاب) = بخلاف ٦/١٠ . وحيوان ١/٥/١ .
- ٢٢٨ - المسائل في القوان = ياقوت ٦/٧٦ .
- ٢٢٩ - مسائل القوان = نهروست ٢٨/١٤ .
- ٢٣٠ - مسائل العثمانية = مرج ٦/٥٢/٦ .
- ٢٣١ - مسائل المعرفة = ياقوت ٦/٧٦ .
- ٢٣٢ - مسائل وجوابات في المعرفة = ملحق البريطاني ١١/١١٢٩ .
- ٢٣٣ - المضاحك بخدادى ١٥/١٥٨ . ~~للهم~~
- ٢٣٤ - المعاد والمعاني = ياقوت ٦/٧٧ . مخطوط في ملحق البريطاني ١٢/١١٢٩ وفي داماد ٤/١٤٩١ . وفي الموصل ٥/٢٦٥ . نشرها بول كراوس في مجموعته .
- ٢٣٥ - المعادن وباني جواهر الارض = حيوان ١/٣/١٤ .
- ٢٣٦ - معارضة الزندية = حيوان ١/٥/٢٠ .
- ٢٣٧ - المعارف = بخدادى ١٣٣/٩ .
- ٢٣٨ - المعرفة = ياقوت ٦/٧٦ .
- ٢٣٩ - المعلمين = ياقوت ٦/٧٦ . ملحق البريطاني ٢/١١٢٩ . منشورة في هامر الاول ١٧-٣٢ . ورشر ١٠١-١٠٥ . بحث عنه الاستاذ هرنسفيك في الدراسات الشرقية لذكرى براون . ص ٢٠٠ وما بعدها ومنها مخطوطة اخرى في الموصل ١٢/٢٦٥ .
- ٢٤٠ - المثبتين = ياقوت ٦/٧٨ .
- ٢٤١ - المثبتين والتغناء والصنعة = ياقوت ٦/٧٢ .
- ٢٤٢ - مفخرة الجوارى = داماد ١٣/١٤٩٩ .
- ٢٤٣ - مفخرة الخلمان والجوارى = موصل ١١/٢٦٥ ~~للهم~~ ~~للهم~~
- ٢٤٤ - مفخرة السودان والحمران = حيوان ١/٢/١٨ .
- ٢٤٥ - مفخرة السودان والبيضان = ياقوت ٦/٧٧ .
- ٢٤٦ - مفخرة القحطانية/السكانية وسائر المدنانية = بخدادى ١٦٢ . في المجموعة سماها الجاحظ نفسه مفخر القحطانية . ص ٨١ .
- ٢٤٧ - ملاحرة المسك والرماد = سندوبي ١٤١ .
- ٢٤٨ - مقالة الزندية والرافضة = ملحق البريطاني ٢٣/١١٢٩ . منشورة في هامر الثاني ٢٩١-٣٠١ .

- ٢٤٩ - مقالة العثمانية = ابن فكيه ٧ وما بعدها . مخطوط في الملحق البريطاني ١٠/١١٢٩
وفي كوبرلي زاده ٨١٥ . لخصها السندي في رسائله ١-١٢ . هو عليها ابو جعفر
الاسكاني راجع المجلة الاسيوية الالمانية ٣٩١/٦٨ راجع ايضا مجلة اسلاميك .
١٨/٣٦ . قال بروكمن - حيث كذلك لانه دافع فيها عن موقف العثمانيين في ادمامة
٢٥٠ - المكتبة (رسالة الى ابراهيم بن العديبر) = ياقوت ٦/٧٦ .
٢٥١ - التكايد = زيدان ٢/١٦٨/٢٣ .
٢٥٢ - الطح والطرف = حيوان ١/١١٧٢ .
٢٥٣ - الملوك والامم السالفة والباقية = ياقوت ٦/٧٨ .
٢٥٤ - من ابن وجوب الامامة = حيوان ١/١٤/٦ .
٢٥٥ - مناقب جند الخلافة = ياقوت ٦/٧٦ .
٢٥٦ - مناقب الترك هامة جند الخلافة = ملحق البريطاني ٧/١١٢٩ داماد ٧/١٤٩ باريس
١٨٠٦ موص ٢/٢٦٤ منشورة في نولتن ١-٥٦ . وفي المجموعة ٢-٥٤ وفي هامش
الثاني ١٦٦-٢٧٥ . وفي ريشر ٢٠٧-٢١٠ .
٢٥٧ - الموالي = العقد الفريد ٣/٢٦٩/١ .
٢٥٨ - الموالي والعرب = العقد الفريد ٢/٩٢/٨ .
٢٥٩ - موت ابي حرب الصغار البصري = ياقوت ٦/٧٨ .
٢٦٠ - المودة والخليفة = ملحق البريطاني ١٩/١١٢٩ منشورة في رسائل السندي ٣٠٣-١٠ .
٢٦١ - العبرات = ياقوت ٦/٧٨ .
٢٦٢ - النابتة = كرد ٣٦٠ مخطوطة في داماد ١١/١٤٩ . صعبها نولتن . ومن اجلها راجع
هوتسمن في (ز ١٠٠) ج ٢٦ ص ١٨٦ راجع مقال رتر في مجلة اسلاميكا
مج ١٨ ص ٣٦ . راجع كذلك داود جليبي في لغة العرب ج ٨ سنة ١٩/٣٠ . راجع كذلك
نولتن في مجموعة المؤتمر الحادي عشر للمستشرقين الدولي في القسم الثالث ص ١٥٥ .
٢٦٣ - الناشي والتلاشي = ياقوت ٦/٧٧ .
٢٦٤ - النبيل والتنبيل = وذم الكبر = ملحق البريطاني ١٨/١١٢٩ منشورة في هامش الثاني
بين ١٨٤-١٩٩ .
٢٦٥ - النبي والمتنبي = ياقوت ٦/٧٦ .
٢٦٦ - النبيذ = كرد علي ٣٨٠ .

- ٢٦٧ - النرد والشرطج = ياقوت ٧٨/٦ .
- ٢٦٨ - النساء = ياقوت ٧٥/٦ . ملحق البريطاني ٥/١١٢٩ .
- ٢٦٩ - النصراني واليهودي = حيوان ٣/٥/١ .
- ٢٧٠ - نظم القرآن = ياقوت ٧٦/٦ . فهرست ١/٣٨ .
- ٢٧١ - النحل = سندوبي ١٥٢ .
- ٢٧٢ - نفي النسيج = داماد ١٤٩ راجع (م.ف.و.و.) ج ٥ ص ٥٢٩ مخطوطة أخرى موصل ٢/٢٦٥
- ٢٧٣ - نفي التشبيه = موصل ٦/٢٦٥ .
- ٢٧٤ - نفى الطب = فهرست ٢٤/٣٠٠ . ابن الفظي ١٨/٢٧٤ ابن أبي أصيبعة ١/٢٢/٢
- قال ابن الفظي ان الرازي نقضه وان الاصهباني فعل مثل فعله .
- ٢٧٥ - نوادر الحسن = ياقوت ٧٦/٦ .
- ٢٧٦ - نواد والمعلمين = مستطرف الاشبهى ٣٣/٢٢٦/٢ .
- ٢٧٧ - النوايس بخدادى ١٠/١٦٢ .
- ٢٧٨ - الهاشميات (رسائل-) = حيوان ١/٤/١ .
- ٢٧٩ - الهدايا = ياقوت ٧٧/٦ . قال انه منحول .
- ٢٨٠ - وجوب الامامة = ياقوت ٧٦/٦ .
- ٢٨١ - وصف النبيذ وصف اصحابه = سندوبي ١٥٠ .
- ٢٨٢ - وصف المرام = الخفاجي ١٧٥ . منشورة في ريشر ٥٥٠ وما بعدها .
- ٢٨٣ - الوكلاء والمتوكلين = ياقوت ٧٦/٦ . ملحق البريطاني ١٤/١١٢٩ . منشورة في هامش
- الثاني ٢٢٠-٢٢٧ وفي المجموعة ١٧٠-١٧٣ . وفي ريشر ١٩٤-١٩٩ .
- ٢٨٤ - الوجد والوجد = حيوان ٢/٥/١ . سماه ياقوت الوجد فقط ٧٦/٦ .
- ٢٨٥ - اليتيم = السندوبي نقلا عن طراز الخفاجي ص ١٥٩ .

- المقالة الثانية - تحقيق في تعداد كتبه -

x-x-x-x-x-x

لقد اختلف المهتمون بالأمر اختلافاً يَبْيناً في العدد الصحيح الذي خلفه الجاحظ من الكتب والرسائل . لابن سبط الجوزي في القرن السابع للهجرة قال = رأيت كتب الجاحظ على مرأى من أبي حنيفة النعمان وكان عددها يتجاوز الثلاثة . ثم تتالت الروايات على إثر هذه كل منها يؤيد مقدار تحقيق صاحبه . فذكر علي قال = ترك الجاحظ ٣٦٠ كتاباً ، وأحمد زكي قال بل ترك ٣٥٠ ، وتنازل الاستاذ النشاشيبي الى ٣٥٠ ، في حين قرر راجح كلان على ١٢٤ . أما السندوبي فلم تتسع ذمته العلمية لأكثر من ١٥١ . أما نحن فلنا في الموضوع عدد آخر يختلف عن هؤلاء . تمام الاختلاف منزه عما قريب . وهكذا تختلف الأعداد بالاختلاف اصحابها ومقدار بعدهم أو قربهم من التحقيق العلمي الصحيح .

ونعتقد ان السبب في كل هذا الاختلاف راجع الى اربع ظواهر -
الاولى كتابته باسم غيره ، الثانية تسمية عدة كتب من كتبه باسماء مختلفة ،
الثالثة كتابته باسمه ، الرابعة ضياع عدد آخر من كتبه .

- اولا الكتب التي كتبها باسم غيره -

x-x-x-x-x-x

هذه الظاهرة - بمعنى استفادة ناشئ ، وصنار الكتاب من اسماء من سبقوهم الى عالم الشهرة ودنيا الجيد - كانت ناشئة في صفوف ادباء المباسيين على العموم . وقد عِيلَتْ كثيراً أيام النزاع بين المروبيين والشموبيين . ولا تزال مُتَبَعَةً لِمَعَالَةٍ حتى يومنا هذا . وآخر ما اذكر عنهما ما قرأته مؤخرًا في المكنوز من ان كاتبين شهيرين من كُتّاب العصر الحاضر لم يشتهرا الا باسمين قديمين .

على كل امتثل الجاحظ - وخصوصاً في مطلع حياته الادبية - هذه الظاهرة وراح يؤلف الكتب في نسق الاغراض ويتحلها امثال ابن المقفع وسهل بن هرون والخليل بن احمد وغيرهم . وقد اشار الى هذا هو بنفسه في

(١١)

والرؤية والحد
الحيوان حيث قال = وايد ذات الرواية السمودي في تنبيه الاشراف حيث
نقلها مملقا عليها بالايجاب .

اما ما هي تلك الكتب التي كتبها باسم غيره ، والتي لا بد وان
تكون قد سقطت من القوائم التي جُمِعتْ باسمه كتيبه ، والتي يجب على الباحث
المدقق ان يمرنها ويضيفها الى تلك القوائم تقريبا من الحق - فمن الصعب
جدا معرفتها . والسبب من ذلك هو ان الكتب التي خَلَّفتها هؤلاء الناس اولا
قليله وثانيا معروفة وثالثا لا سبيل للشك في صحتها . ولهذا نعود لنقول
تفسيرا وتوضيحا لما قال الجاحظ = ان تلك الكتب النسوية الى غيره مله اشار
اليوم لا بد وان تكون قد ضاعت مع الكثير غيرها مما قد ضاع .

- ثانيا - الكتب المفردة ذات الاسماء المتعددة -

----- x-x-x-x-x-x-x -----

وهذه ظاهرة ثانية عملت عليها في تشويش الانتكار واضطراب
الارتام التي أوردت حصر الكتب الجاحظ . وهي ظاهرة كانت معروفة في عصره
ومُتَّبَعَة فيها بعده أيضا . ولعل للسهوة نارة وحسب الاختصار اخرى او تسمية الكتب
بأهم موضوع فيها (وهذا الموضوع يختلف طبعا حسب رأى القارى) بالإضافة الى
عوامل التصحيف والتعريف وتبديل اماكن الكلمات واستعمال هروف بدل حرف او كلمة
بدل كلمة او زيادة كلمة او تنقيص كلمة او الاهتمام بمعنى العنوان دون التقييد
بنصه او غيرها كثير دخلا في الموضوع كما سنرى . وبنهنا هنا تصفية حساب
هذه التشويشات ومعرفة اسماء الكتب كما هي أو على الاقل كما يجب
ان تكون . لتكون على بينة من حقيقة الامر .

ولكن يحسن بنا قبل البدء - أن نشير الى أن هذه الظاهرة لم
تلعب لي كتب الجاحظ وحدها وانما لعبت لي غيرها كثير . ويكفي ان نورد مَثلين
نقط المثلما كتاب **ياقوت** = فقد ورد باسم "إرشاد الاديب" المعررة الاديب . وورد
ايضا باسم "معجم الادباء" وورد ايضا باسم "طبقات الادباء" وكذلك باسم "معجم ياقوت" .

وبما ان ياقوت لم يترك كتاب واحد بخصوص الادب - لذا لزم ان تغاضي عن كل هذه التسميات المختلفة ، وتأخذ بالجوهر الاصيل فنقول ان ياقوت كتابا واحدا فقط موضوعه كذا وكذا . وثانيهما القرآن الذي لم يصل من هذه التفسيرات الطائفة . فالقرآن يعرف اولا " بالقرآن " وثانيا " بالقرآن " وثالثا " بالصحف " ورابعا " بالكتاب الكريم " . وبغيرها كثير يعرفه " شايخ الازهر " اكثر من معرفتي .

نعم الان لنرى ما هي الكتب المفردة التي عرفت باسماء متعددة لتبحث اولا في ما هية الاسم المفرد . وثانيا لماذا لا نقبل غيره . وأخيرا نجتمع ونطرح لنقلب على الصافي بخصوص هذه المشكلة .

عقد / ٢٥ / ٣٠ / سنديوي × × زيدان ركوپلي - برلين
١ - الادب ، عناصر الادب ، البيان والتبيين ، سحر البيان ، المختار من كلام ابي عثمان الجاحظ

من هذا العرض السريع لهذه الاسماء نستنتج : اولا . أن العادة التي يدور عليها الجميع هي ثانيا - أن بعضها ذكر ذكرنا وليس له مخطوطات في حين أن الثانية لها مخطوطات وليس لها ذكر .

وأخيرا أن هناك واحدا له ذكر وله مخطوطات وهو معروف مشهور ويمكن ان يحويها جميعا . لذا نيسل إلى قول بان هذه جميعها اسماء متفرعة عن " البيان والتبيين " الذي مداره الادب وما اليه .

" اما عناصر الادب " فلم يرد له ذكر الا في السنديوي . والسنديوي طبعا لا يمكن اعتقاده ما دام محدثا وما دام لم يذكر مصادر لهذه التسمية .

في حين ان " المختار " له مخطوطة في برلين ولكنه لم يذكر في المصادر . وأخيرا لم نجدنا الجاحظ أن يجمع مجموعات من كلامه وينشرها في كتاب خاص . ولهذا نقول إننا نشك في أصالة المخطوطة ونيسل الى انها من وضع المتأخرين .

وأخيرا نتهي بقولنا إن كل هذه الاسماء ما هي الا اسماء لواحد موضوعه " الادب " . وبما ان " البيان " فيه كل محتوياتها - لذا نقول انها اسماء متعددة للبيان والتبيين .

ملحق ومطبوع مرتين - ياقوت - حيوان - ياقوت - ملحق
٢ - استحقاق الامامة - وجوب الامامة - من أين وجوب الامامة - الدلالة على ان الامامة فرض - جوابات
في الامامة

نظرة بسيطة الى هذه الاسماء ترينا -

اولا - أن الرجل أُلّف في الامامة .

ثانيا - أن تأليفه فيها اتخذ صيغة المجادلة . نبرهن اولا على انها حقة ونفسد - ثانيا
اراء من انكروها . واخيرا أجاب على اسئلة لا بد وان تكون قد وردت عليه
بخصوصها .

من هذا نرى أن الاول والثاني والثالث والرابع لا بد وان تكون ^{سبائك} مخطوطة
لكتاب واحد هو هذا الذي بقيت مخطوطته في المتحف البريطاني . اما لماذا .
فالاول لما مر وثائقنا لأن الجليظ نفسه ذكر واحدا منها في حين عدّد ^{ياقوت} يقيناً ياقوت
اثنين . وياقوت ليس بالذي نؤمن به على المسمى لانه غلط في هذا كما ستري .

في حين ان الرابع لم يرد له ذكر . إنما بقيت مخطوطة . واخيرا
لان رسالة الامامة نشرت مرتين في هامش الثاني من الكامل بين ٢١٢ - ٢٢٠ .
٢١١ - ٢١٢ . وقارنهما لا يستطيع الا ان يقول إنهما كتاب واحد .

بقي الأخير أي "الجوابات" وامره مشكوك فيه . نسحق اذا اخذنا
بعين الاعتبار طريقة الجاحظ في التأليف وخصوصا فيما يتعلق بالدين حيث
يستخدم " الكلام " كثيرا - فيورد اقوال اعدائه واستلثهم اولا لم يحاول ان يرد
عليهم ثانيا ثم يسلّمهم ليعجزهم ثالثا كما كان امره في الرد على النصارى وفي
الشارب والمشروب - لم نجد بُدّا من ان نقول ان الكتاب الاخير ليس
اكثر من صدر لهذا الكتاب الواحد في الامامة . اما اذا تفاخينا عن الواقع
المعروفه فالامر مشكوك فيه وجثله كتابا مفردا ارجح .

وعلى هذا تكون النتيجة عندنا ان هذه الكتب اسماء لكتاب واحد
يسمى " في الامامة " .

ياقوت — تاج — ياقوت — كرد — موص —

٢- الفتيان ، اخلاق الفتيان ، اخلاق الشطار ، تهذيب الاخلاق . الاخلاق المعمودة والذمومة

هذه مجموعة اخرى . اذا نظرنا الى مجموعها وجدنا اولا - ان موضوعها "الاخلاق" سلبيا وايجابيا . ثانيا - ان واحدا منها بقيت مملوطة في الموصلة . واخيرا ان واحدا منها تعني اخلاق "الفتيان" ذكره التاج و التاج بذاته لم تثبت اصلته . وأن شيئا اخر تعني "تهذيب الاخلاق" لم يذكره الا كرد علي (وكرد مع قيمته الصليحة الا ان انعدام المصادر الاجمالية والاضلاط الاخرى التي وقع فيها في بحثه عن الجاحظ لا تحلنا على الاطمئنان الى اقراره على نسبة هذه الكتاب) . بقي الاول والثالث . اما الأول فبني "الفتيان" واما الثاني فبني "الشطار" وما اظن الكاتب قصد منهما شيئا مختلفا قط ، خصوصا وهو يكتب عن الاخلاق المعمودة والذمومة . وعلى هذا تكون النتيجة ان الجمع اسما لم يولد نيل الى القول بانه " الاخلاق المعمودة والاخلاق المذمومة " لانه ادل على المعنى المقصود من المادة لا لانها تعتمد على مصدر علي موثوق به .

لحسن العقد ياقوت - ٧٧/٦ ياقوت ٧٦/٦ زيدان - سندوي ١٥٢ ياقوت ٧٧/٦
٤- التاج - جبهة الطوك - اخلاق الطوك - تنبيه الطوك - تنبيه الطوك والمكيد . المكيد . السلطان
واخلاق اهل

وفي هذه المجموعة ماذا نرى . . نرى اولا - انها تدور حول السلطان واخلاقه . اي هي من نوع الادب "البلاطي" . لعل نشك في صحتها كلها ونقدف بجمهرتها عرض العائط . كلا . لهذا غير صحيح لان الجاحظ عاش مع السلطان وكان مقربا من الخلفاء مثل المؤمن والمقيم - ولعوانهم مثل الزيات وابن ابي داود . لذا باستطاعتنا ان يكتب عنهم وان ينصح لهم . ورسالة المصدا والمعاني لاحمد ابن ابي داود التي لا يتطرق شك الى صحتها دليل قوي على ما نقول . ولهذا نقبل ان يكون قد كتب في السلطان مبدئيا - لكن . بكل حيطة وحذر . لانه لم يعيش في طويلا ولا قرب من الخلفاء كثيرا ولم يسمع ببني ساسان الا من بعيد .

اما التاج فالتاج نرفخه رضا باتا كما مسيحي عند الكلام على الكتب
النسوبة ، هذا بالاضافة الى ان واحدا من المصادر القديمة لم يذكره انما كان
اول ذكر له بقلم "شليخ" مفهرس المقد الفريد ^{الذي} حيث اشار الى صحة نسبته .
وتن مع احترامنا للسيد شليخ نقول ان قبول هذه النسبة من الصعب
ما لم تدعمها المصادر الاعلية او على الاقل البراهين الجلية .

والان نتقل للثالث والرابع والخامس والسادس لنقول اننا نرى فيها
اكثر من اسماء مختلفة لسمى واحد حول الملوك . ثارة اختصر فيها وثارة
اقتطع منها وثلاثة جُمعت كاملة . هذا بالاضافة الى شكنا في اصلها لان
الاول كما نرى مصدره زيدان والثاني السندوي والثالث زيدان من الحديثين .
ولا مخطوطات . بعد هذا نتقل للثاني من السلسلة فنستم من نسبته انه في
التاريخ الا اذا كان الاسم مضللا وهو في الحق مكتوب في الاخلاق . اما
الاخير من السلسلة فهو الصريح اذ يجمع بين الخلق والتاريخ . ولهذا
نقول ان الاحسن ان نطلق الاخير عليها جميعا اولا لدلالة اسمه على موضوعاتها
وثانيا لانه يتسع الموضوع الثاني اذا كان تاريخيا . وعلى كل فنحن لا نرى في
هذه المجموعة اكر من كتاب واحد " في اخلاق السلطان " ان لم يكن كتابين
ثانيتها في تاريخه .

مروح ياقوت حيوان ياقوت مداني
من البخلا . احتجاج البخلا . نوط جهل الكدى . واطمة العرب .

يَحْتَجُّ النظر عن المصادر ومن وحدة دلالة التسمية خصوصا بين
الاول والثاني نقول دون ايشك ان هذه كلها اسماء لكتاب واحد لا ثاني
له هو كتاب البخلا المعروف . اما الثاني فمعني " احتجاج البخلا " فليس اكر
من تسمية الكتاب بمنصر بارز فيه وهو دفاع البخلا عن مذهبهم ما اشار اليه
الباحظ نفسه في اول الكتاب . في حين ان الثاني ليس اكر من فصل خاص منه
يدور على بخل الكدى ومدون بسين صفحتي — من طبعة دمشق . اما
الاخير فهو الفصل الاخير في اطمة العرب الذي رأى الجاحظ ان من الضروري اضافته

تتمتع للبحث وهو يقع بين صلاتي — من ذات الطبعة .

وعلى هذا نجد ان ذات الكتاب صُوِّيَ تارةً بخنصر بارز فيه هو احتياج البغلاء وتارةً باحد نصوله مثل جمل الكندي واخيراً بفصل مضاف مثل اطعمة العرب . فالي مثل هذه التثويشات يجبان نتنبه دائماً عند حل مشاكل تسمية كتب الرجل .

ياقوت — ملحق — سنديوي — مسعودي —

٦ — البلدان — الاوطان والبلدان — الامصار — الامصار وجناب البلدان .

لا شك لي الامر ان الجاحظ كَتَبَ كتاباً في الجغرافيا جمل تركيزه فيه على عدد من البلدان . قال بروكلمان ان قسماً منه ضاع ولم يبق لنا منه الا ما في المخطوطة التي في المتحف البريطاني مما يدور حول الكوفة والطائف وبضعة مدن اخرى . كل هذا لا شك فيه . لكن ما اسم ذاك الكتاب من بين هاته . اما " الامصار " فاني لا اقبله لانه من محدث لم يؤيد بأصل . واما ما جاء به السموذي فما اظنه اكثر من حكاية شيء من محتوياته المجيبة التي لا يمكن للجاحظ ان يتركها . في حين ان اضافته " الاوطان " لمُسَوِّي المخطوطة لم يَمُدْ تأثراً من كتابه الاخر لي " الحنين " اى انها تسمية محدثة . وبعد هذا يبقى عندنا الاول الذي ذكره ياقوت اى البلدان . نحن لا نشك لي ان الجميع اسماه لكتاب واحد . لكن ايها هو الاسم الصحيح . في هذا الشك . لكننا بعد الشك نرجح انه الاول فقط .

حيوان — ياقوت — سنديوي —
٧ — الاخبار . الاخبار وكيف تمع . تصحح الاخبار .

في هاته نقول لا اولا اننا لا نقبل الاخير لانه من وضع السنديوي . وثانياً نضيف ان بروكلمان قال " ولعل هذه كلها اسما لمسى واحداً وبروكلمان وان كان لم يعط اسباباً الا ان دلائل التسمية كلها بجانبه .

هذا بالإضافة الى ان ما نقل من الكتاب في هامش الكابل الثاني وردت فيه كثيرا كلمات = الاخبار ، الاخبار ، وكيف تصح ، ثم تصحح الاخبار متبادلة في امكانها ودلالاتها . ولهذا نقول إنها كلها عناوين لوحيد هو "الاخبار" مثلا .

بندادی بیان ۸ - أ - الحيوان . طبائع الحيوان . الجوان

اما الاول فمعروف انه له . في حين ان الشيعة تدور حول الثاني . اولاً لان الذى اوردته كان البندادى الذى حاول ان ينتقص من الجاحظ بإيراد اسماء كثيرة لكتبه في موقف التقصص منها ، وكان هذا احدهما وثانياً ان هذا معروف بكونه نزعة حاول الجاحظ ان يوضحها في كتابه الحيوان لانه كتاب كامل . وعلى هذا تكون النتيجة أن كتاب "طبائع الحيوان" صفة بارزة لكتاب الحيوان وليس كتاباً بمعينه . وليس هذا بجديد فقد رأينا كيف سعى البخله باحتجاج البخله لبروز هذه الظاهرة فيه .

والان نتنقل للجوان . هذا الكتاب ذكره الجاحظ بنفسه في البيان وقال انه موجود في كتاب الحيوان . وعلى هذا تكون الجوان قسم من الحيوان لا كتاباً قائماً بذاته .

— داماد ياقوت سندوبي .
ب . القول في البخله ومناقضها . البخله . الفعل .

اما الاخير فلا نقر لبخله الوحيد الذى اوردته كان السندوبي . ولا نرى فيه اكر من تصحيح للبخله . في حين ان الذى قبله اى البخله قال عنه ياقوت انه ملحق للحيوان وليس كتاباً قائماً بذاته بنفسه . واما الاول فامر به بعد هذا واضح . اى اولاً انه ليس مستقلاً وانما ملحق

حُويلَ في تصنيفه التبسيط في الدلالة على مادته . ونرجو ان يُلاحظ أن التسمية مُحدثة لان احدا لم يذكره بهذا الاسم انما أخذ ذلك من مخطوطه .
والنتيجة تكون ان الكل اسما لكتاب واحد بقيت مخطوطة لنا منه .
وان هذا الكتاب ملحق بكتاب الحيوان .

ياقوت - ملحق حيوان - كرد
ج - النساء . الملحق والنساء . ما بين الرجال والنساء . نقل ما بين الذكور والإناث

نبدأ بالاخير لنفرغ من حصابه لاسباب صارت معروفة
وننتقل لما قبله . نقول ان الجاحظ في البيان قال عند الكلام عن اشياء
اخرى - هذا موجود في كتاب ما بين الرجال والنساء من الحيوان .
وعلى هذا فهو من الحيوان . اما الاول اى النساء فمأثرتة تشير الى انه
مقطعات ما ذكر من النساء في الحيوان من حيث غرامهن وعشيقهن وخلف
مقولهن ولهذا لا نتوان في ضمه للحيوان . بقي الاخير الذي نشرني
المجموعة . ونشر في هاضم الكامل الثاني ايضا . ومادته تدل اولا انه فصل
مقطعة تارة في الفسق ومراتبه واخرى في الفجور في النساء وحبيهن وثالثه في
المناظرة بينهن وبين الرجال . وعلى هذا فهو لم يخرج عن فصل من
الاول والثالث جُمعت دون ترتيب . وعلى هذا ايضا لا نستطيع الا ان نقول
انها كلها واحد وان هذا الولد هو قسم من الحيوان لم يذكره في

سندوبي ياقوت عاشر
د - فصل اخذ الكتاب . مدح الكتاب . مدح الكاب والحرص على جمعها . القلم .

هنا اشياء طريفة غامضة نحبان نجلوها . أما ان الجاحظ
كَتَبَ مدح الكتاب والكتب نسا لا شك فيه . فهو فصل طويل استغرق
صفحات كثيرة من الحيوان الاول . لكن الذي نشك فيه اولا ان تكون
هناك كتب كثيرة في ذلك وثانيا ان تغاير هذه الكتب في مادتها ما جاء في
الحيوان . فلنتظر لغيري .

أما الأول فنهضه لانه من صنع السندوبي غير المؤيد. أما الثالث
 لسمو العظم لم نعرف كيف يَنْطِق. فان كان الكتابُ فهو ذاته نعل الحيوان.
 وان كان الكتابُ فهو إما معارضة لكتابه الآخر في ذم اخلاق الكتاب أو كتابٌ غير
 جديد عن الكتابين. الا ان بروكلمان ولا نعرف كيف - هجاه - "كتاب".
 ولهذا تبقى الشبهة حوله. ننقل للثالث الذي لم يخرج في مادته عن
 الموضوع ~~نحو~~ بالرغم من انه لسمو العظم لم يطبع بعد. لكننا سالنا
 ستراوس فقال إنه هو ذاته الفصل الذي اورد الجاحظ في الحيوان وبهذا
 اطمان البال. اما الاخير فما لا شك فيه انه الذي تكلم عنه الجاحظ
 في الحيوان.

ومن هذا نرى اننا لثالث مرة امام مشكلة تسمية كتاب واحد بلعد
 نصوله سواء كانت مُهمة او غير مُهمة. وعلى كل نخلف من هذا البحث
 بالنتيجة التالية وهي = ان هذه الكتب جميعها امّا لفصل واحد من
 كتاب الحيوان الذي يدور حول الكتب ومدح الكتاب. الا اذا تبيّن
 تهجئة الثاني بشكل الكتاب جميعا لكتاب. فان المجموعة تتجلى عن
 كتابين لا واحد.

ومن هذا البحث الطويل نجد او بالاحرى نستنتج ان جميع ما
 مر ليس أكثر من حسيات متعددة لكتاب واحد هو الحيوان. تارة
 بظاهرة بي، فيه وتارة بلصل، وتارة بتخيير نقطة، وأخرى بتخيير في اسم ذاك
 الفصل. هذا ما تحملنا اليه وتحمي ان تلخص في [ان ذات الكتاب (الحيوان)
 وزد على نهضة انه ١٥ كتاباً] وهذا يستحق الانتباه ويتطلب الدقة المتزايدة في
 في البحث

ياقوت كرد ياقوت بريطاني وصف اصحابه كرد ياقوت
 ١ - اثم الشكره النبذ، ذم النبذ، مدح النبذ، وصف النبذ وصف اصحابه واخيرا الشارب
 والمشروب

لسمو العظم لم يصل الينا من كل هاته الا قطعة نشرت في هامش

الكامل الثاني بعنوان = الشارب والمشروب واليك موادها = اولا فتمرض الى
 اثم السكر ^{تُفَوِّلُ} ان الله حرم اشياء كثيرة مسكرة . ثم يقول لكن الله جعل
 لكل تحريم استثناء واستثناء السكر كان بالنبيذ . ثم اخذ في مدحه ذاته
 لم يني وصف انوعه واخيرا اخذ يتكلم من صفات اصحابه من حيث اثره الجليل
 فيهم اذا قل وانره القبح اذا كثر .

ومن هذا نرى اولا ان الرابع والسادس اي ذا الخطوطة وذا
 العنوان كتاب واحد . ثم نرى بعد اسقاط الاسم الذي اتانا به كرد
 ان جميع مدلولات الاسماء الاخرى محتواة فيما نشرت تحت اسم الشارب
 والمشروب . وعلى هذا تكون جميع هاته اسماء لكتاب واحد ^{لأنه} تسميته
 بالشارب والمشروب لانه اسم . اذ تكلم الكاتب فيما وصل اليها من صفات
 الشاربين ومن جميع انواع المشروبات لا من النبيذ وحده ..

ياقوت ^{بالبصرة} بنية السيوطي ياقوت ^{بالبصرة} البيان

١٠- ذوو الماهات . المرجان والبرمان والقرمان . المرجان والبرمان والمرجان

ما لا شك فيه ان الرابع اختصار من الثالث . وان
 الثالث اختصار من الثاني وان الاول اسم لكل قُصِدَ منه الدلالة على محتويات
 الكتاب . والنتيجة هي ان الجلحظ الفكتابا في ذوي الماهات أتى على كثير منها
 ومنذ الاشارة اليه ما قوم للتعميم ولحب اخرون الاختصار في حين احب
 صاحب " البنية " مثلا ذكر اكبر عدد ممكن منها في العنوان . ومن هنا
 كان منشأ الاختلافات . ولوراجعت قول الجلحظ نفسه في البيان يشير
 اليه — لما خالجه الى شك فيما ذهبنا اليه من انها كلها لم تُعَدُّ كتابا
 واحدا (في ذوي الماهات)

ياقوت سندوبي

١١- الرد على من أَلْعَد . الرد على من أَلْعَد في كتاب الله

اورد الاول ياقوت واورد الثاني السندوبي . اما من اين أتت
 (في كتاب الله) فلا تعرف الا انها زيادة من السندوبي تدل دلالة اوضح وتُفَضِّلُ

تخصيصا ادى ما في الكتاب .

١٢ - حيوان ياقوت يساقوت ياقوت ملحق
على النصراني واليهودي . الرد على النصراني . الرد على اليهود . رد النصراني .

هنا لنا وثقة لا بد منها عند العنوان الاول . فانه من غير المعقول ان يُسمى الجاحظ كتابا بهذه التسمية الحامية المبهمة . واختصار نقول انه لا بد من وجود كفة قبل (على) اطارها النسخ ونيل الى القول بانها لا بد وان تكون من جنس "الرد" لان اكثر مواضعه مع هذين موافق رد . ولى هذا يكون العنوان الاول هو - الرد على النصراني واليهودي . ومعه يكون من السهل علينا ان نفهم نعرف ان الصالحين ليس الا ذات الكتاب أُشير اليه مرتين مختلفتين باعتبار موضوعيه . واخيرا لننتقل للاخير هذا الذى بنيت منه مخطوطة التي نشرت في ثلاث رسائل لنلاحظ على مادتها ما يلي = اولاً انها فصول مختارة من رسالة كبيرة

ثانياً انه في هذه المختارات اولاً اورد ردود النصراني فانتهى العنوان الرابع. ثم رد عليها فانتهى العنوان الثاني. ثم سأل اسئلة وانتهى بها جمة اليهودى فغرض حساب العنوان الثالث. وننتهى من ك هذا الى ان الجميع كتاب واحد في الرد على القوميين .

١٣ - ذم الكتاب ذم اخلاق الكتاب داماد

ما لا شك فيه ان "بنيت مخطوطة ولم يذكر اسمه ، هو ذات الكتاب الذى ذكر اسمه واختص كل مخبر من مخطوطة . ولى هذا يكون الاسمين لمسمى واحد . هذا اذا صحت القراءة . اما اذا كانت تهجئة الاول "كتاب" فاننا نضطر لان نعتبره كتابا جديدا كتبه الجاحظ معارضة لكاتبه الاخر الذى مر ذكره في مدح الكتاب والذى قلنا انه فصل من كتاب الحيوان .

١٤ - ذم الزنا . ذم اللواط ياقوت هاشم اللطيف بخدادى والمسيحي ياقوت خفاهى سندوي
القهاب والكلاب . القواد . صناعات القواد . القواد واسباب المناعات

اما الاول والثاني والثالث فتكاد تكون ^{مكرر} وحدهما مفروضا منها . ومنها وحدة الرابع والخامس والسادس . لقد ظننا هذا وسكننا عن دمج الكل في واحد خوفا من نُفُتِ القواد . فاننا بادئ الامر ظننا انه يعني الكلام على فن القيادة وما اليها وقلنا انه اتخذها نوما من ~~التي~~ انواع طرق الكسب ولذا كتب فيها . لكننا عندما قرأنا الكتاب منشورا بها من الكامل الاول تحت اسم ذم اللواط ووجدنا القواد وصناعة القواد ثم قرأنا منشورا في طراز الخفاف وفي رسائل السندوبي تحت عنوان صناعات القواد ووجدنا ذات الشيء يتكرر وذات المعنى يتكرر لم يسبق لدينا شك في ان السنة اسماء ليست اكر من مختلفات لكتاب واحد في الزنا وما اليه . ~~ذلكم~~ ^{ذلكم} ~~تعوده القواد~~ ^{تعوده القواد} ~~وسمى لقيادة~~ .

سندوبي ياقوت ياقوت
١٥ - ذم الوراقه . ذم الوراق . ذم الوراق .

الاول تُسقطه لعدم كفاة سنده . في حين يبقى الثاني والثالث . ونحن نرى ماداما لم يُطبعوا ولم تنسق لهما مخطوطات انه يجوز - خصوصا ماداما لم يُنَكَّلَا - لنا ان نقول انهما كتاب واحد وان احدهما يتفسير فنحن من الاول . او ان نبقيهما على حالهما ونقودهما اثنان مختلفان الواحد منهما كتب ضدا للآخر . وهذا غير غريب ولا بعيد عن الجاحظ . وتكون النتيجة ان هذه المجموعة انتهينا منها بكتاب واحد او باثنين .

سندوبي كرو
١٦ - التفاح . الاشجار .

كلا الروايتان ضعيفه . وعلى هذا نقول ان الرجل لم يكتب في النبات ابدا وان كان قد كتب نعم الاراك الذي زعمه في حديقته وتكلم عنه في الحيوان لا عن التفاح .

حيوان ياقوت
١٧ - اصحاب الالهام . الرد على اصحاب الالهام

كلا الروايتين صحيحة وموثوقة. لكن الجاحظ اشترى بحسب الإيجاز حتى في تسمية كتهبه . ولذا فنحن لا يسأورنا الشك في ان الاسمين لمسى واحد اولهما اضبطهما . في حين قصد من ثانيهما بعض التدقيق . وامثال هذه الاختصارات كثيرة هذ مثلا الاحتجاج لنظم القرآن وكذاورده الجاحظ .

ياقوت حيوان
١٨ - الفتيا . اصول الفتيا والاحكام

هنا تنعكس الاية فالجاحظ يطوّل . وياقوت يختصر .

يزدان مرجع ياقوت
١٩ - بني امية امامة الرواية . امارة امير المؤمنين معاوية

اذا عرنا ان الرواية هم بني امية واذا اضفنا ان معاوية هو رأس بني امية يسهل علينا ان نقبل القول بان هذه الثلاثة اسما لواحد . ويؤكد هذا القول قول السعدي ان الثالث ليس الا تسمية فرعية للثاني ويؤكد ايضا ما نشر في رسائل السندوي بشكل نصول مختاره تحت عنوان (بني امية) وهو شواظ من نار صبه الكاتب على كل بني امية خصوصا معاوية والروائيين فانهمم بكل تهمة وضحسهم في كل خبطة ويّسن جُهد استطاعته عدم اُحقيّتهم بالخلافة وانهم اغتصبوها اغتصابا من ابي بكر وغيره من المستحقين .

مطيلوه ياقوت
٢٠ - بيان مذاهب الشيعة . الامامة على مذهب الشيعة .

بالاضافة الى ان الاون لم يذكر في المصادر الاولى . والاضافة الى ان اسميهما يدلان على وحدتهما . نقول بالاضافة الى كل هذا فقد قرأنا قسما منها منشورا في ثلاث رسائل بشكل نصول مختارة . وآخر منشورا في هامش الكامل الثاني بشكل نصول مختارة ايضا . فكانت النتيجة ان كثيرا من المختارات قد تكررت وان ذات الفكرة معادة . وهي تبين انواع الشيعة وقول كل منهم في الامامة . واخيرا لما اذا اتفقوا على امامة علي . وعلى هذا فنحن لا يدور

بخلدنا اى شك بخصوص ضرورة وحدة الكابيين .

٢١ - تفضيل الاعتزال على كل نحلة (حيوان) . تفضيلة المعتزلة (ياقوت) .

ما لا شك فيه انهما واحد . وقد قال السندوي ولعلهما واحد كتب بالاسم الثاني . وهو ذاته الذى رد عليه الراوندي بكتاب فضيحة المعتزلة . وتضيف نحن نقول وهو الذى دافع عنه (اى الجاحظ) بسببه الخياط في (الانتصار) .

٢٢ - العرب والمجم (حيوان) . التسمية بين العرب والمجم (ياقوت) . العرب والنفس (ياقوت) .

العروس والعروس (كرد) . فضل النفس (ياقوت) .

اما الاول والثالث فلما لا شك فيه انهما واحد . واما الرابع فلما لا شك فيه انه تحريف لما قبله . بني "التسمية" "فضل النفس" . من الاول والثالث لا نفهم أأراد الرجل /الم/ تفضيل العرب ام تفضيل المجم ام المساواة بينهما . فان كان تفضيل العرب فالثاني والاخير كتابان جديدان . وان كان تفضيل المجم فالثاني جديد في حين ينضم الاخير الى وحدة الاول والثالث . أما إن كان يريد التسمية فالاول والثاني كتاب . والاخير ثاني . وتكون "التسمية" كتابا ثالثا مستقلا . لكننا نميل ما دام ياقوت في الكتاب الاخير جليل الغامر الى القول بأنه يقصد تفضيل المجم . ولى هذا يسقط الرابع ويبقى لدينا الاول والثالث والاخير على انها كلها كتاب واحد بالاضافة الى "التسمية" على انه ثاني .

٢٣ - الموالي (عقد ٣) . الموالي والعرب (عقد ٢) . العرب والموالي (حيوان) . فضل الموالي على العرب (بخداك)

ذات الشيء يقال في هذه المجموعة . فإما أن تكون جميعها كتابا واحدا او كتابين . ولا يمكن ان تكون اكر . اما كتاب واحد ، فنحنائه "في تفضيل الموالي على العرب" . واما اثنان فواحد هما "في علاقتهما" وثانيهما "في تفضيل الموالي" .

٢٤ - المعبر والاعتبار (ملحق) . التفكير والاعتبار (ياقوت) . الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير (مطبوع) .

من هذا نرى ان اوان من ذكر الكتاب ياقوت . وان منطوية موجودة . وانه مطبوع لوحده . لكن لضم الحظ وجدنا كل هذه تحت عنوان بعدها . اذ من غير المعقول ان يكتب الرجل ثلاثة رسائل بذات الموضوع وتتفق المصادقات على ان واحدة منها يذكر اسمها وتضع

مخطوطتها . وان ثانية توجد مخطوطتها لكنها لم تذكر . وان ثالثة طبعت لكنها لم تخط ولم تذكر . نقول ان القول ~~بطل~~ بالراى الاخير بعيدٌ وسَقَد واتفاق ثلاثة عقلا عليه غير محقول .

٢٥ - التثليل (ياقوت) . الامثال (ياقوت) .

بالرغم من ان الاسمين وردا في ياقوت في جزأ واحد وفي صفحة واحدة بل وفي سطرين متتابعين ، نقول انهما لا يمكن ان يكونا كتابين مختلفين . لقد ضاعت مخطوطتهما ولم يبق منهما سوى اسميهما . في حين لم يشكلم احد السلف عنهما بكلمة تنير الطريق . ولذا ^{من} الصعب علينا ان نقول بخصوصهما جَزْأ . وليس لدينا ما يعيننا على ذلك سوى الحدس والتخمين والمنطق الشكلي . لكن هذه ليست علمية . ولذا نقول : قد يجوز ان يكونا كتابين كما قد يجوز ان يكونا كتابا واحدا . ونترك لاكتشافات المستقبل امر الحكم النهائي .

٢٦ - الجد والهزل (مخطوططوبع) . المعز والجد (ياقوت) .

اذا كما وقفنا حَيْرَى أمام السابقين فاننا لن نقف امام هذين . فالمخطوطات الثلاثة التي لدينا كلها تشير الى التسمية الاولى . ولى هذا لا يسمحنا الا ان نتهم ياقوت بعدم الدقة في ترتيب كلمات العنوان لاسيما وان هذه ليست اول مرة . والرسالة معرونة وسطبعة طبعا انيقا وقد كتبها لابن الزيات .

٢٧ - الحجاب (طراز) . الحجاب وذه (سندوي) . الحجاب (سيندي) .

كما نظن انه في هذا سيتكلم من حجاب المرأة المسلمة لكا قرأناه في "الطراز" فاذا به يتكلم عن حجاب الملوك ورجال الدولة فعرنا المبهم . وقد ذم الحجاب عامة وذكر من ذم به . ولى هذا نقول ان تسمية السندوي الاولى ليست سوى توضيح للمادة . ثم اخذنا نفقش لعله الف في "الحجاب" بمعنى الحَجَج او النساء اللواتي ذهبن للحج او ما يشابه ذلك . لكننا لم نجد سوى حَجَج النبوة . ولذا عدنا نتهم السندوي بالتحريف وزيادة نقطة معكوسة على الحرف الاخير لا سيما وأنه يقول (هكذا قال الطراز) والطراز لم يقل . ولى هذا تكون الثلاثة كتب كتابا واحدا في الحجاب .

٢٨ - الحنين (فهرس) . الحنين الى الاوطان (مطبوع) .

كتاب واحد بلا شك . لان الاول ورد في الفهرست على انه لغیر الجاحظ . يبقى الثاني المطبوع . هو كتاب بلا شك . شك في صحة نسبته السندیي واما نحن فلنا في الموضوع راى اخر سنیینه في مكانه .

٢١ - العثمانية (مروج) . مقالة العثمانية (ابن قتيبه) . ملحق . مطبوعه) . مسائل العثمانية (مروج) .

الرّد على العثمانية (ياقوت) . حكاية سِرِّ قَوْلِ العثمانية (حيوان) ^{والضارية} .

اما الاول والثالث فقد اشبهتهما له وتكلم عنهما السعوى في مروجہ ثم عاد نفاها عنهما . على كل لا يهمننا هذا في هذا الصدر بقدر ما تهمننا وحدتهما . اما بروكلمان فيقول ان الثاني سعي بهذا لانه دافع فيه عن نظر العثمانية في الامامة ضد وجهة نظر علي وجماعته فيها . وقد قرأنا المطبوع في رسائل السندیي فوجدناه كما قال . بهذا يتفق بروكلمان مع السعوى مع ابن قتيبه مع ملحق البريطاني مع المطبوع في رسائل السندیي . عليه يكون الاول والثاني والثالث اسما . لكتاب واحد . اما الرابع فنعتقد انه كتاب جديد عارض فيه الجاحظ اقواله فيما سبق . والدليل على هذا قول السعوى (ثم عاد فنقض قوله في الكتاب الاول) . اما الاخير فلا علم لنا بشي عنه البتة . نعموانه مبهم ومخطوطته مفقودة . ولم يأثنا عنه ائ شي . فنشبهته كتابا قائما بذاته او نضمه الى احد الكتابين السابقين . ولذا نقول ان هذه المجموعة تنفصح عن كتابين او ثلاثة . احدهما مع العثمانية . وثانيها ضدها . وثالثها نحن في حيرة من امره .

٣٣ - حكاية عثمان في اللصوص وهماياه (مخطوط) . كتاب اللصوص (ياقوت) . حيل اللصوص (حيوان) .

حيل سراق الليل (بخارا) . حيل لصوص النهار (بخارا) .

ما لا شك فيه ان كل هذه عنوانين مختلفتين لمعنون واحد في اللصوص . والدليل على هذا وصف الجاحظ بذاته هذا المعنون في اول كتاب البخارا بقوله (ذكرت حظك الله انك قرأت كتابي في تصنيف حيل لصوص النهار وفي تفصيل حيل سراق الليل) . مما يدل دلالة واضحة على ان الاسماء هذه ليست اكثر من اوصاف مختلفة لنوعي متعددة من محتويات الكتاب . فقد تكلم عن اللصوص وقد استفاد من عثمان وقد أسهب في لصوص الليل وما لا شك فيه انه لم يَغفل عن لصوص النهار . وقد عثرنا على فقرة من هذا الكتاب جميلة سندونها عند وصف الكتاب . انما يهمننا ان نلّول ان الجاحظ لم يكتب سوى واحد في هذا الموضوع . وان وصفه

لكتبه ببعض أصولها أو ببعض مظاهرها لم يعد علينا جديدا .

٣١ - حكاية قول اصناف الزيدية (ياقوت) . ذكر ما بين الزيدية والرافضة (ياقوت) . مقالة الزيدية والرافضة

(ملحق - هامش) . معارضة الزيدية (حيوان) .

لا شك ان الثاني والثالث واحد . واذا ذكرنا ان الثالث مطبوع وان فيه حكاية اقوال الزيديين للدفاع عن مذهبهم ، عرفنا ان الثلاثة الاولى واحد . الا ان الشك يحرم حول الاخير . ونحن نميل الى القول بانه معارضة للسابقات على عادة الجاحظ . وعلى هذا فتجلى هذه المجموعة عن اثنين فقط .

٣٢ - الحلية (ياقوت) . الحلية (سندوبي) . الحلية (سندوبي) .

مع اننا لم نتأكد من وجود واحد من هاتين . الا اننا نفترض وجود الاول لولا ثم ضياعه مع جملة ما ضاع . لكن الثاني والثالث ، ما القول فيهما ؟ القول فيهما ما دام لم يُذكر من قبل انهما ليسا اكثر من تصحيف إما من السندوبي وإما من نقل عنهم السندوبي ، واننا نأسف لان الرجل عند سرده كتب الجاحظ لم يذكر المصادر التي استعان بها فنستطيع الرجوع اليها والتحقيق في صحة سرده . لكن إغراء النسخ بالقراءة في الاول والسماع في الثاني - يشجعاننا على الاخذ بما قلنا والقول بخلط السندوبي وتصحيفه لا سيما وان هذا ليس عليه بجديد . وعلى هذا بالاضافة الى اقتناعنا من ان الجاحظ لم يكتب في النباتات (الحلية) نقول انه لم يؤلف في هذا الا واحدا ضاع .

٣٣ - المعارف (بغدادي) . المعرفة (ياقوت) . مسائل المعرفة (ياقوت) . مسائل وجوابات في المعرفة (ملحق) .

المسائل (بخله) . فنون شتى مستحسنة (داماد) .

أما ان الاولى والثاني والثالث واحد ، فلا شك عندنا في ذلك بعد كل ما خبرنا . يبقى الرابع الذي ذكره الجاحظ في البخله ومن ضو ما قال يلوح لنا ان ضعه الى الزمرة السابقة انرب للمعقول بالرغم من افتقارنا للمصادر الصريحة . بقي الخامس والاخير الذي وجدت مخطوطته في داماد . وهو في فنون شتى مستحسنة . ترى الا تكون هذه الفنون الشتى المستحسنة الوانا من المعرفة الواسعة الاطراف . قد تكون وقد لا تكون . بنا ميل لتوحيده مع سابقاته . لكن الحدس والتخمين لا يُعتمدان . ولذا نتركه وفي النفس شك من انفراد حتى يُطبع .

٣٤ - خلق القوان (حيوان يهلق) . المسائل في القوان (ياقوت) . مسائل القوان (نهرس) . آي القوان (ياقوت) .

نظم القوان (نهرس) . الاحتجاج لنظم القوان (حيوان) . البلاغة والاعجاز وقيل الایجاز (ملحق) .

لقد آمن الجاحظ بخلق القوان ودعى له . فلا عجب ان يكون قد كتب كتابا او كتابا
وضَّح فيه أو فيها موقفه . ولهذا نقول إنه من الثابت الاكيد ان الرجل كتب بالمعنوان الاول .
لكن الشك في الثاني والثالث للذين يكاد لا يساورنا شك في وحدتهما من اول نظرة . ففي الرابع
والخامس والسادس والسابع هاته التي نرى فيها واحدا ايضا . اما 'الاحتجاج' فمطبوع وقراءه في هامش
الكامل الثاني . وفيه هدت تعابير 'نظم القوان' و'لاغة القوان' و'اعجاز القوان' . وفيه ورد تحليل
طريف وتعليق لطيف على جملة من آي القوان . اذا ذكرنا هذا وذكرنا قول السندوي عن الآي
من حيث أن الجاحظ جمع فيه نخبة طريفة . وأضفنا الى هذا القول احدجهم انه من ادلة اعجاز
القوان ايمان الجاحظ به - نَكُونُ لدينا شبهة يقين بأن هذه الاربعة كلها اسما لواحد . وتنتهي
الأزمة عن كتابين او ثلاثة = الاول في خلقه . والثاني في مسائله . والثالث في اعجاز القوان .

٣٥ - النبل (ملحق) . النبل والتنبل ودم الكبر (سندوي) . الكبر والتنبل (سندوي)

قرانا الاول مطبوعا فوجدناه يتكلم عن النبل ويقول إن الطبيعي منه جميل لكن المتكلف رذيل
لان النبل لا يتنبل وكل تنبّل دلالة على نفس او انعدام نبل في نفس المتنبّل . هذا بالاضافة
الى مروره على الكبر وتفريقه الى نوعين = مستحسن ومستقبح . وكلامه على كل منهما في ذات
الرسالة . وعلى هذا فالاسمين لكتاب واحد إنما كان الاسم الثاني من صنع السندوي تائرا بفهم
بارز من الموضوع . وهذا لم يعد غريبا علينا بعد كل ما راينا من الفوضى ودم الدقة وما ضلنا
عليه الامثال من قبل .

٣٦ - تفسر القحطانية والمدنانية (المجموع) . القحطانية والمدنانية في الرد على القحطانية (حيوان وبغدادى) .

مفاخرة القحطانية على الكنانية وسائر المدنانية (البغدادى) .

كلها ضاعت . ولكن كيف ضاعت . لست أدري . وليتها او ليت بعضها بقي لعرف شيئا
عنها يُنَكِّننا من المقارنة بينها بالفعل . لكن ما العيلة ؛ على كل يطلع ان الاول والثاني واحد
ذَكَرهما الجاحظ نفسه . الاول في رسالة السودان والبيضان والثاني في الحيوان . في حين ان فرد البغدادى
بالتالث مما يُعَدُّ معارضة للكتاب السابق . ففي الاو ثفسر المدنانية على القحطانية وفي الثاني تنعكس

الاية فتغفر القحطانية على العدنانية . وتكون النتيجة ان كتابي برزا من هذه المجموعة متناقضي الموضوع .

٣٧ - النبي والمتنبي (ياقوت) . الفرو ما بين النبي والمتنبي (الحيوان) .

ما لا شك فيه انهما واحد . فقد ذكره الجاحظ باسمه المطول عند تعداد كتيبه ووقف بضعة اسطر على مدحه والاشادة باهميته في حين راج ياقوت يسرد حكاية ابن الاحشاد كاملة مما يدل على مقدار علو قيمته .

٣٨ - كتمان السر (ياقوت) . كتمان السر وحفظ اللسان (داماد) .

لا يهنا اى الاسمين هو الاصيل بقدر ما يهنا الاشارة الى انها اسمان لمسمى واحد . هو هذا الذى نشره كرواس والعاجري في مجموعتهما التي حوت اربع رسائل للجاحظ . ولعل الثاني الذى عُيِّنَ به المنشور في حين يكون الاول ليس اكر من اختصاره .

٣٩ - ما بين الملائكة والجن . نرق ما بين الملائكة والجن (حيوان)

كتاب واحد لا شك بذلك . انما التغير نصحي بحذف او اضافة كلمة .

٤٠ - الزرع والنخل (بيان ٣) . الزرع والنخل والزيتون والاعناب (بيان ١) .

ذكرهما الجاحظ ونعتقد انهما واحد ورد اسمه مفصلا في البيان الاول . وعند الاشارة اليه في الثالث اكتفى بما قلّ ودلّ .

٤١ - المغنين (ياقوت) . طبقات المغنين (ملحق وشهر) . المغنين والغناء والصنعة (ياقوت) .

ما لا شك فيه ان كل هاته لمسمى واحد . والادلة على هذا ما يلي =
اولا انه لا يُعْقَل ان يكون العنوان منصوبا او مجرورا دون مسبب . ولذا يجب تقدير مسبب .
واقرب مسبب هو اضافة " طبقات " قبل " المغنين " . فاذا كان ذلك وجدنا ان الاول والثاني اتحدا وان كليهما انضم تحت لواء الثالث وظهر ان الجميع اسما لمسمى واحد .
ثانيا ان ما نشر منه (اى الثاني) لم يَعدْ نصولا مقطعة مشوشة يُستنتج منها مقدمة لكتاب سيترك فيه صاحبه عن المغنين والغناء والصنعة وكل ما يتعلق بذلك . ولى هذا نالكل واحد

٤٢ - صياغة الكلام (ياقوت) . صناعة الكلام (هامش) . تفضيل صناعة الكلام (نهرس) . تفضيل الكلام (نهرس) . العاشية (مسمودى) .

ما لا شك فيه ان الاول والثاني واحد . وان الثالث والرابع واحد وقد قال المسمودى ان الاخيرة والرابع واحد . اذن بقي ربط الاولين بالباقيات وهذا صعب . لان الاولين يتضمنان وصفا حياديا للكلام في حين يحاول الكاتب في الاخريات تفضيل هذه الصنعة . على كل اذا روعيت الدقة في التسمية كان لنا من هذه المجموعة كتابان . الاول حيادى والثاني تفضيل . والا فالجميع كتاب واحد .

٤٣ - المباسبية (حيوان) . امامة بنى العباس (سندويي) . امامة وُلِد العباس (مروح) .

قال ابن النقيش ان الجاحظ قدّم المباسبية للامون وفيها يحتج لؤد العباس في الامامة . وعلى هذا فالاول والثالث واحد واما الثاني فليس الا ذات الشيء بحكاية المعنى دون التنفيذ بالاصل لا سيما ~~في~~ وانه من محدث لم تؤيده الاصول القديمة . وحقق لوجسده فانه لم يكن هناك امر غرق .

٤٤ - الاستطاعة وخلق الانمال (ياقوت) . الطبائع (ياقوت) . انمال الطبائع (سندويي) .
احالة السقيرة على الظلم (ياقوت) .

نظرة بسيطة توينا ان الاول والثالث واحد . وان الثاني قد ينضم اليهما اذا فكرنا بالانمال . لكن اذا فكرنا بطبائع الحيوان التي كتب فيها انتكت لنا كل غزل . اما الاخيرة فقد يكون رسالة دينية حرة لوحدها وقد يكون ذات الكتاب . على كل نستنتج من هذه المجموعة اولا اما ان الجميع كتاب واحد او انها على الاكثر ثلاثة كتب .

٤٥ - نخر السودان والبيضان . . مفخرة السودان والبيضان . نخر السودان والحران

كلها اسماء لواحد . لان النبي في حديث استعمل الاحمر بمعنى الابيض فقال ارسلت للاحمر والاسود ولان الجاحظ نفسه وضع ذلك ونسب غايه وازال الشبهة فيه في الرسالة المطبوعة .

٥١ - مفخرة الجوارى (داماد) . مفخرة الجوارى والفلمان (موصل)

كلاهما واحد وقد اشار الى ذلك بروكلمن . ولا بد ان يكون قد اطلع على المخطوطتين

٤٧ - المعلمين . نوادر المعلمين .

كذلك . لا يمكن إلا ان يكون قبل المعلمين " شي . " . واقدربشي للمعقول
هو " نوادر " . فاذا كان ذلك فان الكتابين كتاب واحد .

٤٨ - نخر هاشم وعبد شمس . فضل هاشم على عبد شمس .

٤٩ - نخر عبد شمس ومخزوم . النخر ما بين عبد شمس ومخزوم .

٥٠ - مناقب جند الخلافة . مناقب الترك وعامة جند الخلافة .

٥١ - الوعيد . الوعد والوعيد .

٥٢ - الناسي والتلاشي . التلاشي والتلاشي .

٥٣ - الوكلاء . الوكلاء المتوكلين .

كل مجموعة من هاته يجب ان تكون مقتصرة على واحد . والسبب واضح
على كل - هذا ما توصلنا اليه عن طريق الشك العقلي اولا والمنطق
الشكلي ثانيا والتعقيق العملي ثالثا فكان ماراينا . ونتيجة له يجب ان نُطرح من قائمة
كتبه المذكورة في الفهرس ١١٤ الى ١٢٧ كتابا . لكي نقرب من الحقيقة وان كا لا ندي
أنا وصلنا اليها .

ثالثا - الكتب التي نسبت اليه -

-----x-x-x-x-x-x-x-x-x-----

هذه هي الظاهره الثالثة التي نعلت فعلها في الاضطراب الكبير ما انتج
كل هذه الفوضى في الاعداد التي أعطيت لكتب الجاحظ . نعتي ظاهرة كتابة غيره باسمه .
كما قد كتب هو باسم غيره . ولا غريب في هذا ان يكتب غيره باسمه بعد ان
ذاع صيته وانتشر اسمه وعمره القاصي والداني . وشاهدنا على هذا اقتباسات من
"المداد والحمد" بقلمه . لقد تحريتنا كثيرا ودققنا طويلا في كل ما وصل الينا من
كتبه . لوجدنا ان الشك في صحة نسبة الكتب التالية الى الجاحظ - اغلب من اليقين
في صحة نسبتها . واليكها مع بيان الاسباب .

اولا - كتاب الاپل - بالرغم انه لم يصلنا منه شيء لكننا اعتمادا على ملاحظة ياقوت (انه من الكتب التي نسبت اليه قديما) نقول انه ليس له وانما كتب باسمه .
ثانيا - التاج - لقد قرأنا كتاب التاج اولى وثانية . وقرأنا مقدمة الطويلة التي سهر عليها احمد زكي باشا وحاول ان يورد فيها كل ما يمكن ايراد من الحجج والدلة والبراهين لاثبات نسبه للجاحظ . لكننا لم نستطع ان نطمئن الى صحة نسبه اليه . ولسنا الوحيديين في موقفنا الشكي من نسبة الكتاب ، بل يؤيدنا ممن عرفنا الاساتذة بروكلمان وكُرد والسندوبي وغيرهم كثيرون . لكنهم لسوء الحظ لم يوردوا ادلة قاطعة تؤيد شكهم او تفهم لهذه النسبة . ولهذا اخذنا على عاتقنا هذه المهمة .

نعم نشك في صحة نسبة كتاب التاج للجاحظ . وذلك لما يلي =

اولا - لان واحدا من المصادر الاولى لم يذكره اليه . اما كما وقع له من ذكر كان في موضعين . الاول في العقد الفريد لكن على انه ليس للجاحظ بل لآخر غيره . والثاني في فهرس العقد حيث قال السيد شفيح معلقا في الهامز عند ذكره (وهذا الكتاب للجاحظ) . لكن بما ان شفيحا متأخر ولم يستند الى اصل مولود به ، لذا لا نستطيع ان نأخذ قوله بعين الاعتبار .

ثانيا - اسلوب الكتاب التالي ليس من اسلوب الجاحظ اليه . فمن ناحية إنعدام الاستطراد والتكرار والاستشهاد روح الدعاية التي اتصف بها اسلوب الجاحظ . ومن ناحية برزت ظاهرة لم يعرفها الجاحظ معني ظاهرة الترتيب الدقيق جدا . فالرجل قسم كتابه لابيواب . والابواب لفصول . والفصول لمواقيف منسجمة كل الانسجام . ولهذا - اي لانعدام صفات اسلوب الجاحظ التاليي ولبروز اخرى لم يُعرف بها - لا يسعنا الا ان نشك في صحة نسبته .

ثالثا - لأن اسلوب الكتاب الانثائي ليس من اسلوب الجاحظ بشيء . فالجاحظ عودنا على التوازن او خلطه بالاسترسال ، وهذا كذلك على قصر الجملة وطول النفس وإيراد تعابير خاصة مما لا يمكن لباحث مهما كان مدققا ان يجد لها اثرا في الكتاب كله . ولهذا ايضا نشك في نسبته .

رابعا - لان نوع مادة الكتاب ليست مما يمكن نسبته للجاحظ . قد يقال ان الجاحظ خالط الخلفاء كالمأمون والمعتصم والوائق والمتوكل . وقد يقال ايضا انه لانه ابن الزيات وابن ابي دؤاد وصحب الفتح ابن خافان ، فباستطاعته ان يكتب عن اداب السلطان . نقول كل هذا صحيح

ومن اجله يستطيع ان يكتب عن اخلاق السلطان . لكن السلطان العربي فقط . ولهذا سلفنا
 بصحة كتابه - السلطان واخلاق اهله - أما ان يكتب عن السلطان الفارسي نعماً يصعب علينا
 التسليم به . ثم اية كتابة كتب . كتابة مدقق مطلع قريب عاشر اكر حياته في بلاط الفرس . والجاحظ
 لم يقل واحد من المؤرخين انه ذهب لبلاط الفرس . قد يقال ربما جائه المادة بالدرس والسماع .
 فنقول قد يكون . يستطيع ان يكتب . لكن حديثه لن يكون بالدقة والضبط اللذين برزا في الكتاب .
 خذ مثلاً قوله في صفحة ٧ في باب الدخول على الملوك وفيما يجب على الملك اذا دخل الرجل عليه
 ان يفعل (اذا كان الداخل من الاشخاص والطبقة العالية) ثم حق الملك ان يقف منه بالموضع
 الذي لا يئلى عنه ولا يقرب منه . وان لا يسلم عليه قائماً . فان استنداه فـقرب منه فاكب على
 اضرانه يقبلها . ثم تنحى عنه حتى يقف في مرتبة مثله . فان اوما اليه بالقمود قد . فان كلمه
 اجابه بانخفاض الصوت وقلّة حركة . وان سكت نهض من ساعته قبل ان يتمكن به مجلسه بغير تسليم
 ثان ولا انتظار امر . وان كان الداخل من الطبقة الوسطى فمن حق الملك اذا رآه ان يقف . وان
 كان ثانياً عنه . فان استنداه دنياً وخسباً ثلاثاً أو نحوها ثم وقف ايضاً . فان استنداه دنياً من
 دنوه الاول ولا ينتظر الى تعب الملك في اشارة او تحريك جارحة فان ذلك وان كان فيه على
 الملك معاناة فهو من حقه وتحميه . وان كان دخوله عليه من الباب الاول يقابل وجه الملك وحاذيه
 - وكان له طريق عن يمينه او شماله - عدل نحو الطريق الذي لا يقابله فيه بوجهه ثم انحرف نحو مجلس
 الملك فسلم قائماً ملاحظاً للملك . فان سكت ... فان استنداه فان اوما اليه ...
 فان كلمه ... فان قطع كلامه ...) الى اخر ما هنالك ما لم نجده حتى الان في اى اثر من اثار
 الجاحظ . نقول هذه المادة غير الجاحظية وهذه الدقة في سردها والاطلاع على ثناياها - ما
 لم يُعرف به الجاحظ او يُذكر عنه - تضطربنا بان نشك في نسبة الكتاب .

خامساً - واخيراً لان الرجل ذكر في كتابه " الاغاني " وكتاب الاغاني هذا القديمد موت الجاحظ
 بقرن تقريباً . لقد دافع عنهم الباشا عن هذا بقوله ان هناك اغاني كثيرة جاءت قبل الجاحظ . فلو كانت
 الاشارة الى واحد منها . لكن القصة التي وردت في صفحة ١٢ منه ، وورودها بنصها ونفسها
 في اغاني ابي النرج بذاته ، ما لا يمكن نكرانه ولا جعده ولا حتى ~~الاعضاء~~ الاعضاء عليه واستحالة
 استعانة متقدم بمتأخر تضطربنا لان نشك في صحة نسبة الكتاب .

لهذا نعتني لعدم ورود اى ذكر له في المصادر الاولى ، ولعدم مطابقة اسلوبه التأليفى
 لما عرف عن الجاحظ ، ولعدم اتفاق اسلوبه الانشائي مع ما عرفت عنه ايضاً ، ولعدم امكانية الصاق مادته

بالجاحظ ، واخيرا لذكره اشياء جاءت بعده = لا يمكننا الا ان نشك في صحة نسب كتاب التاج لابي عثمان الجاحظ .

ثالثا تنبيه الملوك والمكاييد - لمؤ الحظ لما يطبع الكتاب . ولهذا لم نطلع عليه . ولهذا لا نستطيع ان نبدي فيه رأيا خاصا . انما كل اعتمادنا في موقفنا الشككي منه على قول السندوي ص ١٥٢ (اذا علمت ان هذا الكتاب مصدر بفاتحة يقول فيها " الحمد لله الذي افتتح بالحمد كتابا . وفتح للعبد اذا وافي اليه بابا . . . " لم تترد لحظة في انه لغير الجاحظ . وانما نسبه من نسبه اليه جهلا وضيا . توجد منه نسخة مأخوذة بالتموير الشمسي في دار الكتب المصرية تحت نمرة (٢١٥٤) هذا ما قال السندوي . وهذا كل ما يمكننا ابراده بخصوص الكتاب . ومنه يلاحظ ان الرجل شكَّ في صحة نسبته لورود السجع المتكلف في عبارته . ونحن الى ما قال به اميل .

رابعا الحنين الى الاوطان - قال السندوي معلقا ص ١٥٣ . (من قرأ هذا الكتاب وقرنه بشيء من كتب الجاحظ او وزن بينه وبين طريقته بالتأليف لا يشت مطلقا في ان الجاحظ منه براء . وانه من تلفيقات الواقفين الذين يجمعون نكتي العبارات الى بعضها في كتاب ثم يسببونه الى مؤلف مشهور ليلقى الرواج عند الناس) .

هذا ما قال السندوي . اما نحن فنقول ان هذا قد يكون . لكن اسلوبه التألفي بكثرة استشهاده نشرنا ونسمره واسلوبه الانشائي توازنا وارسالا ، وصادره التي استقى منها ~~مجلده~~ كتابا واشخاصا - لم تخرج في كثير ولا قليل عما عرف عن الجاحظ .

لهذا نقول ان ما اورد السندوي كان اتهامات غير علمية وليست معتمدة على حقائق او شواهد يمكن الرجوع اليها . انما كانت الحقيقة في الامر عكس ما ذهب اليه مما اردناه في الفقرة السابقة .

الا ان هناك نقطة مهمة يجب ان لا نغفلها هي مسألة التسمية . فالكتاب مطبوع بهذا الاسم . لكنه لم يرد له ذكر في المصادر . وكما ورد كان في الفهرس . ووروده هناك كان على انه لغير الجاحظ وامام هذا لا نستطيع ان نقول ان الكتاب للجاحظ لما في باطنه من تاييدات ايجابية . ولا ان نقول انه ليس له بالعمرة كما رأى السندوي . انما نقول اننا في حيرة من امره . نألي ان تقع على ذكر اصيل بخصوص تسميته ه بُقي علامة الاستفهام بعد اسمه .

خاصا الدلائل والاعتبار - تبرز في هذا الكتاب فكرة معتزل منطوف في مذهبه بهاجم غيره مثل
المنانية والمعتلة . ويظهر فيه واضحا اطلاع صاحبه الكبير على فلسفة اليونان هذا بالإضافة الى
اسلوب جاحظي قوى في الانشاء والتأليف . وكل هذا يؤيد ان الكتاب للجاحظ .

لكن صبغة الترتيب المنطقي الطول وترداد كلمتي " أنظر ونكر " كثيرا وانعدام الشواهد
وكذلك ~~الاعتبار~~ بالمرءة تثير شكوكا وهو اجسنا من حيث صحة نسبته .

لقد جزم السندوبي بخلط نسبته اليه وايده في ذلك كرد علي ومال اليه بروكلمان .
الا اننا لا نرى ما راوا . لان القسم الاول ما اردناه عنه بالإضافة الى وجود امثال ما انكرناه عليه في
رسائله (ولتذكر ان ما بين يدينا رسالة) تاخذ بيدنا في اتجاه وسط بين من ينكر نسبته ومن يؤيدها
هذا ان لم نؤيد نسبته على خط مستقيم .

سادسا سلوة الحريد - لقد انكر السندوبي صحة نسبته . وانكرها غيره . ونكرها نحن بدوننا .
وذلك لاسباب كثيرة نأخذها من بين دفتيه اليك اشهرها .

- (١) - لهذا المسجع المتكلف المطرد الذي لم يعرفه الجاحظ .
- (٢) - لهذه الألقاب التي استعملها الكاتب عند الكلام على عظيم مما لم يعرف الا أيام السلاجقة
اي بعد الجاحظ بقرنين مثل = قوام الملك . ونظام الدين . وحجة الاسلام . ونور
الممالك . وجمال السلطنة . ومها الدولة . وغيرها كثير .
- (٣) - لآخذه عن ابن المعتز وابن الرومي وغيرهما من شعراء القرن الرابع . وللمتميل
لابن المعتز = اشرب على طيب الزمان فقد حدا . . .
ولا بن الرومي = اصبحت الدنيا تروق من نظر . . .

واظن ان في هذا الكفاية لنفي نسبة الكتاب عن الجاحظ .

سابعا الحاسن والاضواء - لقد خُدد الكيرون بنسبته . واذكر من بينهم محبي الدين ابن
العربي الذي نقل عنه في " محاضرات الإقربار وسامرات الاخيار " ونسخ عنه بل نسسه البيهقي في
" الحاسن والساوي " . اما نحن فلا نرى فيه اكثر من جَمْع لآحد ورأى القرن الرابع غلبت عليه نزعة
دينية رجعية خصوصا لمؤلفه المعتز من أكثر المسائل الخلقية التي تَمَرَّزَ لها . ولموقفه السلبي من النساء
وادلتنا على عدم صحة نسبته ما يلي =

(١) - نقله عن ابن المعتز خصوصا تلك القطعة التي قالها ابن المعتز في سجنه .
 ما لا يُعقل ان يكون رقابها والجاحظ على قيد الحياة . نعتي = تعلمت في السجن
 نسج التكة ...

(٢) - تحديته عن ثعلب . و ثعلب تليذه . والجاحظ لم يحوت مرة عن ثعلب . فقد
 جاء قوله = حدثنا ثعلب عن الفتح ابن خافان ص ١٣٥ .

(٣) - تليحه لقصة الفرطوني والجاحظ . وهذه الحكاية ونسجت سنة ٣٩٤ اي بعد موت
 الجاحظ بحوالي اربعين سنة . فكيف يروى ما لم يقع؟ ولخسر القصة كما جاء في
 السندوي صفحة ١٤٤ ان ذكره " ريم القرامطة هاجم الجاحظ بجيشه سنة ٣٩٤
 وقتل بهم فتكا ذريعا حتى قالوا ان عدد القتلى كان عشرين الفا .

لكل هذا نيل الى الاخذ بالقول بعدم صحة نسبة المعاصم والاعداد للجاحظ .

تأينا كتاب الهدايا - لقد قال ياقوت انه ما نسب الى الرجل قديما . وما ان الكاتب ضاع وليس لدينا
 منه ما يمكننا من نقاش هذا الحكم لهذا نضطر للموافقة عليه او للوقوف على الحياد من امره .

رابعا - الكتب التي ضاعت
 ×××××

بقيت ظاهرة اخرى هي ظاهرة ضياع الكتب . إما باثيان اعدائها عليها . او بحرق
 المكاتب الذي تعدد ووجه خصوصا عند اختلال الامن او بموامل اخرى كثيرة . وانه لمن المؤسسان لا
 نستطيع ان نعرف كتابا واحدا قد ضاع بتاكيد . كما لم نستطع ان نعرف كتابا واحدا من تلك التي
 تحلها اسماء غيره في اول عهده . لهذا نقول ان علينا ان نتنظر الاكتشافات القادمة فلعلها تنيل بعضا
 من النقاب .

والخلاصة

والخلاصة التي وصلنا اليها لحد الان هي =

- اولا - ان سرد كتبه الموضوعي وصل بنا الى ٢٨٥
 ثانيا - ان سرد كتبه التحقيقي اسقط من هذا العدد ١٢١ - ١٣٤
 ثالثا - ان اقرب عدد من الحقيقة هو ١٥٢ - ١٦٤

المقالة الثالثة في وصف كتيبه

في هذا المقال سنحاول ان ناتي على وصف كتيبه المصبوغة التي وصلت الى ايدينا وقراءناها . ^{تأليفه} مصطبغين ان نصفها وصفا موضوعيا دقيقا نترضى ^{فيه} /الا يجاز مع حُسن الدلالة والتعريف جُهد الاستطاعة . لعلنا بهذا نخدم او نرشد او نأخذ بيد من يحب الاطلاع على ادب.. ابي عثمان . - وللوصول الى هذه الغاية سنتكلم أولا عن كتيبه الثلاثة الرئيسية بشيء من الاسهاب ثم نتحول لتتكلم عن رسائله ضمن مجموعاتها التي نشرت فيها . ثم ننقل لتتكلم عن المتفرقات منها .

١ - الحيوان

في سبعة اجزاء . وقعت في ١٠٨٩ صفحة . من الورق الاصفر الذي تقسم صفحاته لثلاثة وعشرين سطرا . وفي مصبعتي السعادة والتقدم . بين سنتي ١٩٠٥ - ١٩٠٧ . واشهراد السامي وتحسين النعساني ... طُبِعَ كتابُ الحيوان لابي عثمان عروبن بحر الجاحظ . وقد لفت نظرنا قولُ الناشر بعد تسمية الكتاب "الحيوان" - وهذا الكتاب هو " البارخ في الادب والجامع في حكم العرب " . مما لم نسمع به من قبل في مصادرنا التي اطلعنا عليها لحد الان . فأمين أين انابه الاستاذ السامي فلا نعرف .

وحسن بنا أن نفور إن الكتاب لم يُطبع سوى هذه الطبعة . ويجدر بنا ايضا ان نقول انها ملأى بالاغلاط والتشوشات . نكتفي للتفصيل عليها بايراد ما يلي من الجسر الرابع . [في ص ٤٩ وَصِفَتْ كَلِمَةٌ وَصِفَتْ بِدَلِّ سَمِيحَةٍ . وفي صفحة ١٢٩ كلمة تعرق برلى تعرف بزادة نقطة على اخر حرف . لم يكن التصحيح هو الغلط الوحيد بل ورد هناك بياض كبير كما في ص ٥٢ ووردت أبياتٌ نافضة كما في ص ٦٢ و ١٠٩ . ووردت اغلاط نحوية كما في ص ٦٨ . وكذلك اغلاط إملائية كما في ص ٩٢ . اما التعريف وما اليه تحدث عنه ولا حرج . فالمكي بدل المكي مستماع في ص ٩٨ . وابن يعفر بدل ابن يعفر موجود في ص ١١٢ . واقفة بدل القيامة مما لم يضق به صدر الناشر في ص ١٥٤ . - كل هذا بالاضافة الى عدم فصل الجمل عن بعضها . وظلّت الفقرات دون ترتيب . وخلو كل الكتاب من أية صبغة ترّج الفارئ . مثل التفتيق والتشكيل وتفسير الصعب . حتى انه بكل سهولة يقال ان الخلاص من كل صفحة لا يكون الا بعد الف حساب . -

نوهنا بهذا ~~لا~~ لننفذ نقدا هداما وانما لنشير الى ضرورة قيام ذوي الامر بطبع الكتاب من جديد لا سيما وان قيمته مما لا تفي بها سطور .

هذا عن طبعاته . اما مخطوطاته فلما نعرف منها اكثر من اثنتين . كلاهما في مكتبة عاشر ائندى في اسطنبول . الاولى تحت نمرة ٥٨٤ والثانية تحت نمرة ٨٢٦ .

ألف الجاحظ هذا الكتاب في شيخوخته بدليل ما ذكر من أثر الوله التي كان يعانها في الجزء الرابع^{١٧٤} . الله لغرض من أجل الاراض ونعني به الكرم على جميع الحيوانات صغيرها وكبيرها لاثبات وحدة الكون كما سن يذك أكثر من مرة في ذات الكتاب^{١٧٥} . وقد ان فرغ منه اهداءه لولي امره انذاك الوزير محمد بن عبد الملك بن الزيات . ونال عليه خمسة الاف دينار^{١٧٦} .

لقد كتب عنه الكثيرون من قداما^{١٧٧} . وسحدثين . مدحه الجرجاني في "اساس البلاغة" بعدم تكلفه بأسلوبه^{١٧٨} . وهاجمه البغدادي في "الفرق بين الفرو" بقوله انه سلع فيه معاني ارسطو ونسب اليه ما ذكره الدائني من حكم العرب واشعارها في منافع الحيوان^{١٧٩} . ثم جاء عبد اللطيف البغدادي فاختصره في كتاب اسماء "اختصار كتاب الحيوان"^{١٨٠} . ثم لخصه ابن بختيسترنا^{١٨١} . الملك الشاعر المصري في كتاب اسماء "ربي الحيوان"^{١٨٢} . وانه لمن الجميل ان نقول ان كل من جاء بعده وحاول ان يكتب عن الحيوان قد تطفل عليه إما بالنسخ او بالاستشهاد . ونذكر من بين هذه الجهمرة الديمري في "حياة الحيوان الكبرى" . والقزويني في "عجائب المخلوقات" . واحوان الصفا في "رسالة الحيوان" وحتى الاشبيهي في "المستطرب" . وغيرهم كثيرون .

اما المحدثون فقد كتب عنهم عنه الاستاذ پلاتسيوس في مجلة "ايزيس" .

ج ١٤ ص ٢٠-٥٤ محلا ومقرها . وكتب عن ناحيته الحيوانية الاستاذ مصطفى الشهابي في مجلة المجمع العلمي في دمشق ص ٥٠١ سنة ١٩٣١ فاحس الوصف والنقد . وكتب عنه كذلك الاستاذ نواد انرام البستاني في مجلة المشرق ج ٢٩ ص ٦٢٨ فاجاد الوصف والتلخيص . هذا الى ارشادات كثيرة اخرى ردت في اماكن متعددة لا ضرورة لذكرها .

وليست قيمة الكتاب وقفت عند حد العلم الحيواني اذن لكفى صاحبه فخرا . فما القول - وما من اديب الا تطفل عليه . بل ما من فقيه الا وانتبهه . بل ما من عالم نفس جاء بعده الا واثار اليه . كثيرة نواحيه . ومتعددة قيمه . وكما نود لو كان وحده موضوع الاطروحه . لركزنا عليه وحاولنا ان نخدم العلم اربا والعلماء ثانيا وبا عثمان اولا واخيرا .

هذا عن نواحي كثيرة من الكتاب . اما عن مادته فالأحسن ان نأخذها متفرقة في كل جزء

الجزء الأول - بالرغم من انه من الصعب وضع أي فهرس لأي كتاب من كتب الجاحظ دون تكرار ، فقد حاولنا جهدنا ان نقرّب من المصلوب فكان لنا ما يلي = نستطيع ان نفسم مادة هذا الجزء الى اربعة اقسام . القسم الأول مقدمه استغرقت الخمسين صفحة الأولى . تكلم فيها عن سبب وضع الكتاب . فقال انه أولا مجارة للخاصة التي كانت بين الشيخين في الكلب والذئب وثانيا لاستقصاء البحث فيها . ثم تكلم عن عائبي كلبه فسرد اكر ما ألف الى ذلك العين ورد على عائبي كل منها . ثم دافع عن موضع كتابه بقوله ان كل مخلوق مهم وله حله من الخليفة مهماته ولذا يجب علينا ان نعطينه نصيبه من الدرس . ومعهذا دافع عن اسلوبه الذي يخلط به الجدل والهزل فقال انه لا يستعمل الهزل للهزل وانما لمساعدة الضعاف ومن لم يعظم الله الجدل على متابعة القراءة ؟ اي انه يستعمل الهزل طريقا موصلا للجد . القسم الثاني في الخصا استغرق بين ص ٨٥ - ٨٠ . تكلم فيه عن تأثير الخصا في المخصى ومن انواع الخصا ومن اغراضه ثم عن حكمه في الدين ونال بعدم الأخذ به وهاجم الروم من اجله . القسم الثالث في محاولة بين صاحبي الكلب والديك استغرقت ما بين ٨٠ - ١٥٦ اي الى اخر الكتاب . هذا يذكر مفرقة لصاحبه وذلك بنفصها . وذا يعيب عاحب الآخر والآخر يدافع . وهكذا . ولقد خُدد بعضهم بحسن هذا الحوار ومقدرة الجاحظ على اتقان تفسير دفته حتى راح يكتب في " الرسالة " ان الجاحظ عرو التنشيلية . وهذا البعض نعني الاستاذ توفيق الحكيم . القسم الرابع في استصراعات متنوعة . وهذا في الحق ليس بابا انما هو مجموع لاستصراعات كثيرة وقعت متفرقة احببنا ان نورد لها هذا القسم لنجمعها فيه لانها فيسمة . اشهر هذه الاستصراعات التي نكاد تكون تفصلا كاملة .

- ١ . تعداد كلبه ص ٩ والرد على تنقص اعدائه لها ص ٩ - ١٣ .
- ٢ . في فضائل الكتاب ص ١٩-٢٢ وكتابة ص ٢٢-٤٤ والفلم ص ٢٢ والتأليف ص ٤٢ .
- ٣ . في انواع البيان والدلالات ص ٢٣ .
- ٤ . في الشعر وتوجيه ص ٣٢ - ٤٠ .
- ٥ . في تقسيم مخلوقات العالم ص ١٣-١٩ .
- ٦ . في الهجين ص ٦٣ والتهجين ص ٦٨ وملكية الخصي ص ٧٥ .
- ٧ . في النساء ص ٥٧ (٦٠) وظلب الولد ص ٤٩ ونرب الخصي من النساء ص ٧٧-٨٢ .
- ٨ . في التسمية والاسماء ص ١٥٧ الى ١٥٩ .
- ٩ . في اللغة وفردات متروكة ، مستحدثة ، امثال ، فقه اللغة ، مخفايا اللغة ، اداب القول .
- ١٠ . طرائف اخرى لا حصر لها .

الجزء الثاني - لكن اللبكه "او" المبك" على حد تعبير ~~الذي~~ والتي قابلناها في الجزء الاول تخفف في الثاني كثيرا . ويظهر ان لجلا الموضوع ووضوح امام الرجل نصيبا كبيرا في ذلك . فما الجزء الثاني بلكيته الا متابعة لمحاورة الكلب والديك مع استصادات بسيطة في مسائل كاسميه وبيان علاقة الحيوانات مع بعضها من ألقة أنفوة . وحديث عن الشهرة والخمول والسعادة هو للفلسفة اقرب منه للادب ثم كلام في اصابة العين ، الى قصص ورائات واشعار ونوادير متنوعة لا حصر لها ولا كبير فائدة في الاثبات حتى على مجملها .

لكن الذي يهمنا هو ان الرجل خصص جزئين من سبعة للراصة الكلب والديك . فكيف درسهما . وكيف تكلم عليهما . والى اى حد نستطيع ان ننسج كتابه " في الحيوان " . — الحق ان الباحث لم يكتب في الحيوان تخصصا وانما اتخذ هذه الحيوانات التي تَمَرَّص لها مدارا ومثارا لكثير من الآراء الدينية والحكايات القديمة والاشعار المشهورة والانوال المانورة وغيرها كثير . ولهذا كان يَحْكُو في هذه الحيوانات بحسنا ادبيا اكثر منه علميا . واليت نموذج بحسنه في الكلب مثلا وجميع الباقيات تنطبق عليه . وصفه وصفه الجسدي ثم الخلقي ثم ما قيل فيه من امثال واشعار . ثم ما يتدلى به من لغويات وادبيات . ثم ما حضر عن طعامه وشربه وسنامه وكثير من عاداته . ثم ما جاء عنه في الدين . ثم لعامة باعراضه ونوالده واخلقه . واخيرا ثوبه او بعده من الانسان وشربه بذلك . نحن نفر بالمعجز عن إعطاء فكرة واضحة عما قال الا لكثرة ما قال وثانيا لتباينه وثالثا لعدم ترتيبه . وانما نسطن ان في هذا كفاية .

الجزء الثالث - بعد مقدمة استغرقت بين ص ١-٤٥ تكلم فيها عن مادة الكتاب مجعلا ودافع فيها عن اسلوبه الاستطراذى وادبه المكتوف بكل اختصار اورد نكتا ونوادير متفرقة ثم اخذ في التكلم على الحمام ومعهم الرحم والعقاب وشيور اخرى مع اعطاء لمحة سريعة في السمك والفضاد بين صفحتي ٤٥-٩٢ . وبعد هذا راح يتكلم عن الذبان فقال في اهمية صغار الحلوى وفي اخلاقيات الذبان ولم يَنْسَ أن يذكر معه النمل والنحل والبعوض وطيل الاستطراذ في النار وانولها ثم في كثير من الحيوانات ونومها ص ٩٢ - ١٢٧ . ثم انتقل ليقول بسرعة في الغراب بين صفحتي ١٢٧ - ١٥٦ وفي الجملان بين ١٥٦-١٦٠ وفي الهدهد بين ١٦٠-١٦٣ والرخم بين ١٦٣-١٦٥ ثم الخناش ١٦٥-١٦٨ وهذا انتهى الجزء الثالث .

الجزء الرابع - تكلم فيه عن الذرة وما يمكن اقتباسه من اخلاقياتها ص ٢-١٢ ثم عن الخنزير والقرد وخاض في حكايات المسح واكل اللحم ص ١٢-٢٨ .

ثم عن الحيات وخرافات كثيرة عنها ومن الوزن ص ٣٨ - ١٠٢ .
وانتهى بالكلام على النعام مع استطرادات في اللغة والادب ص ١٠٢ - الاخير .

الجزء الخامس - في المقدمة تكلم عن النار ١-٤٥ ومن الماء ٤٥-٤٩ وشرح منهجه ٤٩-٥٢ ثم
أورد طائفة من الشعر في الذم ٥٢-٦٦ والاماني كذلك .

ثم تكلم عن المصفور ٦٦-٧٧ والنار ٧٧-٨٨ والسنور ٨٨-١٠١ والمقارب
١٠٢-١١٢ والحيات بين ١١٢-١١٢ . ثم افانر في القمل والبراغيث والبق والمنكبت
ودود الفز والنحل والقواد بين ١١٢-١٣٣ . ثم في الحبارى والضان والعلز والضدع
والانسان والجراد والجندب والقطا بين ١٣٣-١٧٠ . ثم اخذ بنوادر متفرقة انتهى
بها الجزء واستقرت بين ١٧٠-١٧٥ .

الجزء السادس - بعد مقدمة في انواع الحيوان تكلم في الضب ص ١١ واعاجيبه ص ١٦ واكل لحمه
ص ٢٤ وجميره ص ٣٥ . ثم اعطى بضع صفحات لالعاب الاعراب مما يندر
وجوده في غيره ص ٤٣ . ثم انتقل ليفسر قصيدتين احدهما للبهرازي استقرت
بين ٤٤-٩٢ والثانية لبشر بن المعتز استقرت بين ٩٢-١٥٠ . وقد حشا بينهما
استطرادات في عريف الجان ٥٣-٦٩ وفي نوادر وحكايات واشعار يصعب حصرها
تحت عنوان واحد . واخيرا تنبه الى ضرورة الكتابة في الحيوان قرأ يتكلم على الذب
ص ١٥١ ثم الورل ١٥٦ ثم الفند ص ١٥٢ واخيرا النهدي ١٦٠ وهذا انتهى
الجزء .

الجزء السابع - لقد اعطى كل المجلد للكلام على حيوانات مختلفة فحرمنا من استطراداته . بعد
مقدمة قصيرة في الدفاع عن الكتابة في مختلف الحيوانات اخذ في مقارنتها من
نواحي السمع والشم والبصر والقيط والحين كذلك . ثم تكلم عن الغيل والجاموس
والكركدن والأسد وغيرها كثير حتى اتى الى اخر الجزء .

٢ - البيسان

قيل : البيان والنبين " كما هو مشهور " وقيل " البيان والنبين " كما في ترجمة دي سلا
لونيات الاعيان ج ٢ ص ٤٠٥ وكما في مجلة اسلاميكا ج ٤ ص ٢٧٧ ص ٣ . وقيل " البيان والنبين " .
كما جاء في مخطوطة باريس على رواية بروكلمان . وما لا حاجة لدافضة فيه اننا نأخذ بالتسمية الاولى
لاشتهارها ولذكر الجاحظ اياها اكثر من مرة في ذات الكتاب .

ذكره ياقوت ٢٦/٦ فقال ان منه نسختين اوله وثانيه . ولا ندرى ماذا عنى ياقوت من هذا . أترى ان منه نسختين مختلفتين في التحرير ام انهما نسختان للكتاب واحد في الخط ^{أصل} وذكره صاحب المروج ٣٤/٨ وذكره ايضا بن خلكان ٥٥٤/١ وكذلك السيوطي ص ٢٩ وكلهم مدحوه .

يوجد منه خمس مخطوطات . الاولى في الاسكوريال نمرة ٢٢٨/٢ . والثانية في لينينغراد من فهرس رون نمرة ١٥٨ . والثالثة في داما دزاد في اسطنبول نمرة ١٥١٤ . والرابعة في فارس نمرة ١٢٥٢ . والخامسة في الموصل نمرة ١/١٥/٢٠٨ . وللطراع على تفاصيل ضافيه عن هذه المخطوطات راجع " الجاحظ " من المجلة الاسيويه الالمانية .

طبع اربع مرات . الاولى في القاهرة في مجلدين . الاول منهما وقع في ٢٢٢ صفحة في كل صفحة ٢٩ سطرا في المطبعة العلمية سنة ١٣١١ واخره (وخطب الوليد نقابا ان امير المؤمنين عبد الملك كان يقول ان الحجاج جلده ما بين عيني الا وانه جلده وجهي كله) . نشر غريب النازه لناية المنزل السابعة السيد حسن افندي الفاكحاني ثم اكل ذلك الشيخ محمد الزهري النعراوى . اما الجزء الثاني فقد طبع سنة ١٣١٣ في ١٩١ صفحة . بدا بكتاب اللحن وانتهى باخر الكتاب الكامل وقد نقص منه الشرح الذى وجد في الاول .

الطبعة الثانية كانت في ثلثة اجزاء . اذ انتبه الناشر الى تقسيم الجاحظ الاصلي للكتاب وقع الجزء الاول منها في ٢١٨ صفحة ووفد على طبعه محب الدين الخطيب الحرر بجريدة المؤيد ^{واي} / ^{نفع} وانفق عليه محمود توفيق الكبي في القاهرة في مطبعة الفتح سنة ١٣٢٢ . الا انه لسوء الحظ حشو بالاختطاط المطبعية . اما الجزء الثاني فوقع في ٢٩٦ صفحة . انفق على طبعه السيدان الخطيب هارث الحايرى . وتم طبعه في مطبعة الجمالية بحارة الروم من ذات السنة . اما الجزء الثالث فوقع في ٢٣٦ صفحة على نفقة المذكورين لكن في مطبعة الفتح الادبيه .

الطبعة الثالثة كانت باشراف السندوبي الذى اهتم اهتماما كائفا باخراجه في احسن حلة . نشر بعد غريبه وترجم لكثير من الاسماء التي وردت فيه . طبع الجزء الاول منه سنة ١٩٢٦ في المطبعة التجارية ووقع في ٢٥٧ صفحة . اخره " قاليسوا جلد النور " . وطبع الجزء الثاني سنة ١٩٢٧ في المطبعة الرحمانية في ٢٤٨ صفحة . اخره قول سعيد حفيد حسان بن ثابت .

وان امرا يمسي ^{وصبح} / ^{جبالما} من الناس الا ما جنى لسعيد .
في حين طبع الجزء الثالث في المطبعة الرحمانية ايضا سنة ١٩٢٧ في ٢٧٢ صفحة واخره خطبه للحجاج انتهى بها الكتاب .

الطبعة الرابعة للسندوبي ايضا في ثلاثة اجزاء على النسق السابق . وقد فرغ منه سنة ١٩٢٦ . وهذه الطبعة وان كانت اكثر اناقة من سابقتها الا اننا اعتمدنا السابقة بأكمل لقله اخطاها بالنسبة لاختلاف هذه .

الا ان الكتاب مع كل هذه العناية التي لم يخل من اثار التشوش واليك بعض الامثلة
اولا تشوش في اللفظ مثل سفار بدل صغار ج ١ ص ٩ وتلخص بدل تخلص ج ١ ص ٣٣ . ثانيا
 اضطراب في الاسماء مثل "ابو الصم" بن ابي الجنوب بن مروان بن ابي حفصه بدل "ابي الصفص" ٢١/١
 كما يرى في الاساني ج ٩ ص ٢٤ وتاريخ الطبرى ج ٣ ص ١٤٦٥ . ثم "الاسود ابن الكذاب العملي" ١٣٧/١
 بدل "الاسود الكذاب ابن كـ العنسي" كما يرى في تاريخ الطبرى ١/١ ٦٢١ وفهرست ابن النديم ص ١
ثالثا تزهر في الجمل وقد انتدنا الى واحدة وردت في المجلد الاول صفحة ٣٢ هذا نصها (وهكذا
 وقع في جميع نسخ الكتاب) . وهذه الجملة ما لا شك فيه دخيلة . لكن ترى هل دسها النسخ
 ام غيرهم فلم نستطع ان نعرف لانعدام المخطوطات . وهي تخوننا من وجود اخريات كيرات غيرها
 لم نستطع التحقيق فيها لضيق الوقت . واخيرا تحوير في بعض النماذج . وللتأكد من ذلك فارجو ان
 ج ١ ص ١٧ من البيان ج ١ ص ٩٤ من نهج البلاغة .

كثير الذي قيل في الكتاب مما يدل على عظم اهميته . فالسمودي قال (وللجالحظ كتب
حسان منها كتاب البيان) . وافوت قال (ان الاندلسي قال ان شهرة البيان وصلت
 الاندلس عليه تتلمذ الكثيرون) . اما ابن خلدون فقد قال (سمعنا عن مشايخنا في مجالسهم ان
 اعداء الادب اربعة احدها البيان والتبيين) . هؤلاء مدحوه لما راوا من قيم فيه . اما ابن شهيد
 فقد ذمه ان قال (انه ليس اكثر من جح مشوش) . هذا من القدماء . اما الحديثون فقد اهتموا
 به اهتماما زائدا فكثروا عنه كثيرا ودرسوه اكثر واكثر منه فصولا خاصة بصطوها ونشروها لتمام قراءتها
 كما فعل الاستاذان الناشيبي وبيدس في " مختار البيان " الذي نشرته مطبعة بيت المقدس سنة ١٩٣٤ .
 في ٢٤٨ صفحة . وكما فعل قبلهما احدهم في " صيغة وجدت في الامستانة " قيل ان الجاحظ كتبها
 تلخيصا للكتاب وسماها " المختار من كلام ابي عثمان " طبعتها مطبعة الجواثب سنة ١٣٠١ وطبعته
 القاهرة ثانية سنة ١٩١٠ . ونحن نعتقد ان الجاحظ من هذا التلخيص براء .

هذه نظرات عابرة في مخطوطات الكتاب ومضبوغاته وما قيل في اهميته نحسب ان تلحقها
 باخرى في مادته لنتم للقارى شبه صورة متكاملة عنه - وان كما لا ندعي الكمال لان ذلك يحتاج
 لكتاب قائم بذاته .

الجزء الأول - الفكرة التي يدور عليها الحديث في جميع الكتاب هي " البيان والفصاحة واللمس " لا كما قيل من ان لا نثرة معينة فيه - وكل ما عداها هو تبين لها وتمثيل عليها . ولهذا اورد الرجل كثيرا من مستحسن اقوال الخطباء والشعراء والنساء والزهاد وغيرهم . كما اورد كثيرا من مستفبح ابوالهم للتوضيح عن طريق المقابلة . ثم راج بعدها يسرد كثيرا مما قيل في مدح البيان واللمس الى جانب الكثير الاخر الذي قيل في ذمهما . وهذا فاده الى كثير من المسائل النقدية التي سنذكر جانبها منها في باب النقد .

ومن هذا ترى ان الرجل اولا حدد غايته وهي الكلام على البيان وما اليه . وثانيا وصف هذه الغاية بالكثير من الاقوال وثالثا راج يمثل عليها بكل ما وسعت جمعيتها من سلب وايجاب متجانس وغير متجانس حتى خيل لقصيري الخيال الذين لم تتسع افاقهم سمعة افاق الجاحظ - ان كلمة مقطع لا رابطة بينه . وللتدليل على ما نقول سنذكر فيما يلي فهرسا لما جاء في هذا الجزء

- ١ . عن البيان تعريفًا وتحديدًا وما اليه ص ١-٣٠ ثم ٦٨-٨٢ .
 - ٢ . عن اللثغة وافي عيوب اللسان ص ٣٠-٥٠ .
 - ٣ . عن الخطابة والشعر واللسان ص ٥٠-٦٨ ثم ١١٨-١٤٣ .
 - ٤ . في اقوال مختلفة من نساك ١٥٢ لنوكي ١٧١ لخطباء ١٧٢ لغيرهم ١٤٣-١٩٢ .
- هذه صورة عامة مجملّة تساعد القارئ على تفهم الفكرة التي نحن بصددّها . وان كما لا ننكر انه كان يخلط بين الفصول فيدمج جزئياتها بعضها ببعض .

الجزء الثاني - اذا كانت فكرة تعريف الناس بالبيان هي التي شغلت الجزء الاول فان فكرة التمثيل عليها من كل ما حفظ وسمع وروى - هي التي ظففت على الجزء الثاني . ولهذا سرد الرجل علينا فيه طائفة من اقوال الرسول والسلف السالحي ثم وفد طويلا على الدابة والخطباء . ومعدّها انتقل الى محترارات مختلفة من الصعب وضعها تحت عنوان واحد يكتفي بالفهرس لعدم تجانسها . فللزهاد نصيب كما للحنفا ولاقوال الخلفاء باب كما للنون . ولغيرهم وغيرهم كثير . وعلى كل فاننا نعتقد ان فيما يلي كفاية لتتوير السبيل امام القارئ المستجد . فالجاحظ اني على ما يلي في هذا الجزء .

- ١ . طائفة من اقوال الرسول وهنائه واقوال اصحابه وتابعيه ص ١-٩٧ .
- ٢ . طائفة اخرى من الخشب المنسوب وغير المنسوب الطويلة وغير الصولة ص ١٧-١١٦ .
- ٣ . ثم بمقطعات لا حصر لها ركز فيها على الالغاز ١١٦ و صفة الرائد ١٢١ واخبار قصيرة ١٢٢ واشعار متلوقة ١٣٢ وخطب مجزوة ١٣٤ وحكم متنوعة ١٤٧ ونوادر طريفة ١٥٣ ولحنون طريفة ١٥٥ ونوكيات مضحكة ١٦٤ وضروب من المي ١٦٦

وأخرى من الحسق ١٧٥ وثالثة من النوك ١٨٣ ورابعة من كاه العقلا ٢٠٤ والخطباء

٢١٢ . تشير الضحكة تارة وتلهب عصب الفلسفة العميقة في النفس تارة أخرى

استغرقت جميعها ما بين صفحتي ١١٦ - ٢٤٨ .

الجزء الثالث - نستطيع ان نقسم هذا الجزء الى ثلاثة فصول متباينة في موضوعاتها موحدة في
غرضها ونعني به التعليق التمثيل على البيان وما اليه . الاول كتاب المعاصم والثاني كتاب الزهد والثالث
كتاب متفرقات في اقوال مختلفة .

١ - اراد الرجل ان يرد على الشمسية فبدأ يسرد مصلحتها على العرب مثل القنات بالليل
ومعرفة الكمين واستعمال الركب والمناخنة بالرمال وما اليها . ثم ما زال حتى استنصر من الرواح الى
المصا لقرب الشبه ثم اخذ في كرم مطول مقطع عن كل ما يمكن ان يورد في باب المعاصم . فتكلم عن
من حمل المعاصم . ومن قاتل بالمعاصم . وادى الخيل سُميت بالمعاصم . ثم راح يطالبني استعمالاتها
وفي اصلها وفي امثالها وفي انواعها وفي كثير من امثال ذلك منذرعا تارة بئس سائر او شعر دائر او فصة
سمعها وحتى اتى على اخر الكتاب اى ص ٧٢ .

٢ - اما كتاب الزهد فاقصر من الاول واقل تنوعا منه . ففي حوالي ٣٠ صفحة سرد
علينا جانبها عظيما من اسما واقوال زهاد كثيرين . ونلاحظ على مختاراته انه لم يكن متعصبا زهيدا
بل كان حرا معتدلا . تارة ينقل ما يحسن على الزهد وترك الدنيا وأخرى ينقل ما ينفر من الزهد
ويحسن طلب الحياة . وفي كلا النظمين يحسن القارئ بذات الحرارة .

٣ - هذا من حيث الاولان اما الثالث والاخير اى كتاب المتفرقات فهو مجموعة اقوال
واسعار وخطب وقصص ونوادر لا يمكن ان يجمعها عنوان غير " متفرقات " . الا انه يبرز من
بين هذه المتفرقات بصل في الادعية واخر في بني امية وثالث في بني العباس رابع في الشعر .
ولكي تكمل صورة الجزء الثالث واضحة نقول ان مادته تتلخص في ثلاثة كتب وقعت كما يلي =

اولا - في المعاصم بين ١-٧٢

ثانيا - في الزهد بين ٧٢-١٢١

ثالثا - في متفرقات بين ١٢١-٢٧٢ .

اذا كانت قيم الحيوان " اكر من ان نحصر لغتها وسعة افانها ، فان للبيان فيها
محدودة محصورة واضحة لكثرة ما ركز عليها صاحبنا . اولها القيمة الادبية وذلك لما جاء فيه من

نصوص نثرية من خطب وقصص وأمثال وأقوال . ولما جاء فيه من نصوص شعرية من قصائد مطولة ومقطعات مختصرة . ولما ورد فيه من لمحات نقدية متفرقة ستحاول جمعها والكلام عليها في باب النقد . وأخيرا شذرات لغوية تسربت بالتضاعيف ستجمعها عند الكلام على لغة الرجل . وثانيها القيمة الدينية وتظهر بارزة جلية في كثرة الأقوال الزهدية والفكرية والفقهية والتفسيرات القرآنية التي أوردها في الكتاب خصوصا في الباب الذي خصصه للزهد . مما سنتكلم عليه ^١ ببعض التفاصيل عند كلامنا على دين الرجل ونوعاته وميوله الخاصة به . وثالثها القيمة التاريخية لما ذكر مطولا عن بني أمية وسرد مفصلا عن بني العباس وترجم مختصرا لكثير من الشعراء والأدباء . وأخيرا لما نقل من كتب ومكتبات وتواصي تعد بحق نعم الأصول التاريخية .

٣ - البخلاء

أطرف كتبه وإخفها روحا وأدثها وصفا ولعقها موصفا . قصد فيه إلى البخلاء . يعالج مشكلتهم ويورد آراءهم ورد عليهم وتهكم بهم حتى لا ينتهي قارؤه منه إلا ولى لسانه فأنك الله يا أبا عثمان ما أطروك ولعن الله البخل وأخرى الحرس وجنتنا الطمع .

طُبِعَ الكتاب لحد الآن أربع طبعات اطلعت عليها جميعا . الأولى في مطبعة لايدن سنة ١٣١٩ . اشرف عليها السيد نون فلوتين . وقد جاء مضيضا ومدققا فيه على عادة المستشرقين لولا نقصان الشئ والإرشاد . والثانية في مطبعة الجمهور بمصر سنة ١٣٢٣ على ورق أصفر في ٢٠٥ صفحات . ألتم طبعها السيد ساسي والحفا بفهرستين للفواصي والاسماء السيد محمد مسعود الحرر بجريدة المؤيد . أما عن أغلاطها وتشوهاتنا فذكر نسل . والثالثة في مطبعة ابن زيدون بدمشق سنة ١٣٥٧ في ٣٧٥ صفحة . اشرف على طبعه نخبة مختارة من أعضاء المجمع العلمي هناك . وهذه النسخة جاءت أحسن من سابقتها إذ قدم لها الأستاذ أحمد أمين بمقدمة تلقى ضوئها كبرا على مادة الكتاب وتسلط القارئ على فهم روحه . هذا بالإضافة إلى اهتمام الناشرين بتحقيق كثير من المفردات ومقارنتها حسب ورودها في نسق المخطوطات . كما أعطوا عناية خاصة بتفسير أكثر الغريب . ووضع عناوين صغيرة في الهامش تمكن الضالغ من فهم ما يريد أن يقول الكاتب بسرعة . هذا إلى فهرس كثيرة الحفت بأخره واستغرقت بين ص ٢٩١-٤١٣ جاء فيها فهرس بالمونجات ص ٣٧٩ وأخر بالآيات الكريمة ٣٨٩ ^٢ وثالثا لحديث الشريفة ٤١٠ رابع بالأمثال ص ٣٩٢ وخامس باسماء الأفعمة والأشربة ص ٣٤٥ وسادس باسماء الأعم ص ٣٩٦ وأخير بالكتب ص ٤١٢-٤١٣ .

نقول لقد اهتم النعم اهتماما كبيرا لاخراج الكتاب على احسن صورة ولكن " العين بصيرة واليد قصيرة " كما يقول المثل . فكثير من المفردات الصعبة لم يُفسّر . وكثير من الاسماء الغريبة لم يتعرض له . كما ان كثيرا من المتناون كانت مضللة ، عدما حير منها . لهذا قام الاستاذ الجارم وصديقه العوامري بضمحه ضبعة رابعة في دار الكتب المصرية سنة ١٩٣٨ . وقد تم لهما ذلك في جزئين كل منهما في حوالي ١٥٠ صفحة . ولا يصعنا الا ان نقول ان هذه كانت احسن طبعاته بالرغم من اننا اعتمدنا الضبعة الثالثة في ترتيبنا لان هذه الاخيرة وقعت بأيدينا متأخرة . وقد ترجم السيد فون ريشر منه قسما كبيرا في سلسلة تراجمه لكتاب ادباء العربية بين صفحتي ٢١٧ - ٤٨٨ .

والان لماذا الف الجاحظ هذا الكتاب . وفق الله . وما هي موضوعاته . اما لماذا الله . نجوابا على سائل ارسل له يذكر انه قرا كتابيه في تصنيف حيل لصوص النهار وفي تفصيل حيل سراق الليل وانه اعجب بهما ص ٣ . وطلب منه ان يحدثه ساخرا مستهزئا عن البخل . وان : وان يبين له ما النسي الذي خبل عقولهم وانسد اذهانهم ... من عرفوا عيوب الناس ولم يعرفوا عيوب انفسهم ص ٧ ورجوه ان يذكر له من احتجاج الانحاء ونوادير البخل ما يطيب به الحال ص ١٠ . فاجابة على ذلك كتب الكتاب .

اما متى الله فغيره اختلاف . فقد قال الاستاذ احمد امين في ضحى الاسلام ص ١١٤ " انه الله ايام المهدي الكريم لينه بايام المصنوع البخل " . وعلى هذا فالكتاب قد كتب في ايام المهدي على راي الاستاذ احمد امين . الا اننا نرى ان الرجل كتب كتابه في تاريخ متأخر . فالجاحظ لم يذكره في الحيوان ولا في البيان ولهذا فمن المرجح ان يكون قد كتبه بعدهما . وذلك هذا قوله في ص ١٩٦ من الكتاب نفسه على لسان بخيل اقبعته الاسبام المنحوسة ذات ليلة في داره وفاقه الطر عن الخرج ، يحاوره هذا البخل لثلا ياكل مما اتي به من جام اللبا ويطبق التمر (فلما مدت قال = يا ابا عثمان انه لبا وظظه وهو الليل وركوده . ثم ليلة مصر وطومه . وانت رجل قد طعنت في السن ولم ترتب تشكو من النالج وما زال الغليل يسرع اليك ...) والظمن في السن والشكوى من النالج لا تكون (خصوصا وان ذكر الكتاب لم يرد في الحيوان ولا في البيان) الا بعد سنة ٢٤٧ اي في الوقت الذي تراجع فيه الجاحظ للبصرة يشكو العرض وكبر السن . وعلى هذا يكون قد كتبه بعد سنة ٢٤٧ لا كما خيل للاستاذ احمد امين .

هذا عن وصفه العام وطبعاته ومخطوطاته وادائع كتاباته ووثقتها . اما عن مادته فاليك

شبه نهرس بها . ولذا ذكر ان نهرس الخلاء من اسهل الامور لقله استطراد الجاحظ فيه

(١) - مقدمه في الدافع للتأليف ونائده وقصده منه ونظرة في الضحك والبكاء ١٥-٣ .

(٢) - ثلاث رسائل في البخل . الاولى لسبل بن هارون بين ٣١-١٥ . والثانية لابي

الحاص بين ٢٤٣-٢٦٦ . والثالثة لآين التوام بين ٢٦٦-٣٢١ .

(٣) - قصص متفرقة في البخل اشهرها قصص المسجدين واهل خراسان وغيرهم ٣١-٢٤٢

(٤) - فصل في اطعمه العرب بين ٣٣١-٣٧٥ . وهو اخر الكتاب .

اما قيمته فاحسرى بالذكر بينها إلا اولا تلك المقدره على تحليل النفس البشرية ومعرفته
دخائلها . ثانيا تلك المهارة في العمز واللمز والسخرية من الكثرين وخصوصا من الاصفا دون ان
يشير حفيظتهم . واخيرا تلك الغاية النبيلة في معالجة مشكلة حلقية او كوكبية اجتماعية طالما أثرت في
سير المجتمع . بالاضافة الى نواحي اخرى اقل من هذه اهمية برزت اوضح في باقي كتيبه فلا دلي لاعادتها..



لحد الان استعرضنا بشبه تفصيل كتيبه الرئيسية الثلاثة . تعني الحيوان
والبيان والبخل . والان ننتقل للكلام على رسائله الثانية مما استطعنا الوصول اليه . هذه الرسائل
طالعناها اولا في هامش الجرس الثاني من كامل المبرد طبع القاهرة سنة ١٣٢٤ . وثانيا في مجموعة
رسائل احتوت احدى عشرة رسالة من طبع القاهرة سنة ١٣٢٤ ايضا . وثالثا من مجموعة رسائل
اخرى احتوت على ثلاث رسائل نشرها في القاهرة السيد يونس فونكل سنة ١٣٤٤ . ورابعا من مجموعة
رسائل ثالثة احتوت ثلثا نشرها السيد فون فلوون في لايدن سنة ١٩٠٣ . وخامسا من طراز
الخفاجي الذي نشر في القاهرة سنة ١٣٢٢ . وسادسا من مجموعة رسائل نشرها السندوبي في
القاهرة سنة ١٩٣٩ . وسابعا من مراجى اخرى متفرقة تجدها عند وصف كل كتاب مثل صبح الاعشى
ومجلة المجمع العلمي العربي في الشام رسائل اخرى نشرت كل على انفراد مثل الحنين الى الاوطان
والدلائل والاعتبار وسلوة الحريف والمرافة والزجر على مذهب الفرس وغيرها كثير . وثبتناها على حروف
الهجاء ليسهل الرجوع اليها عند المراجعة .

١- استنجاز الوعد = رسالة قصيرة منشور منها فصول في المجموعة بين ١٧٣ - ١٧٧ وفي هامش الكامل الثاني بين ٢٢٠ - ٢٢٧ . مخطوطتها موجودة في الملحق البريطاني نمر ٢١/١١٢٩ وجهها الى ابن ابي الفضل بقوله (كان ابو الفضل اعز الله على ما قد بلغك من البر بالوعد وسرعة الانجاز ... وتقول العرب من اشبه اياه نفس ظلم^آ) يستجزه وعدا يظهر انه كان قد قطعه له . ولا قيمة خاصة للرسالة .

٢- استحقاق الامامة = منشورة في هامش الكامل الثاني مرتين . الاولى بين ٢١٢ - ٢٢٠ والثانية بين ٢٦٩ - ٢٩١ . ومنشورة في رسائل السندوي بين ٢٤١ - ٢٦٠ ومترجمة في ريش بين ١٦٨ - ١٧٩ . ومخطوطتها موجودة في الملحق البريطاني نمر ٢٠/١١٢٩ . ومن المنشور نلاحظ ان الرسالة هي ذاتها التي سترد بعنوان " بيان مذاهب الشيعة " .

٣- استطالة الفهم = منشور قسم منها في طراز الخفاجي في ص ١٠٠ . ولم نفع على ذكر لمخطوطتها ... جعلها الخفاجي محور كلامه في مجلسه السادس في جملة كلام من كلام الحكماء والشعراء . وقال (صنف الجاحظ في هذا " اى في موضوع المجلس " كتابا اسماء استطالة الفهم . ولهموشنج الحكيم كتاب يسمى " جودان - خرد " مدحه الجاحظ وبه كلام جليل . ولاسن مسكويه كتاب مثله . وقفت عليها جميعا واخترت منها نبذا جيلة وحكما ونعمة لهذا المجلس^آ) .

٤- بني امية = نشرها السندوي في رسائله بين ٢٩٢ - ٣٠٠ . ولم نفع لها على مخطوطة ... انما المنشور منها يشير الى شدة كره الرجل لبني امية . حتى ان اقل ما توصفه انها شواظ من نار سلَّطه الجاحظ عليهم . فما ترك لهم مكرمة الا انتقصها ولا نقية الا ارسلها في السبوق .

٥- بيان مذاهب الشيعة = منشورة في المجموعة بين ١٧٨ - ١٨٥ ومترجمة في ريش بين ١١٧-٢٠٢ . ولم نفع لها على مخطوطة . وقبل الكلام عليها نحب ان نشير الى ان هذه واستحقاق الامامة التي تكلمنا عليها تحت نمر ٢ رسالة واحدة تعدد عنوانها فسمَّيها الشيعة لثلاثة = روافض وشيعة واخرون لا قيمة لهم ص ١٧٨ . ثم تكلم عن سبب اجتماعهم على تأييد علي ص ١٧٨ . وابدى رايه في ضرورة وجود الامام ص ١٨٤ . ووضَّح موقفه من العلاقة بين الامامة والنسب ص ١٨١ ... ومنها يُستفاد ان الجاحظ يرى بضرورة الامامة

على حد القول (لا يصلح القيم نومي لا سرارة لهم) وثانيا انه يُقر بضرورة وجود الطبقات على حد التعبير (ولا سواة اذا جهالهم سادوا) . وقبل ان نتركها نحب ان نشير الى انها تفصل مختاره وليست رسالة كاملة .

٦ - التبصر بالتجارة = رسالة قصيرة منشورة في مجلة المجمع العلمي العربي بالشام مجلد ١٢ بين صفحتي ٣٢٦-٣٥١ . ولم نلق لها على مخطوطة . . . كتبها الجاحظ ردا على سائل سألته ذلك . نذكر له فيها (كيف يمكنه ان يميز الغث من السمين والذهب الخالص والغثة المغشونة لئلا يخدع ص ٣٢٧ . وغيرها من الجواهر ص ٣٢٨ . ثم انتقب ليحدثه عن معرفة احسن الصيِّب والمطر والروائح الطيبة ص ٣٣٢ . ثم تطرق الى احسن ما يُجلب من البلدان المختلفة مثل السلع والجواري ص ٣٤٠ . ثم احسن ما ينتقى من الطيور والجوارح ص ٣٤٨ . وأثنى الرسالة بحكمة جميلة هي (وهم سابور الملك انه ليس ينبغي لعاقل ان يعتمد بقول سبعة من الناس = بقول السكران والدلال والضحكت والعليل والعراد والنمام والنساء ص ٣٥١) . وقيمة الرسالة انما نجسها الاقتصادية والتجارية . اما ما يستنتج منها فهو ان الجاحظ اذا ضحت نسبته الى كان على جانب كبير من المهارة والحدس بالتجارة . ولعل في "بيع السم والحبر" بسخيا " اثر في هذه الدربة .

٧ - التربيع والتدوير = منشورة اولا في المجموعه بين ٨٢-١٤٢ . وثانيا في قلوبن بين ٨٦-١٥٧ وثالثا في رسائل السندوي بين ١٨٧-٢٤١ . ورابعا في هامش الكامل الاول بين ٤٠-٩٧ واخيرا مترجمة في ريشر بين ٢١٢-٢٥٥ . اما مخطوطاتها فلم نعتز منها الا على واحده موجودة في ملحق المتحف البريطاني تحت نمرة ١١٢٩/٣٠٠٠ . في هذه الرسالة يقول الجاحظ ان ابن عبد الوهاب لا يفهم نفسه ولا يعرف حدوده وقد ارجح الناس منه ذلك . فعليتنا تقع تبعه انهاه نفسه وايقانه عند حيد ص ٨٢ . والصريقة الى ذلك بسؤاله اسئلة من كل ما هب ودب يعجز الفلم عن الاحاطة بهما ص ٩٠ وما بعدها . لكن يظهر ان تعجيزه بهذه الاسئلة لم يكن ولذا بدلا من السخرية راح يكيل له بالصل الكبير ص ١٠٠ وما بعدها . لكنه عاد يعتذر له عن شدته في حملته ويقول له ان النية في كل ما قال كانت صائبة ص ١١٢ ثم اخذ في تمجيده وتعليق اهابه لما يقولون ص ١١٣ . وهنا استطرد في المزاج مبينا ضرورته وحدوده ص ١١٠-١٢٢ وفي المراء كذلك ص ٨٤ ثم اخذ يحدره وينذره فكانه يقول له " ان نيتي صائبة تحذركم ان تغضب والا . . . ص ١٢٦ وما بعدها " .

وميزة الرسالة اولا بدالاتها على مسعة افاق الجاحظ . ولو لم يكن له الا هذه الاسئلة

الكثيرة لكناه مقدرة . ثانيا بدلاتها على فوته ونفق قدمه في السخيرة وحسن التصرف بها .
واخيرا بانها قطعة كاملة تُستنتج منها كرسات اسلوبه الانشائي لانها تعبير رجي عاصني .

اما متى كتبها . فنظن ان ذلك كان منه في طور التخيؤفه لنفوله
(وقد تعجب اناس من اطالتي ومن كثره مسالتي وتعجبني من تعجبهم اشد والذي
كان من افكارهم اعظم ولو رغبوا في العلم رغبتي رواوا فيه مثل رأيي وكانوا قروا
كتابي اليك في شببتي وايام شباب رغبتي لاستقلوا ما استكروا . . . ص - ١٣٦) واذا
كان يستنتج من هذا شي فهو اولا ان التربع ليست الاولى التي يكتبها لابن عبد
الوهاب بل الثانية . وثانيا ان الاولى كانت في عهد الشباب وان هذه في عهد النسخوه

٢ - تفضيل النطق على الصمت = نشرت في المجموعة بين ١٤٨ - ١٥٤ . وفي هامس
الكامل الثاني بين ٢٢٢-٢٢٣ وترجمة في ريشر ١٨٢-١٨٦ . ومخطوطتها موجودة في ملحق
المتحف البريطاني نمر ١١٢٩/٢٢٢ . كتبها ردا على من ارسل اليه بفصل الصمت . وراهينه
على تفضيل النسخوهي اولا انه واسطة التعبير عن الخاطر ص ١٤٩ وثانيا ان لؤلؤه لما وصلت
البشر رسالة الاله ص ١٤٩ واخيرا المدح الكبير له من سبق ص ١٥٢ . لا ميزة خاصة للرسالة
الهم الا ظهور ون منطقية قوة فيها ص ١٥٠ .

٨ - الجد والهزل = منشورة في مجموعة بول كراس والحاجري بين ٦١-٩٩ . ومن مخطوطاتها ثلاث
الاولى في المتحف البريطاني نمر ١١٢٩/١٣ والثانية في داما ابراهيم نمر ١٢٩/٦ والثالثة في الموصل
نمر ٢٦٥/٩٠٠٠ (يظهر) ان الجاحظ تشاجر وابن الزيات نهض الاخير بعد حقه وجفاء .
فاستثار هذا عاطفته واستشاط غضبه فكتب الرسالة تارة يهزل بما فعل ابن الزيات وتارة يجد في
ثانيه . وعلى كل فلهما ما قال اولا ان لا حولك يا ابن الزيات في كد هذا الجفاء ص ٨٨ لان
ذني ايسر من ان يذكر ص ٨٢ . انما والحوي قال انت رجس اهق تنور لطيران ذبابة ص ٦٩ .
وجميع الرسالة على هذا النوال بزيادة عنصر الهزل . . . وعلى هذا فمن الطبيعي ان يكون قد كتبها
ايام التحافه بابن الزيات لهذا الغرض الذي ذكرنا . . . اما ميزتها الخاصة فهي قدرة الرجل على
خلط الجد والهزل في قالب يستسيغه ابن الزيات ^{ورضى} ~~من بعده~~ عليه .

٩ - الحاسد والمحسود = منشورة في المجموعة بين ٢-١٣ وفي هامس الكامل الاول بين ٢-١٦
وترجمة في ريشر بين ١٨٠-١٨٢ . ووجد لها مخطوطة في ملحق البريطاني نمر ١/١١٢٩ .

بعد ان عَرَفَ الحمد ص ٥ مثل عليه ص ٧ ثم ذكر ان الكبر والغل وانكماش الحاسد من مرافقته ص ١٢-٧ . وانتهى بنصائح لائله ان لا يامن الحمود ص ١٠ وان لا يخالطه عندما يعرف منه ذلك ص ٩ ... ولا ميزة خاصة للرسالة اللهم الا في الوصف الدقيق للتخبر الخلقي الذي يصيب الحمود . ولعل لكثرة رويته ذلك في احصائه اثرا .

١٠ - الحجاب = مشورة في سراز الخفاجي بين ٧٢-٩٧ وفي رسائل السندي بين ١٥٥-٨٧ غرضه جمع ما قيل في الحجاب ص ٧٣ . والحجاب يعني حجاب الفصور لا النساء . ويستنتج منه انه ضده . اما العادة التي اتى عليها فاليكها = ما قيل في النهى عنه ص ٧٣ . من عهد الى حاجبه ص ٧٤ . سبب الحجاب ص ٧٦ . من ينبغي ان يتخذ للحجاب ص ٧٦ محل الحجاب وموقفه ممن يحجب به ص ٧٧ . من غوت على كجابه او هجي به ص ٧٨ . من عاتب على خجابه والاذا لغيره ص ٩٣ . من مدح برقع الحجاب ص ٩٥ . من امل حجابيه ولم يضم عليه ص ٩٦ . وآخره " وهذا اخر كتاب الحجاب " ص ٩٧ لقد شئت السندي في صفة نسبته الى الجاحظ . اما نحن فلا نشك . اولا لان كثيرا من مادته قد ورد في البيان والتبيين . وثانيا لان اسلوبه وكل ما جاء فيه جاحظي صرف . ولا نعرف السبب الذي دعا السندي لعل ذلك ... اما قيمة "الحجاب" فاجتماعيه اخلاقيه كما يظهر من البحث . ولا نعرف لا متى ولا لماذا كتبها .

١١ - حبيب النبوة = مشورة في هامن الكامل الاول بين ٢٧٥-٢٩٦ ثم في هامن الكامل الثاني بين ١-٥٦ . لم في رسائل السندي بين ١١٧-١٥٤ . واخيرا مترجمة في رشر بين ١١٢-١٥٩ . اما من مخطوطاتها فلم نجد الا التي ذكرت في ملحق الفتحي البرهاني تحت نوعة ١١٢٩/٥٥٨ جمع هذه الحجج لتزوير الجاهل وانهم العالم على حد تعبيره ص ٧ . ثم اخذ يتكلم عن ضرورة اختلاف طباع البشر لضرورة صلاحهم ولييان فضل العقل ص ٢٣ فقال (سبحان من حبيب الى واحداهم ان يسي ابنه محمدا وحبيب الى اخر ان يسميه شيطانا وحبيب الى اخر ان يسميه عبدا لله وحبيب الى اخر ان يسميه حمارا ... لان الناس لو لم يخالف بين علمهم اختيار الاسماء وجاز ان يجتمعوا على شيء واحد كان في ذلك بطلان العلامات وفساد المعاملات ص ٣١) . الا انه يرى ان هناك امورا يجب ان يتفق الكل فيها مثل الاقرار بنبوه محمد ص ٤٠ كما ان هناك امورا اجمع على الخطا بالايمان بها مثل تاليه عيسى ص ٤٨ والكتاب كما ترى قيمته دينية صرف ومنطقية كلامية بالدرجة الثانية ومحظ على صاحبه شبه تفرد من الحق لا يقال عنه تزمت او انفعال .

١٣ - الحنين الى الاوطان = منشورة لوحدها في رسالة كاملة نشرها وراجدها الاستاذ طاهر الجزائري ووقف على طبعها عيد النتح قتلان في مطبعة النصار في القاهرة سنة ١٣٢٣ .
والرسالة في مجموعها عبارة عن مجموعة ماثورات شعرا ونشرا في الحنين الى الاوطان . اما الدافع الى كتابتها فهو ملاحظة الجاحظ ان الانسان مهما تظاهر بالاستغناء عن الوطن فانه يحسن اليه حنين الابن الى اوطانها ص ٢٠ .

١٤ - الدلائل والاعتبار = نشرها في رسالة كاملة الاستاذ محمد راغب الصباغ سنة ١٣١٦ في المطبعة العلمية بحلب في ٢٨ صفحة . والرسالة بكاملها عبارة عن نظرات في كل ما يحيط المرء من ما وهوا ومخلوقات حية وغير حية والاستنتاج منها انها صنع خالق واحد مدبر يسير هذا الكون لغاية عاقلة .

١٥ - ثم اخلاق الكتاب = نشرت ضمن رسائل نكسل بين ٤٠-٥٢ ثم في ريشو بين ٦٧-٧٨ . وقد عثرنا من مخطوطاتها على اثنتين الاولى داماد ابراهيم نورة ٣/٩٤٩ والثانية في الموصل نورة ١٣/٢٦٥ . كتبها ردا على من ارسله يمدح اخلاق الكتاب . وذلك من قوله " حفظك الله واباقت وامتع بك . فرائد كتابك ومدحتك اخلاق الكتاب وفعالهم ووصفك فضائلهم . وفهمته " ثم ياخذ في الهجوم المر والفد اللاذع . فيذكر كثيرا منهم ويمثل على عيوب كل من ناحية . قال ان العظام لم يكونوا كتابا ص ٤٢ ثم راج يرميهم بكل خلق صغير مثل الذل . ومن امثلة ذلك قوله (سعد ابن ابي مسرح كان اول مرتد . ومعاوية بن ابي سفيان كان اول نافر . وشمان ابن عفان ذمه من ذمه من اولائهم . وزناد بن ابيه ظهرت الجبرية في ايامه ص ٤٠ . وابن المدبر كان مثالا في الخسب والمكابرة ص ٤٥ . وسالم كان اشد الناس غلظا واضعفهم راي . وعبد الحميد يتعامله على نصر بن سيار انقضت عليه خراسان . وعبد الله بن القلق اغرى بني العباس . وعبد الله بن علي كان جزاؤه القتل . اما يونس بن ابي نويرة فقد كان زنديقا . وسزد ابعادان كان ~~مختلعا~~ سنويا . والطوسي انتشرت معه السماية ضد الامويين في العراق . وابو عباد كان سحيفا حديدا . في حين كان رجاء بن ابي الضحاك اظلمهم واغشهم ص ٤٧ . وابن يزدان كان اشقاهم . اما ابراهيم بن اسماعيل بن داود واحمد بن يوسف فقد امتحنهم الامويين فتمسسا واستنتهزهم في الاعمال فقتلوا ولم يعملوا على شيء حتى هلكا . واحمد في نفسه كان مانوا في حين ان ابراهيم كان حاسبا فقط . والحسن ابن ابي شرف بهدله غروره ص ٤٨ . والان أنقل الى غيرهم

تجد حميد بن عبد الحميد تاسع ناسد ومحمود بن عند الكرم تلك فظلم فاكسب السبة
 اما زيد بن ايوب فقد عمل في ديوان الجند اربعين سنة صار في اخر ايامه قوادا ليحيى بن اكرم
 ص ٥٠ . الى هذه الدرجة وصل به التنقص والى هذا الحد امتد به الهجوم على الكتاب . . .
 والان لماذا كُتِبَها . لا نعرف . اللهم الا انها جواب لذلك السائل . الا اننا نضيف ان
 الدافع النفسي كان كرهه وحقدّه عليهم بعد الخروج من الديوان . . . اما قيمتها فمتشعبة . فهي
 جميلة لاطهار طول نفس الجاحظ في الهجوم ودقته في النقد وراكمته في السخرية خصوصا في قوله (يتوهم
 الواحد منهم اذا عرّض جيبته وطوّّل ذيله وقص على خدعه صدغه وتحدف الشايرتين على وجهه) انه
 المتبوع ليس التابع وانه الطليق فوق المالك . ص ٤١)

١٦ - الرد على النصارى = نشرت في مجموعة فنكل بين ١٠ - ٣٨ وفي هامش الكامل الثاني
 بين ١٤٨ - ١٦١٩ . اما مخطوطاتها لنسوة الحظ لم نفع منها الا على واحدة في ملحق المتحف
 البريلفاني تحت نمرة ١١٢٩ / ٢٨ . . . قال الجاحظ " اما بعد فقد قرات كتابكم . ونهيت ما
 ذكرت من مسائل النصارى قبلكم . وما دخل على قلوب احدائكم وضغائنكم من اللبس . والذي ختموه
 على جواباتهم من العجز . وذكرتم انهم قالوا - - - وانهم رموا - - . اما نحن فنستقول في جميع
 ما ورد علينا من مسائلكم ونبينا لا يقع اليكم من مسائلهم بالشواهد الظاهرة والحجج القوية والادلة
 الاضطرارية . . . ونسأله تعالى القصد في القول والعمل وان يكون ذلك لوجهه ولنصرة دينه . انعزيب
 مجيب ص ١٠ ثم ١٣) . هذا هو غرضه . رجل كاتبه يشكو صموة اسئلة النصارى لقومه ويستعين به
 عليهم . فيعده بالاجابة لكن كيف ذلك .

اولا = اورد مسائل النصارى من حيث انكارهم تكلم عيسى في العهد ص ١٢ وانهم لم
 يتخذوه الها ص ١٠ ومن حيث نهكهم بالمسلمين اذ قالوا ان نرهون خاطب هاما فلان وهو غير
 ممكن ص ١١ ومن حيث ان كثيرين قبل ذكرها سموا باسمه ص ١١ وغيرها كثير .

ثانيا = اورد فصلا في اتخاد العامة وقال ان سبب ذلك كره الناس لليهود لطول
 جبرتهم ص ١٣ ثم لغلط هاته الناس في تاهل اية ايوه الله ص ١٤ ثم لان المسيحيين ذوو حضارة
 قديمة ص ١٥ واخيرا لضيق افاق اليهود ص ١٦ .

ثالثا = اتبع هذا الفصل بطعن ايجابي في النصارى . فقال ان دينهم غامض وقاسد
 ص ١٨ كيف لا ولم يتفقوا على صيغة واحدة للانجيل ص ٢٠ وقال هم قليلوا رحمة لانهم افروا
 الخصا ص ٢١ ثم انهم يستعملون الحيل لانساد ديننا على عامتنا فلنحذر نسادهم ص ١٨
رابعا = بدأ بالرد المقصود . فدار حول حكاية احياء الموتى التي يدعيها

النصارى وفنّدها ص ٢٣ . ثم افاض في سألته خليفة الله للناس وأبان نفاذها ص ٢٥ ثم اطال في ابوه الله واجاد وايدع في دحضها وفنّدها ص ٢٥-٢٣.

خامسا = بعد ان فرغ من حساب النصارى مال على اليهود فذكر انتقاداتهم على المسلمين خصوصا في قولهم ان الله يستقرض من الناس (ومن يقرض الله قرضا حسنا يضاعفه له) وفي قولهم يد الله مفلوّه وفي قولهم ان عزيز ابن الله .

سادسا = وعد هذا اورد فصلا جميلا حشاه بأسئلة طريفة طلب من النصارى واليهود الاجابة عليها ان كانوا حقا على حق . تذكرنا بأسئلته لابن عبد الوهاب .

هذه هي الرسالة . ولنذكر انها تفصيل مقطعة وليست كاملة . وم كما نود لو كانت كاملة لانها ذات قيم خاصة . اولها استعمال المنطق الصرف في الحجاج . وثانيها اجابة دقيقة على غمزات الكفار للدين الاسلامي . وثالثها ايراد غمزات الجاحظ لاديانهم . وما يشير الى قوة الحجاج الديني في تلك الايام . لكن يا ليت ...

١٧ - الزبدية والرافضة = منشورة في هاسر الكامل الثاني بين ٢١١-٣٠١ . وهي ذاتها المنشورة في مجموعة فنكل بعنوان " بيان مذاهب الشيعة " .

١٨ - سلوة الحريف = عنوانها الكامل هو سلوة الحريف بمناظرة الربيع والخريف . نشرتها مطبعة الجوائب سنة ١٣٠٢ مع رسالة اخرى في الشيب والشباب . وقد استغرقت بين صفحتي ١٠٢-١٣١ . اما موضوعها مناظرة بين صاحب الربيع وصاحب الخريف لتبيان حاسن وفنائ كل منهما على خدة .

١٩ - الشارب والمثروب = منشورة اولا في هامش الكامل الثاني بين ٢٥١-٢٦٩ وثانيا في رسائل السندي بين ٢٧٦ و ٢٩٦ ... هذه الرسالة نشرت بهذا العنوان وهي تحوى كل ما قيل ان له من كذب في السكر . واليك السبب . قال في المقدمة (= سأتكلم لك عن الشارب والمثروب وما فيهما من المدح والميوب وساميز لك بين الانبياء والحمر وان اوقعت على حشد السكر . وان اعرفت السبب الذي يرغب من اجله في شرب الانبياء وما فيها من اجتلاب النعمة وما يكره من نبيذ الالهية) ... ومن مجموعها يستنتج اولا انه يحرم الخمر ص ٢٦٢ . لكه يحلل النبيذ ص ٢٦٣ وان له اطلاعا واسعا على كل الاشربة لانه عدد كثيرا منها . كما ان له نفسا محللة مدققة

نفذت الى اعناق نفس الشارب فوصفتها باسمه الشيق الجليل . في الرسالة كبير من المسج لم يعودنا اياه الجاحظ . وفيها تبرز ناحيته الدينية الحرة واعتماده على العقل دون غيره في حل قضايا الدين .

٢٠ - رسالة الشكر = منشورة في صبح الاعشى جزء ١٤ ص ١٧٣-١٨١ . قدم لها بمقدمه في ماهيه الشكر ثم اخذ في سرد اربعة اركانه . وهي على رايه العلم بعوض النعمة من النعم اليه ثم الحرية البالغة على حب الكفاة واستحسان المجارة ثم الديانة بالشكر والاخلاص للنعم واخيرا وصف ذلك الاحسان باللسان البين . احراها " وقلة العجب هيبة " وقد وجهها لوزير المتوكل كما قال مؤلف الكتاب . اما من هو ذلك الوزير فلا نعرف .

٢١ - صناعات القواد = منشورة في الطراز بين ٦٧-٧١ ثم في رسائل السندي بين ٢٦٠-٢٦٦ وترجمة في رشر في ص ٥٢٧ وما بعدها .

٢٢ - صناعة الكرم = منشورة في هامر الكامل الثاني بين ٢٢٨-٢٤٦ وترجمة في رشر بين ١٥٩-١٦٣ . والمنشور منها لسوء الحظ نبذ مشوشة من مجموعها نستنتج ان " صناعة الكلام على نفيس " له محاسنه العديدة في حين ان له اناكه القاتلة . والمهارة كل المهارة في حسن استعماله واستفادة . وليس بغريب على الجاحظ ان يكتب رسالة كاملة في مدح الكلام فقد درسه على النعام وتوسل به في دكاكين الهوانين ثم كان هو نفسه متكلماً من الدرجة الاولى .

٢٣ - طبقات المغنين = منشورة في المجموع بين ١٨٦-١٩٠ وفي هامر الكامل الاول بين ١٢٠-١٣٠ وفي رشر بين ٢٠٤-٢٠٦ . وقد بنيت منها مخطوطة في الطلح ١١٣/٥ لا بد ان يكون ما بين ايدينا منها نقد اقتطعت من كتاب قد ضاع . لانه يريد ان يتكلم عن المغنين وعن صباقتهم ومن الالهم ومن انسياك كثيرة اخرى لهم كما جاء في المقدمة . ولانه قال في ص ١٨٨ (ولم نقصد في وصفنا من وصفنا من الطبقات التي صنفنا منهم الا من ادركنا من اهل زماننا) . في حين انه لم يتكلم لا عن مفردين ولا عن طبقات . اما لماذا كتبها . فلأداء حق لهم عليه كما قال ص ١٨٦ . اما متى كتبها ففي سنة ٢٥٥ كما ذكر في ذات الصفحة . وعلى كل فمابين يدينا من الرسالة لا قيمة له لانه متور مشوه .

٢٤ - العباسية = نشرت في رسائل السندي بين ٣٠٠-٣٠٣ . لا جديد فيها

الا اتخاذ كل الذرائع واستعماله كل ما عرّف من المعلومات . أولا لان فهم العاقلون ان بني العباس هم احق بالامامة وثانيا انهم اهل حسب ونسب في القديم والحديث . وفيتمتها في هذا اي في اثبات احقية العباسيين واهليتهم للخلافة .

٢٥ - العثمانية = منشورة في رسائل السندوبي بين ١-١٣ . تكلم فيها عن افضلية ابي بكر على علي في الخلافة . وفيها ذكر اكثر اقوال العلويين ونقدها مقارنا اياها بفرائد جماعة عثمان . قيمتها امامية تاريخية اكثر من سواها مثل الديباسة مثلا التي مر ذكرها . وكلاهما تدلان على كبر الحجاج والنجاشي في مثل هذه المسائل ايام الجاحظ . فهما صورة صادقة في هذه الناحية . وقد كتب الاسكافي رسالة في الرد عليها نشرها السندوبي في مجموعته بين ١٢-٦٧ /

٢٦ - العداوة والحسد = نشرها كراوس في مجموعته بين ١٩-١٢٤ . ولا مخصصات . لا ميزة للرسالة الا ببراعة الرجل في تحليل اشتغالات المؤمنين للحسد وتبيان انه نفسه اكثر كان محسودا جدا خصوصا لتفوقه في الادب ص ١٠٩ .

٢٧ - العشق والنساء = منشورة في المجموعة بين ١٦١-١٧٠ وفي هامش الكامل الثاني ٣٠-١٦٦ وفي رسائل السندوبي ٢٦١-٢٧٥ وترجمة في ريشتر ١٨٨-١٩٤ وتوجد منها مخطوطة في مجلس المتحف البريدي رقم ١١٢٩/٦ . بعد مقدمة عرّف فيها العشق عامة مر على عشق النساء خاصة وقال انه اللذة الكبرى ص ١٦٠ وان رباط الهوى اقوى رباط بين اثنين ص ١٦٦ ثم انتقل ليفصل المرأة على الرجل في مواطن ص ١٦٥ ويقول شيئا في جمالها ص ١٦٩ . والى كل هذا ضم شيئا لي من القول في الغناء ووقفه النثر منه ص ١٦٥ . والرسالة التي بين ايدينا ليست كاملة لانه في مطلعها يقول (انما لما ذكرنا في كتابنا هذا الحب الذي هو اصل الهوى والهوى الذي يتفنن منه العشق والعشق الذي يؤم به الانسان على وجهه او يموت كذا على فرائضه ص ١٦١) . في حين انه لم يكن قد بدأ بعد . ولذا لا نستطيع ان نستنتج منها ذا قيمة .

٢٨ - نخر السودان على البيضان = منشورة في المجموعة بين ٥٤-٨٢ وفي مجموعة تلوتن بين ٥٧-٨٥ وفي ريشتر بين ٢١٠-٢١٢ . ومنها مخطوستان الاولى في دمااد ابراهيم نمرة ١٢٩/٥ والثانية في الموصل نمرة ٦/٦٦٥ اهم نقاط نخر السودان التي اوردها هي ما يلي . اولاً ان منهم رجلا مبرزين . ثانيا انهم قدموا للحضارة اشياء كثيرة مفيدة مثل الغالية والنمير والمصنف ص ٦٧ . ثالثا انهم حكموا العرب ايام الاحباش ص ٦٣ . رابعا انهم اكثر عددا من البيضا ص ٦٢

واخيرا ان السواد ليس يعيب بل على الحكيم هو شرف وقوة حيث وجد ص ٦٨ ، ٧٢ ، ٧٦
 واذا كان للكتاب من قيمة ففى في محاولة الرجل الرد على نقاط فخر البيضان . لا نصرة
 للسودان وانما لجمع الشمل . وهذه صفة غلبت عليه في كل ما تكلم نعتي صفة المدن .

٢٩ - فضل هاشم = منشورة في رسائل السندى ١١٦-٦٧ . ولم نفع لها على مخطوطة .
 فيها يفض هاشم بم النبي على عبد شمس فم معاوية . اولاً بما عيهم التليد في الجاهلية وثانياً
 بما عيهم المجد بالاسم . فيتعرر لنكات الخير والشر وللصفات الكريمة والقيحة مآرنا
 ومفضلاً . وليس بخريب عليه وهو الذى كان في كل كتاباته يغتم كل فرصة لمدح الرسول وقومه

٣٠ - الفياض = منشورة في رسائل فنكل بين ٥٣-٧٥ . ولا مخصصات . طرق فيها
 الجاحظ موضوعات جميلة مثل المرأة . والحب . والغنا . وقدّم فيها آراء اجتماعية لبنية وفوق
 كل شيء جاحظية قيمة كم كما بغاية النوق للونف عليها . ولا هيبتها تلخصها فيما يلي .

١ - في المرأة = تكلم عن الحجاب ص ٥٦-٦٢ فقال انه لا يرى به قط لانه لم
 يكن في الجاهلية ص ٥٦ ولانه ضرب في الاسم على نساء النبي فقط ص ٥٦ . ولان الكبريات من
 المشهورات في العباسية لم يضعنه ص ٦١ هذا بالإضافة الى انه غير طبيعي انما كان الدافع
 اليه غير الرجل على المرأة وحسب الانسرة بها ص ٦١ . ولم يكن بهذا بل ذهب الى ما هو
 ابعد منه فتناول بعض الاحاديث التي يردها القيم بهذا الصدد مثل = "ترقوا بين انفس الرجال
 والنساء" . ومثل لا يخلو رجل بامرأة في بيت وان قيل حموها الا ان حموها الموت ص ٦٥
 ولما يفتنها بقوله = فان قال فائل بهذا . فلنا ان الاحكام انما تنفع على ظاهر الامور ولم يكلف
 الله العباد الحكم على الباطن والعمل على النيات . فيقضى للرجل بالاسم لما يظهر منه ولعله
 ملحد فيه . وقضى انه لا ييه ولعله لم يلد له الاب الذى ادعى اليه نط ص ٦٦ —————
 وتكلم بعد هذا عن مشكلة في الاختلاط . فقال انها لا بأس بها بل هي الطبيعية لولا الخوف
 من الفساد ص ٥٧ . — تم تطرق الى موضوع الزوجية فتكلم بما يشتم منه انه يفضل
 الاباحية او الشيوعية النسائية لولا ان الدين منع منها ص ٥١ ولولا ان صلاح الاجتماع ينكرها
 ص ٥٥ ٦١ — الا ان الجاحظ بعد كل هذه الحرية في التفكير الشخصي والثورة
 على التاليد بخصوص هذه المسائل لم يستطع الا ان يظايطه راسه امامها بخصوص النظر
 العامة للمرأة . فهو لم ير فيها اكر من دمية خلقت لمتعة الرجل لا اكر ولا اقل ص ٥٥

ب - الغنا = يقره ولا ينكره بلا لا يرى به بأسا ص ٦٣ ذلك لانه في غالبه شعر والشعر غير محرم بحسب ذاته ص ٦٣ . واما اذا قيل انه لم اداة لهو فاننا نقول والصلاة ايضا اداة لهو ص ٦٣ . هذا بالإضافة الى انه كان معروفا في الجاهلية وفي تصور جميع الخلء ص ٦٢ ج .

ج - الحب = بعد ان حاول إلقاء ضوء على ماهيته ص ٦٧ انتقل ليعرف العشق خاصة بقوله (انه دا' لا يملك صاحبه دفعه ص ٦٦) . اما الحُسن في نظره فهو التمام والاعتدال وصفه بقوله (انه دا' لا يملك صاحبه دفعه ص ٦٦) . وهذا راجح يلقي نظرة على الفياض وجهن خاصة ليعقل لقلعه العنان يعبر بأسلوبه المعروف عن سوء رايه في كليهما . واذا سئل لماذا نك هذا . قال (وكيف تسلّم القينة من نساد الاخلاق وهي تفتني حياتها في بؤسها ص ٧٢ . هذا عن القينة اما عن حبها فقد قال انه من النوع الرخيص الذي لا يكاد يعرف للاخلاص معلن ص ٦٩) . هذه رسالة الفياض . وهذه مؤلفاتها . وهذه اراءه فيها . احتصرناها هنا لنشرحها فيما بعد . وهي في ندرى مع " الرد على النصارى " اقيم رسالتين في بابي الدين الاجتماعي والتفكير المبني على المنطق .

٣١ - كتمان السر = منشورة في مجموعة كراوس ولم والحاجري بين ٣٧-٦١ . غرضها الحصر على هذه القضية والتنقيب من عكسها . وقد تكلم فيها عن الاسرار التي تُفشى (الخبر النادر وما يوصى بكتمانها) عن الذين يُفشى الاسرار في الخدم ونساء الناس) ومن اسباب الاثنا (الفضول وحسب المعنى) واخيرا شواهد كثيرة في التنقيب عن الاثنا والحصر على الكتمان . وهي في مجموعها رسالة اخلاقية صرف .

٣٢ - المعاد والمعاص = نشرها كراوس بين ١-٣٧ من مجموعته . وقد عثرنا لها على ثلاث مخطوطات الاولى في ملحوظات المتحف البرصاني نمرة ١٢/١١٢٩ والثانية في داما ابراهيم نمرة ٤/١٩٤٩ والثالثة في الموصى نمرة ٥/٢٦٥ . كتبها لابن ابي دؤاد وقام بحسنه عليه ص ه وقد ملأها نصائح ووصايا باخلاق جميلة كثيرة . قال لاحسد ان صرّحه في معانيه ومعانيه متوقف على التمسك بها جهده طاقته .. وليس في الرسالة من ميز . سوى هذه الاخلاق العديدة .

٣٣ - مناقب الترك = منشورة في المجموعة ١٣-٥٤ وفي هامش الكامل الثاني ١٦٦-٢٧٥ وفي مجموعة فلوتس ١-٥٦ وترجمة في ريشر ٢٠٧-٢١٠ . ومن مخطوطاتها واحدة في الملحق

نمرة ٧/١١٢٩ وثانية في داماد ابراهيم نمرة ٦/١٤٩ وثالثة في الموصل نمرة ٢/٢٦٤ هـ رابعة في باريس نمرة ٦٠١٨ . كتبها ردا على هجوم لاحدهم على الترت الذي ادخلهم المعتصم في الجيوش . ولكنه تحسنت من انهامه بالتحيز . فقال انما غرضنا الاصلي هو تبيان حقوق الاتراك المضمومة ليتسلطوا مع باقي جند الخدمة فيعمل الكل معا لخدمة الامام . لهذا كانت مادته في الرسالة اولا ذكر مفاخر جميع الجند وثانيا ذكر مفاخر الترك خاضعة من شجاعة واقدام واخيرا الدعوى للعمل معا على طاعة السلطان وخدمته وقبضتها في انها تعكس لنا بعبر الشيء الاتجاهات السياسية والمناقشات الحادة التي كانت تدور بين شهراني القم .

٣٤ - مدى التجار = عنوانها الكامل (مدى التجارة) وضم عمل السلطان ٤ . منشورة في المجموعة ص ١٥٥ - ١٦١ ثم هـامس الكامل الثاني ٢٤٦-٢٥١ ثم في ريشتر ١٨٦-١٨٨ ولها مخطوطة في المخطوطات نمرة ٢٤/١١٢٩ . فيها ذم عمل السلطان لانه قرين الذل والخوف والقلق . ص ١٥٥ . ثم ذكر كثيرا من اكابر العلماء الذين كانوا تجارا مثل ابن السيب وابن سيرين وغيرهما ص ١٥٢ . ثم قال ان فريشا والرسول والخلفاء الراشدين كلهم كانوا تجارا ص ١٥٢ وما به دها وقية الرسالة في انها دعوى مخلصنة للعمل الحر . وظهر انها كانت " اى مشكلة العمل الحر " مشكلة ايام العباسيين كما لا تزال الى اليوم . وتلاحظ على الرسالة اولا انها محتارات وليسست كاملة . ثانيا ان القسم الاخير منها الذي تطرق للتربية مشكوك في نسبته الا ان يكون استطرادا وفي هذه الحالة هو استطراد غريب . وان كان تزورا فتجب الاشارة اليه .

٣٥ - المودة والخليفة = منشورة في هـامس الكامل الثاني ١٩٩-٢١٢ ولم نفع لها على مخطوطات من دوليها اى المودة والخليفة = القبول من اول نظرة ص ٢٠٤ وان لم يكن ذلك نبالتقرب التعمد ص ٢٠٥ . وبعد هذا اخذ في الكلام على اسام المودة الثلاثة ص ٢٠٨ . وانتهى بفتح ابي التقي الكاتب الذي اهدى الرسالة اليه . لا قيمة للرسالة الا من [الاجية الفلسفية الكلاسية خصوصا في النظر الى، والتفريق بين، اسام المودة . وكل ما عداه فكلام عادي

٣٦ - النساء = منشورة في رسائل السندوبي ص ٢٦٦-٢٧٦ ومنها مخطوطة في المخطوطات نمرة ٥/١١٢٩ ووضوحها لم يخرج عن موضوع رسالة (العشق والنساء) المنشورة في المجموعة والتي تكلفنا عنها في هذه السلسلة نمرة ٢٧ . ولهذا يساورنا شك في كون كل مهمما رسالة مستقلة . اما فهرس البيهقي فقد وضع رسالة العشق نمرة ٦ في حين وضع هذه

٣٧ - النبل والتنبيل = منشورة في هامش الكامل الثاني بين ١٨٤-١٩٩ . ومنها مخطوطة في المطبوع نمرة ١٨/١١٢٩ . وأهم ما جاء فيها أولا ان النبل لا يتنبيل لعدم حاجته الى ذلك ص ١٨٤ وان هناك اماكن يُستناع فيها التكبر ص ١٨٥ هذا بالإضافة الى فصل في ذم الكبر والتنبيل . وقيمة الرسالة في انها اخلاقية فقط .

٣٨ - الوكلاء = منشورة في المجموعة ١٧٠-١٧٣ وفي هامش الثامن الثاني ٢٢٠-٢٢٧ وفي بشر ١٩٤-١٩٩ . مختارات من المقدمة هي التي نشرت في المجموعة ولذا لم نستطع ان نستفيد منها كثيرا . حتى ان اسم الوكلاء لم يظهر لنا معناه بوضوح .

٣٩ - في الاخبار = منشورة في هامش الكامل الثاني ٥٦-١١٧ . قال ان الناس مولعون بالغريب منها ص ٦٣ . ثم تكلم عن كيف تنصح وان ذلك يكون بالتصادق وكثرة السماع والعلم بالاصول ص ٨٣ . ثم راج يدفع قول من اتهم الرسول بالتنجيم ص ٧٨ .

٤٠ - عن النبي = منشورة في هامش الكامل الثاني ١١٧-١٢١ . وهي تصور مختارة ذكر فيها النبي . وتكلم عن معجزة القراء . وان القيم لم يستطيعوا ان ياتوا بمنه وعدها انقصر الحبل ليتكلم في خلق القراء . والاحتجاج لنضجه ما بين ١٢٢-١٤٨ . وفي هذا القسم اكثر من التفات والاستنتاجات الضمنية لتفطس الفصول وقصرها . حتى كما تارة نسيها حجب النبوة وتارة خلق القراء وثالثة الاحتجاج لنظم القراء وهكذا وكما نود لو انها كانت صريحة وواضحة لتفقد بعض الشيء على هذه النقاط المهمة التي تعرض لها الباحث .

لحد الان تكلمنا عن كتيبه الثلاث الرئيسية ومن رسائله المطبوعة الثانوية والان

نتنقل لتكلم باختصار عن الكتب والرسائل المنسوبة اليه

(١) - التاج تكلم فيه عن اخلاق السلطان وما يتعلق بحسبه واداب قصوره . وقد ركز فيه على اداب السلطنة الساسانيين بالرغم من انه لم يذكر خلفاء العرب .

(٢) - الحامس والاضداد كتاب نُشر في مصر اولا وفي لايدن ثانيا . وهو عبارة عن

فصول في مواضيع مختلفة قصد منها العقارنة واطهار مقدرة الكاتب على الكلام في الشيء . ونسده مثل الشجاعة والجبن . محاسن النساء ومعايبهن . الكرم والبخل . الخ .

المقالة الرابعة تقدير كتيبه

لقد رأينا من قبل المقدار الضخم والعدد العظيم من التراث الادبي الذي خلفه الجاحظ . والان نحسب ان تلقى نظره ولو عجل على اثر هذا التراث في محيطه ثم في من جاء بعده مقابلين وجهة السلب بوجهه الايجاب لنخلص الى رأينا الحاصر في الموضوع .

اولا - سعة انتشارها واهتمام الناس بها = مثل هذا لا نستطيع توضيحه الا باقتطاع ماخوذة من مصادر موثوق بها . وطبعاً لا نستطيع ايراد كل شيء . ولذا تقتصر على ادهم ١ - قال الاندلسي كان طالب العلم في المشرق يشرف عند ملوكها بلفاء ابي عثمان فوقع اليها كتاب التزيين والتدوير له . فاساروا اليه . ثم اردفه عندنا كتاب البيان والتبيين ببلغ الرجل السمات بهذين الكتابين . فخرجت لا اعرف لا شيء . حتى قصفت بغداد وسالت عنها . واقفت عليه عشرين سنة . ماخوذة من ياقوت ١٢/٢٥٠/٦-١٩/٢٤/٦

ب - قال علي بن عيسى النحوي سمعت ابن الاخشاد شيخنا ابا بكر يقول = ذكر ابو عثمان في اول كتاب الحيوان اسما كتيبه ليكون ذلك كالفهرست . ومربى في جعلتها الفوق بين النبي والمثني . وكتاب - لائل النبوة . وقد ذكرهما هكذا على التفرقة . واعاد ذكر الفوق في الجزء الرابع لشيء . فدعا اليه . فاحببت ان ارى الكتابين . ولم اقدر الا على واحد منهما وهو دلائل النبوة . وربما لقب بالفوق خطأ . فلهذا ذكر ذلك و سائني سوء ظفري به . فلما شخصت من مصر ودخلت مكة كسرتها الله تعالى حاجاً ، اقامت مناديا بعمرات ينادى والناس حضور من الافاق على اختلاف بلدانهم وتنان اوطانهم وتباين قبائلهم واجناسهم من المشرق الى المغرب ومن مهب الشما الى مهب الجنوب وهو المنظر الذي لا يشابهه منظر " رحم الله من دلنا على كتاب الفوق بين النبي والمثني لابي عثمان الجاحظ على اى وجه كان " . قال فساد المنادى ترابيع عمرات واد بالخيبة وقال = حجب الناس مني ولم يعرفوا هذا الكتاب ولا لغتوا به . قال ابن اخشاد = وانما اردت بهذا ان ابلغ نفسي حذرهما . وتعليقاً على هذا قال ياقوت (وحسبت بها فضيلة لابي عثمان ان يكون مثل ابن الاخشاد وهو ما هو في معرفة علم الحكمة وهو راس عظيم من رؤوس المعتزلة يستهان بكتب الجاحظ حتى ينادى عليها بعمرات والبيت الحرام) . ماخوذة من ياقوت ١٦/٢٣/٦-١٧/٢٣/٦

ج - أما الجاحظ نفسه فقد سرد قائمة طويلة باعتياب الناس لكتبه وشدة حرصهم على الاطلاع عليها . وفي العداوة والحسد تكلم عن مبادرة ^{الملك} ~~الملك~~ لانقاص كتابه في تحليل الزهيد التبيذ ص ١٠٣ . وفي ذات الرسالة قال وربما الفت الكتاب السخيف باسم عبرى من كبار الكتاب

فيتحول القاذح مادحا وذو المرف السليبي ايجابيا ص ١٠٩ وغيرها كثير .

د - حدث ابن مفسم فقال = بعد ان طال سؤال الناس لابي هنان (كُج) لا تهجو الجاحظ وقد قدد بك واخذ بمخفك . قال = اهلي يخدع عن عقله . فوالله لو وضع رسالة في ارضه انفي لما است الا بالصين شهرة . ولو قلت فيه الف بيت لما ض منيا بيت واحد في الف سنة) . مأخوذ من ياقوت ١٦/٧١/٦ - ١٩/٧١/٦ .

هذه اربعة اقتباسات تدل دلالة واضحة على ترقب الفم صدور كُبه لياخذوها بما تستحسن أولا تستحسن من التقرير والتفريط . وعلى اهتمامهم بما سيجي فيها . وعلى تفلُّحهم عليها رايرا على سعة انتشارها اذ وصلت بالعمل الى الاندلس واصلها ابو هنان للصين بمالعة .

ثانيا - ما قاله اعداؤها = قال ابن شهيد = لم يكن الجاحظ مظلما في كُبه ولهذا جاءت قطعة مشونة . والسبب في ذلك انه لم يرد ان يعصي ناره كل ما عنده . وقال ابن تكتيه لقد قصد الجاحظ الى المضايف والعبيث في كُبه فانسد الكيرس . وقال البغدادي اذ مر على طائفة من كُبه مشيرا الى نواتها - واما كُبه المزخرفة فاصناف . منها كتاب في حيل اللصوص وقد علم بها الفسقة وجوه السرقة . ومنها كتاب في غش الصناعات وقد انسد به على التجار سلعم . ومنها . . . ومنها كُبه في القباب والكلام والادبة وفي حيل المكيد . وانتهى بقوله ومعاني هذه الكتب لافقة به وصفته واسرته .

واذا كنا نستنتج من هذا شيئا فليس الا ان اعداءه تنكروا له وما راوا في كُبه الا الجانب الاسود الذي اتخذهُ ^{واسطة} بغلهم وطنوه غاية . فتنقصوا قيمتها . وظلموا الجاحظ .

ثالثا - ما قاله انصارها = قال ابن العميد كُتب الجاحظ تعلم العمل اولا والادب ثانيا - وقال ابن دريد وقد ذكرت بين يديه اجمل بقاع الارض = هذه متزهات العيون فابن انتم من متزهات القلوب . وعندما سئل ما هي = قال كتب الجاحظ . وقال الاندلسي رضيت في الجسنة بكتب ابي عثمان . وقال القاضي الفاضل ما منا معشر الكتاب الا اعتمد عليه واعترف من ادبه ان في كثير او قليل .

وهل يرمنا بوضوح وجهة نظر اخرى مغايرة للاولى تمام المغايرة . لكن بما ان الحد

واحد وانه لا بد من ان يكشف نقابه فيبان مع اى التعريفين ، سورد الفكرة التالية .

رابعا - النتيجة = النتيجة هي ان كتب الجاحظ قد اشتمت لمواد كثيرة وحوت
موضوعات متعددة من ادب لعلم لدين . واصطبغت بالوان متباينة من هزل لجد لما بينهما .
ولهذا فمن الصبيحي ان تُعجب اناسا ولا تعجب اخرين . لان رجل الجد لا يعجبه الهزل
ورجل الهزل لا يقبل بالجد . وقد اشار الى هذا في الحيوان فقال = وهذا كتاب احتوى على
اشياء كثيرة متغايرة . فخذ منها ما يعجبك واترك ما لا يعجبك . نقد يعجب غيرك . أوْلا لان
الناس متباينون وثانيا لاني لم اولفه لولحد منهم بالذات .

ومن هذا ترى ان جماعة السلب ليسوا على حق لانهم اخذوا ما ارضاهم وتلقوا
على ما لم . في حين ان جماعة الايجاب اخذوا ما ارضاهم ايضا وسكثوا عن ما لم . ولعمري
ان الحق لفي جانبهم او بالاحرى هم اقرب اليه .

واما نحن نقد راينا محاسن الجاحظ كما راينا مساوئه . وعند تصفية الحساب وجدنا
انه دُنيا من المعربة وان كتبه بستان حافل بكل شيء . وان الحكم على رجل مثله "عظيم" ، او على
ادب مثل ادبه "ضخم" ، بكلمه او بسطر ، حرام وظلم ودليل عيا . ولهذا مستحيل ان نتوسع
في تحليل هذا التراث تحليلا دقيقا بقدر ما تسمح لنا به الظروف في الفصول الاتية نعني في
فن الجاحظ ثم في علمه ثم في لينه . ^{سورد قوله} بعدها نستطيع ان نحكم عليه في فصل الختام .

المقالة الاولى - اسلوبه في التأليف عامة

x-x-x-x-x

ان رجلا كالجاحظ عارت الحياة وشاركه حوالي القرن ، وانغمس في بحر الفؤاد والكتابة والتأليف اكثر من خمسين سنة لحرى بان يكون له اسلوب واسلوب خاص به . مؤا في كيف كان يهاجم موضوعه مما يعابز " بسلان " . او في كيف كان يصوغ عبارته مما يقابل " ستابل " او في كيف كان يقدم من مادة ادبه وحاملها مما يقابل " ساينتيفك ميتود " . ولهذا - خصصنا هذا الفصل - بكامله - لتتكم عن كرمها بقدر ما تسمح لنا به الظروف .

اما اسلوبه في التأليف فنستطيع ان نقسمه لشقين الاول اسلوبه النظري اي ما كان يطلب من قارئه ان يتبعه في كتاباته . والثاني اسلوبه العملي اي ما كان يتبعه هو بذاته حين كان يكتب . ولنذكر الى جانب هذا ان الجاحظ كثيرا ما كان يحاول ان يقرب بين النظري العملي والعملي الناصر . الا انه كان يعجز وكان يقر بعجزه . لكنه رغم ذلك كان يدون هذه التواصي المثالية في التأليف ليطلع عليها الخلف يستفيدوا منها ما دامت النائدة قد فاتته .

اولا - اسلوبه النظري في التأليف

اما تواصيه في التأليف فاليك اهمها . اولاً جمعناها وثانياً نثرناها ثم عدنا فرتبناها ليكون منها شبه قائمة تامة ننسبها للجاحظ . اذا ما اتبعها الكاتب نجح في كتابته واصاب الهدف المقصود ...

اولاً اعرف كتابك - يقول الجاحظ ان الناس ذوي مواهب مختلفة فنهم من يحب التجارة . ومنهم من يحب عمل السلطان . منهم من يحب العلم ومنهم من يحب اللهو . هذه طباع الناس متفرقة . قد هبطهم الله عليها . لان في ذات صاحبهم . ولا يني حتى يردف يقول " تصور جميع الناس ذوي عقلية واحدة يحبون الدب مثلاً . وتصور مجتمعاً كله اغنياً " . بآية حالة من التعاسة

يكون افراده . الطب بذاته صنعة جعيلة ولكن لا قيمة له اذا لم يوجد العرض . ثم تصور ان جميع النار ذور ميل واحدة وان هاته البقول اتفقت على حب تسمية الابناء بمحمد . وان نتيجة لهذا كان لدينا مجتمع كل افراده يسمون محمد . كيد يمكن التفريق بين لغائنه . ان في التفرقة سعادة البشر . وكل هذا عند الناس متفقين في طباعهم ولا الاتفاق مفيد . انما هم مختلفون . فعليك ان تعرف نفسك وتعرف كفايتك وتعرف الى اى الثقافات انت اميل . تفصيل اليا . وتغنيي معها لتبرز فيها . قال في البيان (تحول الى اشهى الصناعات اليك . واخفها عليك . فانت لم تنتهها ولم تناز اليا الا وبينكما نسب والشئ لا يحسن الا الى ما يشاكله)

ثانيا وضح فكرتك = يقول بعد أن تعرف عليك . ولنقرر انه الكتابة . وتعرف شهوتك منها ولنقرر كتابة الرسائل . ابلر الى تلك الشهوة واكتب فيما تريد . لكن حذار ان تكتب شيئا الا بعد ان تفكر فيه وتقلبه على وجوهه وتعمق النظر في ثناياه . اخبر مقدماته . وانظر في نتائجه . ودقق كل احتديق فيما بين يديك منه . فحير شعرا اذ اعطية الحوليين . وحير كتاب كل عصر المدققون . اما الرأي الفطير . او أدب المناجات كما يعود بعلمهم ان يسميه . فاد قيمة له ولا وزن عند الجاحظ . قال في البيان (وما انا والراى الفطير) ونقل على لسان احدهم بهذه المناسبة قوله (والله ما استعفى الخبز الا باثنا ٢) . وفي تفصيل النص على الصمت " قال في المجموعه (فالوجه النافع ان يدور (المعنى) في مسامحه (الكاتب) ضيق في قلبه وحتم في صدره . فاذا طال مكثها تناكحت ثم تلافت فكانت نتيجتها اكرم نتيجة شعرتنا اضيب ثرة) .

الا انه يجب ان لا يفهم من هذا ان الجاحظ لا يحب ان يكتب قاروه الا بعد اعمال عسير أيوب . وينام نوم احب الكهف . قد يصطر الالب الباب ولا يدور الا مختار المختار . كل . فالجاحظ في الحقيقة كان على عكس هذا على خط مستقيم كما يقولون . ولم يفهم ان يصبر به عندما قال (وليس الكتاب الى شئ) احو من الى افهام معانيه . حتى لا يحتاج السامع لما فيه الروية . وحتا من اللفظ الى مدار يرتفع به عن الناظر السفلة والحشوة . ويحط من غريب الاعراب ووحشي الالام . وليس له ان يهذه جدا . ونقصه وخفيه هروقه . حتى لا ينطق الا بلب اللب . وباللفظ الذر قد حذف فضوله وتعرفه واسقط زوائده حتى عاد خالما لا شوب فيه . فانه ان فعل ذلك لم يفهم عنه الا بان يجد لهم افهاما مرارا وتكرارا لان الناس كلهم

قد تعودوا البسوط من الكلام وصارت انهماهم لا تزيد عن عاداتهم . الا ان يعكس عليها ويؤخذ بها .

ومن هذا نرى ان الرجل لم يحب التدقيق للتدقيق . ولا التفكير للتفكير . ولا التوضيح للتوضيح . وترك التكلف لترك التكلف . انما أرادها ونسند عليها اولا لتوضيح الفكرة في راس الفارئ . ومن ثم لتوضيحها امام عقل السامع . وكل هذا حرصاً على عدم إجهاد الاخير . ولمعني لا اعرف بعد هذا الى اى حد سيظل فضل نظرية الاتصال على جهد الفارئ التي قال بها سبينسر لسبينسر . والجاحظ سبقه اليها بقرون .

لكنه يقول ان المادة المنوي الكتابة فيها لن تتضح ما لم يكن الكاتب اولا ميالا اليها لطبيعتها كما هو . وثانيا قد سمي اليها بقصد كما سياتي . الجاحظ يؤمن بأن للفطرة وللماهبات الطبيعية دخلًا كبيراً في جعل الاديب . الا انه يقول ان على الاديب ان لا يركن للطبيعة . بل عليه ان يدرس ويطلع ولا يتوكئ شاردة ولا واردة الا اطلع عليها ان لم يدرسها ويضمها . اطلع على الاصول . واطلع على الفروع . اجمع هاته الى تلك . وادخلها في عقلك واضهرها في اتونه وقولبيها في قلبه . ومن ثم يصح ان يقال ان الفكرة قد وضحت لك وانه من السهل عليك بعد هذا ان توضحها لغيرك الان اكسب .

ثانياً - اختر الساعة = ليست كل اوقات المرء صالحة للكتابة . بل ان
هناك ساعات معينة . وهذه الساعات او ما تقابل بالانكليزية "مودس" تختلف باختلاف الاشخاص . فبعضهم من لا تواتيه الا في السكون ومنهم من لا تواتيه الا وسط الصخب . في حين ان كثيرين لا تاتيهم الا وبنت الكاس قد لعبت . يقول الجاحظ اعرف نفسك من ابي الناس ، واعرف ساعتك الخاصة بك متى تكون . اعرفها جيداً وحاول ان لا تكتب الا فيها لانك فيها تكون متروك وفي غيرها لا . قال في البيان (خذ من نفسك ساعة نشاطك و فراغ بالك واجابتها اياك . فان قليل تلك الساعات اكرم جوهرها . واشرف حسابا . واحسن في الاسماع . واحسن في الصدور . واسلم من فاحش القول . واجلب لكل عين وغرة من لفظ شريف ومعني بديع . واعلم ان ذلك امر اجدى عليك مما يعطيك يومك

الاطول بالكد والطولة والمجاهدة . وبالتكلف والمعاودة ١

رابعاً - الان ابدأ الكتابة = على شرط ان لا تخط كلمة قبل ان

تذكر اسم الله وتحمده على ما آتاك من نعم وهبك من مساعات . وبمثل هذا أنها . قال الجاحظ . (واجب كل ذي مقالة ان يبتدئ بالحمد قبل استفتاحها . كما بدئ . بالنعمة قبل استحقاقها) ٢

ونحن نعتقد ان هذه روح العصر ومليانه أكثر منها روح الجاحظ واختلافاته . فهو في كثير من الاحيان نكذ عنها . وفي كثير غيرها تركها . وعلى العكس بدأ بالدعاء للرئيس كقوله في اهل رسالة الحاسد والحسود = (وهب الله لك السلامة . وادام لك الكرامة . ورزقك الاستقامة ... إلخ) وكقوله في آخر السودان والبيضان = (بهذه جملة ما حضرنا من مفاخر السودان) ٣

خامساً - ولي الانشاء = في أنشاء الكتابة يقول الجاحظ . عليك = أولاً ان لا تنخدع بالظروف العارضة ، وثانياً ان لا تيار اذا ما عاكك القلم ، وثالثاً ان تكون على حذر من نقذات فرائك . واخيراً وليس آخراً اياك ان تغتر بقدرتك . ولتنصيل جملة هذا نورد الامثلة التالية مقبسة من اقواله التي وردت متناثرة في مواطن مختلفة من كتبه .

١ - قال الجاحظ في الحيوان = (وليس في الارض انسان الا وهو يظرب من صوت نفسه ويمتره الخلط في شعره وفي نثره . الا ان النار في ذلك على طبقات من الخلط . فنظم المنسرف المنخور ومنهم ... ومنهم ... ولذلك احتاج العاقل في استحسان كسبه وشعره من التحفظ والتوقي ومن اعادة النظر الى اضعاف ما يحتاج اليه في سائر ذلك) ثم ينصل اجمال هذا بقوله - فما اكر من يبتدئ الكتاب وهو يريد مقدار سطرين فيكتب عشرة ثم يضيف (واعلم ان العاقل ان لم يكن بالتتابع ، فكثيراً ما يمتره ما يمتره من ولده ان يحسن في عينه ، العقيح في عين غيره . فليعلم ان لفظة أقرب نسباً منه صوابه . وحركته امر به رحماً من ابنه ولذلك تجد فتنة الرجل بشعره وفتنة بكلامه وكتبه فوق فتنة بجميع نعمته) ٤

نكأته فيه يريد ان يقول بعد ان تعد كل ما سبق من التحضيرات وتقدم للكتابة لا تترك للمواطن الجبل تفصل بك سواء السبيل . بل حكم المقل واكتب .

٢ - الا انك حتى لو حكمت عقلك ووفيت بالمدة فانك في كثير من الاحيان تمل وتسلم وتضجر . تريد ان تكتب ولى شيء جامز . لكن القلم لا يساوع . فما تعمل به يقول الجاحظ عليك اولاً بالصبر والناة . وصول البال . حاول ثم حاول . لكن اذا بان واضحاً ان ك محاولة معناها ضياع الوقت فايك تضييع الوقت . بل حالا اترك الموضوع وتحول الى غيره فعمل في التحول الفائدة المطلوبة . قال (فان كانت المنزلة الاولى لا تواتيك ولا تنفيذك ، ولا تسمح لك عند أول تحرك ، وفي أول تكلت ، وتجبد للفتنة لم تقع موضعها ، ولم تعد الى قرارها والى هدفها من امكانها المقسومة لها ، الثانية لم تحل من مركزها ومن نصايها ولم تصل بشكها وكانت تلفة من مكانها نائرة في موضعها — فتر تركها على انقصاب الاماكن والنزول في غير محلها أو صانها . فانك اذا لم تتعاضد قرر السعر الموزون ولم تتكلف اختيار الكلام المنتور لم يعجب بترت ذلك احد . وان أنت تكلفها ولم تكن صادقاً مطبقها ولا محكماً لسانك بصيرا بما عليك او مالك ، عابت منه انت ارض عيباً منه . ولأى من هو دونك أنه فوق . فان ابتليت بان تتكلف القول ، وتتعاطى الصنعة ولم تسمح لك الطباع في اول وهلة وتعتصم عليك بعد ابلالة الفكرة (فتر تعجل ولا تنجسر ودعه بيار يملك أو سواد ليلك . واورده عند نشاطك ونواع بال . فانك لا تعدم الاجابة والمواناة ، ان كان هناك طبيعه او جريت من الصناعة على عر . فان تمنع عليك بعد ذلك من غير حادث شغل عرت ومن غير عمل اعمال فالمنزلة الثالثة ان تتحول من هذه الصناعة الى اشبه الصناعات البت) . هكذا يريد الجاحظ . نكر ، ثم جرب ، وان لم تر في الأمر بهيسر نور فتحول .

٣ - في اثناء الكتابة لا تكن اثنائاً لا يفكر الا بنفسه . فانك لا تكتب لنفسك إنما تكتب للناس . فراع حقهم . ولكن هذا لا يعني تغيير البدأ الذي من اجله تكتب . إنما يعني ان نشاطهم حدا لا يمكنهم ان يتجاوزوه . فتر تحملهم مالا طاقة لهم به . وان لصبرهم كذلك معياراً فساعدهم على ان لا يفقدوه . وان لهم اراء ومذاهب اعتنقوها منذ القدم فتر تحاول ان تبدلها بكلمة او تغييرها بسلطان فان ذلك من غير المعقول . حاورهم نارة . ودارهم اخرى . امش معهم الى آخر الشوط . لكن حركتهم قليلا قليلا اثناء . انحكس معهم فانهم ينسون ما بدؤوا به . اهزل واباهم فانهم يتسلون بذلك عن قصدك . وفي الانتباه سر الى هدفك دون خوف او وجل .

ولهذا استعمل الجاحظ الهزل ودافع عنه . واستعمل النادرة وحسنها، وقصر
 الجملة واستخدم انشياً كثيرة لهذا الغرض ، ما سيأتي نرحمه فيما بعد . إنما الذي نحجب أن نشر
 إليه هنا يتدبر قوله يوحى من يريد أن يكتب كتاباً (أن لا يكتبه إلا على أن الناس تكلم له أعداء .
 وكلهم عالم بالأمور . وكلهم متفوق له^١) . الحبيطة والحذر . سوء النية بالناس ودم الأطمئنان إلى
 إيجابهم . وما يوصي الكاتب أن يتخذهُ دستوراً لينج . وجعل منه هذا خصوصاً بعد أن قدّم قبل
 هذا بضرورة عدم الاعتزاز . أما أن يكتب على أنه الكلي في الكل ولا يهتم بأي كان غيره ، فإن ذلك لا
 بد وأن يوقعه في العزالي . والسبب في كل هذا عند الجاحظ هو (لأن عقل الفحشي مشغول وهزل المتصفح
 ناراً^٢) . ولعمري إن هذه نفاعدة ذهبية يجب أن يضعها نصب عينيه كل كاتب لأنها تريحه من انشياً
 كثيرة مزعجة وتباعد كبيراً عن مزال لم يقصدها . خذ مثلاً طالباً يكتب رسالة نصليّة، ويستعد لها
 الاستعداد الكلي، ويجمع لها المعلومات من كل ما وصلت إليه يده . وسهر على كتابتها الليالي . ويصرف
 على تنقيحها الأيام . ويضعها . ويصلها . ثم يقدمها للاستاذ وحرارته مرتفعة . ودمه يغلي . ودماعه بكل حرف
 من حروفها مشغول — يأخذ الاستاذ الرسالة وعلى غاولة بسية . أو في رسي وشير . أو بجانب نافذة نزل
 على مناظر بديعة ، بيده سيجارة وإمامه قد شاي يداول استاذنا أن يقرأ الرسالة . بفكر عائد . وتقل
 مترن ويدم " ابرد من دم الانكليز " يأخذ ينتقد ، ويخطئ هنا وهناك خطأ حمراً = هذا غلط .
 وهذا لا بأس به . وهذا سميت به نقطة . وهذا جمع نادر . وهذا ... وهذا ... الطالب لم
 يفكر بالنقطة لأنه إما أن يكون قد سها ، ولو ذكرها لما وضعها لفلة قيمتها بالنسبة لما هو يصدده
 (نقطة) . وإما أن يكون أحسن النية بالاستاذ . لكن هينات اللقائ ان ينع نفسه موضع الكاتب
 فيساعده بالنقطة ويتساهل معه بخساً كتابة همزة حتى ولو كان يكتب في أعور الموصحات .

إلى هذه المسائل نه الجاحظ الكاتب من الفاري . وأوصاه بأن يكون منه على حذر .

صارم — والان لنفر من الطبيعة وانتت . وأن القلم طاهرك . وأن اللعل ملك ولم يغرب
 جانبك . وانت اتخذت كل الاحتياطات التي أوصاك بها أبو عثمان . وكثبت كتاباً . تردهل تنشره في
 الناس وتقول = سينال رضاكم . وسانج فيه . كيدلاً وقد طُبِّقَ عليه كل ما قال الجاحظ !

أما الجاحظ فيقول انتظر قليلاً، فلي وعية أخيرة أحب أن اسمعك أيها . إياك أياك

والنور حق في آخر لحضة . فبعد ان تكب ما تريد اذهب به الى من عركوا مؤخره وشاورهم في الامر بأش تدرسه عليهم في جملة كتابات لأكرس . فان نال استحسانهم فانشروه . والا فعاوده ونقحه . واذا تم لك كل شيء فانشروه . والا فانفذ به دون ما تردد . قال في البيان (اياك أن تدعوك فتك بنفسك وتدعوك عجبك بنورة عقلك الى ان تنتحلته وتدعيه . لكن اعرضه على العلماء في عرض رسائل واشعار وحطب . فان رأيت الاسماع تصني اليه . واهيون ~~تحتج~~ تحددج اليه . ورأيت من يطلبه ويستحسنه - فانتحلته . فان كان ذلك في ابتداء امره وفي اول تلكت فلم تر له طالبا ولا مستحسنا فلعله ان يكون - ما دام رخصا فنجيبا - تمنيسا ان يحل عندهم محل الفروق . فان عاودت أمثال ذلك مرارا توجبت الاسماع عنه بمنزلة والقلوب لاهية . فخذ في غير هذه الصناعة واجعل رائدك الذي لا يكتيك حرصهم عليه او زهدهم فيه^١ . إظهار الطامع على منتوجك او نفورهم منه ، اجعلهما الرائد الذي يسيرك في كل ما تكب . وهذا جميل . فالملاحظ يرى أن قيمة الأدب متوقفة على الكاتب والقارئ . ولا ياخذ " الادب " محله اللائق به من حيث علو الدرجة وسفلها إلا باتفاق رأييهما .

هذه أهم الوصايا التي جا بها ابو عثمان من حيث الفكر العامة عن التأليف .

اما المسائل الأخرى العاصه بالمعنى منه واللفظ كذلك وفي كليهما بعده " فسيجي شرحه في بحث النقد من باب " فن الجاحظ " . فكل حتى تنضج الفكرة وتنضج في عقلك . ثم اكب تحت شروط معينة . لأن الغروب من الكتابة هو ايضا ما في عقلك الى عقل قارئك . وهذا لا يكون بوسع ما لم يكن قد وضح عندت أولا . وبعد ان تنتهي . فكر في مسائل ثانوية كاللوائح في السوق وعدمه . وهذا لا يكون الا بالاستفادة من اراء من سبقوك الى هذا الميدان .

لقد طالعنا كل ما ^{منه} ~~منه~~ لحد الان من أدب الجاحظ ثلاث مرات . وفي كل مرة كنا نجد نفساً جديداً يقرنا من روح الجاحظ الأصلية . وأخيراً قلنا الكذب وقد ادركنا الوقت وقلنا لعل نبدأ حصلنا عليه الكفاية فلندونه بقدر ما ظهر لنا وقدراً ما سنقدر على إظهاره للناس .

يقولون ان الأسلوب هو الرجل . ويقولون ان الكاتب البشير والاديب الذي يستحق بجدارة ذلك اللقب ، هو الذي اذا قرأت أو سمعت له قطعة عرفت أنها له . وتكون قدمه راسخة بنسبة . من ردة مع عدم تحريك أو قلة تحريك في تلك المعرفة . نقول اذا صح هذا القول ~~هو~~ وهو في الحق صحيح . فان الجاحظ اكبر اديب عرفته العربية . فهو نسج وحده وفريد دهره . إقرأ له اينما قرأ تعرف نفسك . وسال له اينما سأل تعرف ان ما بين يديك للجاحظ . وما ذلك الا لانه اول واقدر كاتب عرفته العربية استطاع ان يصور شخصيته شعاعاً ، وأن يفرز ذاتيته على كل معنى من معانيه أو صورة من صورته . واليت الا بعمر القول في هذه الصفات الحاضرة التي تتجلى لنا من درس اول نواحي اسلوبه وهي : كيف كان يخاطم موضوعه بعد أن جمع معلوماته . وما رائده الذي كان يسيره نفسه .

اولا كان يختصر للفلا يمل . وثانيا كان يلخص لكي يجمع المتباعد . وثالثا كان يكرر لكي توسع الفكرة . ورابعا كان يخيّل لكي يبين الغامض . وخامسا كان يستطرّد لينوع . وسادسا كان يهزل ليرطب الجسد . وسابعا كان يستأصل لان في التساؤل اثاره . وأخيرا كان يخاطب القارئ لان في الخطاب ابتغاء على انتباهه . - كل هذه مسائل حاضرة كان يحرس عليها الجاحظ كل الحرص لغرض واحد فقط ، وارضاه لناعية واحدة من ناهيتي بناء الادب نعني "القارئ" . ان الجاحظ جدا حريصاً على قارئه . وجدا مشغولاً بالابتغاء على نشاعة ليسايريه في كل المفازة . وقد نظروا في ذلك حتى "خلط له السم بالدسم" كما يرى بعضهم عندما يقرأ استطراداته في الادب المكتوف ان كان من " الاخريين " او تندره برجال الدين ان كان من جماعة " لا اله الا هو " .

الا ان هذه ، اذا كان الجاحظ حرص عليها من اجل القارئ ، فان هناك غيرها حرص عليها لان طبعه هكذا أراد . مثل المحافظة على ذكر غرض الكتاب في ^{مطلع} ~~مطلع~~ اوله .

وثانيا ذكر مادته اما في اوله كأنه نهرس اليم أو في غير ذلك ، مبعثرا هنا وهناك كيفما اتفق .
 واخيرا لإحجائه عن التفسير براهه الخاصة بكلماته الخاصة في أكثر كتبه الكبيرة نعتهم الحيوان
 والبيان والبخل . فالذي يطالع هذه النثرية ، وهي طبعاً عمدة أدبه ، يجد انواراً واقوالاً
 واستشهادات واستشهادات من كل ما يمكن الاستعانة به في موضوع واحد . لكن رأي الجاحظ
 الخاص فيه بكلماته الخاصة به ، فلما تعثر عليه . وهذا ما لاحظته الكثيرون عليه وهاهنا به
 وما ألاحظه أنا بدوري واسميه " الجبن الادبي " . - ولتفصيل مجمل هذا ، نورد ما يلي
 من الامثال ، مقتبس من حيث استطعنا اقتباسها من كتبه .

اولا كان يختصر لئلا يمل = اذ ان الملل في رأي الجاحظ أنه النارئ وهذا الكاتب . فعلى الكاتب
 نفسه ان ينفي عسره من ادبه لا ان يترك الى سعة بال القارئ . فالنار كما عرنا ليسوا لهم
 سواه . والاختصار عند الجاحظ كان إما بإيراد قسم من قصة طويلة ثم يتها والاكتفاء بما
 ورد . او بإيراد قسم قليل من شواهد عديدة كان يمكن ايرادها كلها . اما الأسباب التي
 ذكرها لهذا الاختصار كثيرة ومتنوعة انماها ابقاء على نشاط القارئ . ثم الخوف من العرق
 عن مقدار شهوة الناس . ثم كثرة المادة واستحالة ايرادها كلها . ثم مساهرة القاعده الذميمة
 " خير الكلام ما قل ودل " بتدوين الأحسن بلا حسن . واخيرا الاعتماد على فهم القارئ .

١- قال في البخل : (ولولا ان يخفى الكتاب من مقدار شهوة الناس ، لكان الخبير
 عن الاعراب أكثر من جميع نذا الكتاب) . وقال في الحيوان (ولولا ان يغفل الكتاب لذكرت لك
 الجميع " اى جميع الشواهد ") . وهذان القولان ان كانا ليدلا على شيء فانما على خفي من
 التطويل وحصر على ابقاء شهوة القارئ واستئناسه متقدين .

٢- وقال في البيان الثالث (واما العصا فلو شئت ان اشغل مجلسي كله بها
 ومخالها لفعلت ولكن ذلك لا يندى) . وفي " العداوة والحسد " قال (ولم نستفد الابواب كلها
 المعارضة في هذا الباب ولو استقصيناها لطالت بنا الانيام) . وانما ذكرنا من كل باب عرس ما دل
 على معناه الذي اليه قصد . وهذان القولان ان كانا ليعطيا مغزى ايضاً فانما ان جملة
 الرجل ملل . لكن ليس المقصود انراغها بقدر ما هو اصابة الصدود الاصلي .

١٠. وقال بعد هذا في " مناقب الفرق " (ولكن رأينا القليل الذي يجمع خير من الكبير الذي يفرق . ونحن نمود بالله من هذا المذهب^{الذي}) . أما في " كتمان السر " فقد كان آيين اذ قال (وهذا باب لولا ان نشفل القارئ لهذا الكتاب بغير ما قصدنا اليه وعرضا عليه لاتيسنا عليه وهو كثير وموجود لمن طلبه . (لكن) - جملة واحدة فيها كفاية) .
وي " الحنين " قال = (ولو جمعنا اخبار العرب واشعارها في هذا المعنى لصال اقتصاصه - ولكن توخينا تدوين أسن ما صنع من اخبارهم واشعارهم وماله التوفيق) . واطن ان في هذا كفاية للتتميل على مقدار قصد الرجل الى الاختصار ومقدار تمسكه بما قر ودل واستخدام الاحسن في الاحسن طريقا لذلك .

١١. أما في البخلاء فقد ذكر سببا يدل على مقدار اتصاله بقرائه واعتقاده على مفهومه لدرجة يختصر معها لا يلبقي على نشاطه فقط انما لانه يُخيمس الضن به . قال (وليس ينبغي من تفسير كل ما مر إلا الاتكال على معرفتك) . - قد يخيل للقارئ ان الجاحد قد وقع في الفخ كما يقولون . والا كيف قال يوصي غيره قبل مده بأن لا يكتب إلا على أن كل الناس له اعداء ثم يأتي هنا ليركن على " اعدائه " ؟ لتخليص أبي عثمان من هذه الورطة عندي رأي بسيط وهو انه في هذا الموضوع كان يكتب لخاصة الناس وليس لعامةهم . ودل على ذلك قوله مردفا (وليس هذا الكتاب نفعه إلا لمن روى الشعر والكلام وذهب مذاهب الفهم او يكون قد شددا منه شدوا حسنا) . والحاسة كما يعلم الجميع يفهم بعضهم بعضا ويعتمدون على مفهوماتهم . ولولا هذه القاعدة لتعذر على الراخين في العلم ان يكتبوا كئ شي . ولو حاولوا ذلك لعافهم عن الشيء الكثير . وبروكلمان الذي طالعهنا مقل واضح على ما نفوس . نعم إنه معزز وسطمن . لكن عامره وثاغته لن يكون من الخاصة بل من العامة الذين لم يصلوا الى مستواه . وهذا المعزز لا يكون كذلك في الحر إلا اذا كان الرجل يكتب للعامة ولم ينزل لمستواهم او كان يكتب للخاصة ولم ينشر الى ذلك . لانه اذا ~~لم~~ أنشأ (كما انشأ الجاحد) فليس لغير المقصودين ان ينتقدوه لانهم ليسوا من الناس الذين كان يكتب لهم .

ثانيا كان يلخص لكي يجمع المتباعد - والفرق بين الاحتمار والتلخيص كالفرق بين ذكر الشيء ناقصا وذكر اجزائه متباعدة ثم جمعها في قصير . وقد قصد اليه الجاحظ لذات القاعدة الذهبية العامة نعني الاقتصاد على الظرف الثاني . واليك امثلة محتصرة على ذلك لاننا لا نستطيع ان نورد لها مطولة . والسبب في ذلك هو انها كانت تستغرق صفحات من كتيبه .

قال في البيان (قد ذكرنا في صدر هذا الكتاب من الجزء الاول وفي بعض الجزئ الثاني كلاما من كلام العقلاء والبلغاء ومذاهب من مذاهب الحكماء والعلماء . وقد رتبنا نوادر من كلام الصبيان والميميين من الاعراب . ونوادر كثيرة من كلام المجانين واهل العرة من الموسوسين . ومن كلام اهل الغفلة من النوى واحباب التكلف من الحق . نجعلنا بعضها في باب المنزل والفكاهة . ولكنفس من هذا موضع يتصلح له . ولا بد لمن استكده الجسد من الاستراحة الى بعد الهزاة) وانا انون معلنا على هذا ان لولا هذه الفقرة لسعبل علي أن أُجبل ما نال الرجل في الجزئ لحد هذه الصفحة . وذلك لكثرة ما قال من ناحية ولنعم الصلة بين اجزاء ما نال من اخرى " التثويث " . وهكذا يُقصر ابو عثمان من ناحية لكثرة سماع ما يعود يدونها من اخرى " التلخيص " . وتكون النتيجة ان تستقيم له الامور .

وفي البيان اثالث قال (قد قلنا في صدر هذا الجزء الثالث في ذكرنا المعاصي ووجوه تصرفها ، وذكرنا من مقطعات لأم النساك ، ومن فصار موطع الزهاد وغير ذلك ما يجوز في نوادر المعاني وقصار الخصب) . ومن هنا يفهم القارئ المعرفة بين اجزاء ما قال وهي أن لا علاقة مباشرة قوية انها عطف ضعيفة نستطيع بشق النفس ان نسميها عطف .

وفي الحيوان السادس قال بعد التعميد (قد قلنا في السوط ومرافقها وفي عموم منافعها وكيف كانت الحاجة الى استئراجها وكيف احتلفت عورها ... وذكرنا جملة القول في الكلب والديك ... وذكرنا جملة القول في الحمام والذباب والغراب و ... وذكرنا جملة القول في الذرة والنملة وفي الفرد ... ثم ذكرنا بنية القول في المعاصير والجوزان ... وقد بقيت فيه) . واذا علمنا ان ما جاء في الاقتباس الاول هو ملخص مادة الجزء الاول . والثاني ملخص الثاني . والثالث ملخص الثالث . والرابع ملخص الرابع . والخامس ملخص الخامس . وما جاء في السادس هو نظرة عامة على ما سيجي في السادس ، واذا عرفنا انه من السعبل على قارئ كتابه ان يعرف الحيوانات التي تكلم عنها لتباعد الكلام على كل منها وغلط اجزائه ببعضها - واذا اضفنا أني شخصيا سررت وفرحت وكأني على كثر حشوة عندما انتحلت اسماء الحيوانات التي تكلم عنها وقد كانت فكرتها لدي مشوشة - عرفنا او بالاحرى قدرنا حق قدرها ، قيمة هذا التلخيص الذي كان يتبعه الجاحظ هنا وهناك . ولثاني مرة نقول ان الجاحظ كان من أحكم الناس . كما يعرف نفسه وكان متأكدا من عيوبه . لكنه لم يستطع التغلب عليها بالبر . ولذا راج يدونها بشق الطرق .

نالتا كان يكرر لكي توسع الفكرة - يقولون ان في الاعادة اعادة وان التكرار يعلم الحمار .
ولقد انتبه ابو عثمان الى هذه النقطة وحاول ان يثبتها في اذهنه . فكرر كثيرا من الاحاديث
والاقوال والمنكيات . ولعاد جانبها عظيما من المشاهدات ومثلها الاراء الخاصة . الا ان الذي
يجب ان لا ننسى عنه هو ان تكرار الجاحظ ليس من النوع المصل - لانه كان ابعد الناس عنه
واشدهم نفورا منه ^{مكررا} . انما كان من النوع الذي يقارب بين الخطر وقرب بين المتباعد فيسعد على
توضيح وتطهير الفكرة . وقد كان منه ذل في كتاب واحد اي ان يعيد الشيء مرتين او اكثر في ذات
الكتاب . او أن يذكره في كتاب ويعيده في آخر . وكثيرا ما كان يشير الى تلك الاعادة الا انه في
كثير غيرها كان يتخاضع عن ذلك وعلى القارئ ان يستنتج . وكذلك نحب أن نذكر انه في
كثير من المرات كان يعيد الشيء بلفظه وفي غيرها كان يبقى على المعنى ويغير اللفظ واليت بعض
الشواهد تؤيد كل ما مر .

١ - حكاية شعرة ابن النعمان - قال الجاحظ في البيان الاول (ولما دخل شعرة
على النعمان ابن المنذر ^{بن} زرى عليه الذي رأى من دماثة وفنسه وقتله . فقال النعمان : تسمع
بالمعيدي لا ان تراه . فقال ابنت اللعين . ان الرجال لا تكلم بالقفران ، ولا توزن بميزان .
وليست بمسوك يستقي بها ، وانما المرء باصفوه بقلبه ولسانه . ان حال حال بجنان وان قال
قال ببيان^١) . ثم لعادها في ذات الكتاب بل في ذات الجزء فقال (ونظر النعمان ابن المنذر الى
شعرة ابن شعرة فلما رأى دماثة وقتله قال : تسمع بالمعيدي لا ان تراه . هكذا تقول العرب . فقال
شعرة ابنت اللعين ان الرجال لا تكلم بالقفران وانما المرء باصفوه لسانه وقلبه^٢) . وكل ما نرجوه من
ايراد هذه الرواية المكررة هو اولا ملاحظة انها متفارقة اي في جزء واحد وثانيا ان الربيع لم يتقيد
بالحرية بقدر ما تقيد بالمعنى .

٢ - حكاية الأعمى - قال ابو عثمان في الحيوان الثالث (دخل ابو عتاب على عمر ابن
هداب وقد كذب بصره والناس يعجزونه . فمثل بين يديه وكان كالجمال الحجم له صوت جسيم .
فقال يا أبا أسيد لا يسوءك ذهابهما . فلو رايت نوابهما في ميزانك نصبت ان الله تعالى قد فلع
يديك ورجليك وذي ظهرتك واذى صلحك^٣) . وفي الجزء الخامس من ذات الكتاب اعادها بقوله
(ثم رجع الحديث الى ابن العضاء ونحكه . قال واما اليوم الآخر قال عمر لما ذهب بصره ودخل عليه
الناس يعجزونه ، دخل عليه ابراهيم ابن جامع وهو ابن عتاب من آل مصاد وكان كالجمال الحجم

نقام بين يدي عمرو فقال = يا أبا أسيد لا تجزع من ذهاب بصرك
وان كانتا كرميتين فانك لو رأيت ثوبهما في ميزانك تمنيت ان يكون الله
عز وجل قطع يدك ورجليك ودق ظهرك وأدمى صمك .
قال نضاح به القم وضعك بعضهم فقال عمرو، معناه صحيح
ونيته حسنة . وإن كان قد اخطأ في اللفظ .) والرجو في هذه الاعادة
اولا ملاحظة عدم الدقة في الاسماء فهو من الاول 'ابو عتاب' وفي
الثانية 'ابن عتاب' . ثانيا - ملاحظة التطويل والتقصير فهو من الاول
يسرد سردا موضوعيا لكنه في الثانية يضيف الحواشي في الاول وفي الآخر .

٣ - حكاية أبوة الله وخلقه = قال في النصارى بتطويل
وشرح وتعليق استغرق ما بين ٢٥ - ٣٢ في مسألة أبوة الله وتلخيصه وأورد
اقوالا كثيرة قالتها النصارى لاثبات الاول واخرى مثلها قالتها بعض فرق
المسلمين لاثبات صحة الثاني مما يعمب علينا نقله لطوله . ثم تطرق لذات
السألة في الحيوان الثاني ص ٩ فقال = (كما قالوا عيسى بن الله وابراهيم
خليل الرحمن) ، هكذا قط بالاشارة . ومن هذا نعب ان نبرز نقطتين اولاهما
تكراره مادته في كتب مختلفة . وثانيها تكراره لا باللفظ ذاته ولا بتحويره انما
بالأشارة اليه . وهذا دأب الجاحظ في التنوع مع التكرار .

رابعا كان يطول او يشرح لكن ينجلي الناموس = وفي هذا اكثر
الجاحظ حتى رماه الكيرون بالاسفاف . واذكر من بين هؤلاء البغدادي الذي قال
عن كتاب الحيوان انه ليس اكثر من سلح لماني كتاب ارسطو فيه ، بالاضافة
الى ما جمعه الجاحظ من احاديث العجائز وغيرهن . واذكر ابن قتيبة الذي قال
انه كان يفتد الى المضاحك او العبث . واذكر الاستاذ عليم الذي قال
عن الجاحظ = (ما درى هؤلاء ان الجاحظ لم يكن الا عالما نفسانيا
واقفا على خفايا الامر . وما دروا ان شرحه وتطوله انما كان هدفا للانعام
والتوضيح لا الشرثرة والسفسطة كما ظنوا . وفرتهم كسرة اسنلته وخدمهم

طول انتباهه . ونسبوا انه كان هنا اطال فهو في اماكن كثيرة اختصر .
وان رائده لم يكن هذا ولا ذاك انما كان فائدة القارئ قبلها . وما هما مع
غيرهما الا وسائل لتلك الناية النبيلة .

اما اشارة شرحه تكثيرة نذكر منها مثلاً تأليفه البيان والتبيين
لفكرة بسيطة واضحة كان يمكن ان يقول كل ما عنده بهرجه في قسم من
الجزء الاول لكه راج يملاً ثلاثة مجلدات . ونذكر أيضاً كتاب الحيوان
الذي راج يتخذ فيه من الحيوان البسيط مطية يقول من طريقها كل ما
يجول بصدرة من معلومات ما كان يمكن طرحه دون اى اخلال بموضوع الكتاب .
ونذكر الى جانب هذا مثلاً قريباً وهو البلاغة . هذه التي مثلاً صفات
وصفات لا في التخييل عليها وبغير ذلك ما قد يُعذر عليه ، وانما في تمرينها
نقط . فهو لا يكتبني بايراد تمرينها الذي يراه ، ولا تمرينها الذي سمعه
من الامراء ، بل يسأل الهندي وستغني الفارسي وستغني اليوناني . لا بل
للزنج رأي وللأبشاش كذلك ، وليت الامر وقف عند هذا بطل ان للتجار دخلاً وللحداد
حتى للرماة .

قد يؤخذ كل هذا ويُتاح به على انه تنوع أو انه تفسير أو انه
احاطة بالامول والفروع ، لكن ما لا شك فيه أن لكل امر غاية يجب ان يقف عندها
ولا اعتراء النقضان . ونحن نقول إن الجاحظ في هذا قد جاوز الحد وتخطى
المنطقة الحرام كما يقولون . قد يكون التطويل جميلاً في رسالة الترتيب والتدوير
لان روحها نكاهية ، لكن ما اظنه كذلك في تفسير " قصيدة " بشر بن المعتز
في ٦٠ صفحة من كتاب اسمه " الحيوان " أو من تخميس ما لا يقل عن عشرين
صفحة او فصل كامل ليقول لنا " الكتاب جميل ناقضوه " .

خاصاً = كان يستطرد لينوع = استطرد الجاحظ او ما سماه
بعضهم بالانتقان مشهور ، حتى ليخيل للمرء بعد كل هذه الشهرة ان الاستطرد
واسلوب الجاحظ في التأليف شئ واحد أوهما على الأقل شيئان متلازمان .

لكن الحقيقة غير ذلك . إذ أن الاستطراد صفة لازمت تأليف الجاحظ
 في بعض الاماكن ويُعَدُّ عنها في كثير غيرها . أما الاماكن التي كثر فيها الجاحظ
 استطراده فهي البيان والتبيين اولا ثم الحيوان ثانيا والبغلاء بعده .
 في حين ان الاستطراد يكاد ينعدم بالمرة في كل ما بقي من رسائله . والسبب
 في هذا التباين كما نظن هو أن الجاحظ في الاولى كان عالما جملعا يعتمد
 كثيرا على ما قال الناس ، وفي الثانية كان ادبيا خلعا يحاول ان يقرر امرا
 ويشبهه من عندياته . وان اضطر استعان بغيره . هذا من جهة اما
 من اخرى فان طول الكتب هذه كان يستلزم الاستطراد للترويج عن النفس
 اللطل كما سنرى . في حين ان الرسائل كانت قصيرة وذات موضوع محدد فلا
 داعي للتلل ولا حاجة به لمداراته .

أما مواد هذا الاستطراد فكانت في الغالب اللغة وما اليها
 من تفسير مفردات ، أو محاولة الحصول الى البحر ، أو ايراد عتادات وما اليها .
او النوادر على اختلاف انواعها من تاريخ او نكاهة او ادب مكتشف او ترجمة وجل
 او كلام حق ونوكى وصالحين وزهاد . وفي كثير من الاحيان كان يستطرده
 بمسألة كلامية . وفي غيرها يبحث فلسفي او طباعي . او انشأها ما كان يحفظ
 عن اساتذته ومن احثه بهم . وهم كثر ومتنوعون .

كثيرون الذين قالوا ان الجاحظ كان يقصد الاستطراد . وكثيرون
 غيرهم قالوا لا بل كان يأتي به عفوا وبدون سابق قصد . والحقيقة ان كلا
 الطرفين محق فيما ارتأى . فالجاحظ كان يقصد تارة إلى الاستطراد ، فيقدم له
 بقوله (والان نتحول الى قليل من الهزل .) ويشير اليه بقوله (وليس هذا من
 جنس ما نحن فيه) . ويحسسه في حين قارئه بقوله (ولا بد لمن استكده
 الجيد من الاستراحة الى بعض الهزل) . وتارة كان يضطر اليه اضطرارا دون
 ما وهي . ليمتد بقوله (والان نعود الي ما كنا بصدده) . وقد يقر بمجره
 عن ضبط لفظه بقوله (كان في النية الترتيب الا اننا مجبرتا)

والخلاصة من كل هذا هي ان الجاحظ كان يقصد الى الاستطراد

ويتمسكه للتنبؤ والبقاء على نشاط الفرائ . الا انه لي كثير من الاحيان لم يكن يقدمه انما كان يساق اليه بحكم العادة التي كان قد تمودها وبحكم الخطة التي كان قد اختطها لنفسه في تأليفه .

على كل هذا عن مواطن استطراده . ومن مادته . ومما اذا كان قد قصده ام لا . لكن هذا الاستطراد بعد ذاته = ترى هل هو محمود لي التأليف مذموم . ثم الى اى حد يمكننا ان نلصق حده او ذمه بالجاحظ شخصيا؟ . الحق يقال ان الجواب غامض وشائك . لانه يعتمد في الاكثر على الازواق . والاذواق مختلفة . ويعتمد على نسبة ذلك الا استطراد . وتعيين نسبة له امر من الصعوبة بكان . لكننا على العموم نقول ان الغاية التي اوجد الجاحظ من اجلها الاستطراد جميلة . اى البقاء على نشاط الفرائ . وعلى هذا فهي (اى الواسطة) جميلة ، ما دامت توصل الى هذه الغاية الجميلة . واذا زادت عنها او قصرت لي ~~يحيى~~ اذاتها نذاك ليها مفسر . وعلى هذا ، نعمل الجاحظ تقع كل التهمة لي فمن استعمالها وحسن توجيهها . والجاحظ لي هذا - كما رأينا - قد احسن تارة خصوصا لي استطراداته القصيرة . وقصر اخرى خصوصا لي استطراداته الطويلة التي تُنسي القارئ ما كان بعده وتبعده مما كان يطالع من امثال ايراد تفسير لقصيدتين استغرق ما بين صفحة ٨٢ - ١٧٥ من الجزء السادس من الحيوان . مما لا يمت الى الموضوع السابق ولا اللاحق بمصلحة .

والان الى اى حد يمكنها ان تُكَلِّ الجاحظ تبعات هذا الاسلوب ! وللجواب على هذا لا بد لنا من ذكر ما يلي = اولا ان فكرة الناس عن الادب في تلك الايام كانت " انه الاخذ من كل شي " بطرفا^١ . وثانيا ان فكرة الجاحظ منه كانت " هو ايراد الشاهد تلو الشاهد^٢ " . وثالثا ان موضوعاته التي طرقها وخصوصا في البيان والحيوان جافة تحتاج لثل هذه المداعبات الاستطردانية . رابعا ان نوع الثقافة التي تلقاها الجاحظ كانت من النوع "الكشكولي" الذي ان كان لينتج طريقة لي التأليف نائما هي هذه . وعلى هذا ننرى ان عدة عوامل جمعت

وهلت معا في اتجاه واحد حتى خلقت ما يعرف * باستطراد الجاحظ *

لكن مهما تكن العوامل . ومهما انترت الظروف . فالجاحظ مسؤول
مسؤولية إيجابية مباشرة عن هذه النصوص التي سادت كتب الأدب فيما بعد .
أولا لشهرته كرحيم لأدباء عصره . وثانيا لتقدمه في سلم الزمن مما اضطر
الاخيرين لتقليده . والنسج على منواله .

سادسا كان يعنى لسطب الجِد = بالرغم من ان هذا ضرب من ضروب
استطراده الذي مر الكلام عليه . إلا ان بروزه في مادة الرجل ودفعه عنه ومعرته به
وتمرض الكيرين له على وجه التخصيص، اضطرنا لانراعه بفقرات . قال ابن قتيبة
مهاجما الجاحظ وأخذاً هذا الضرب بعين النظر = انه كان يقصد الى المضحك
في كتبه . ومثله قال البغدادي في الفرق بين الفرق = الا ان الحقيقة فانت صاحبنا
فالجاحظ لم يكن يعزل لانه مهزل . ولا كان يضحك لانه ضحكة . ولا كان يقصد
الى اى من هاتين بذاتها . إنما كان يقصد اليها لنهاية اسى . وهي أن كثيرين
لم يُرَوْضوا الجَلَدَ لدرس المسائل الموصلة ، فلا بد لهم من شئ من الترفيه
لكن يجتازوا العبارة . وقال في البخل = نحن نقصد الى كل هذا (متى ارد
بالمن النفع ، والنفع الذى جُعِلَ له الضحك = صار المن جدا والضحك
وقارا ^١) . وهذا لمعري عين الصواب . ونحن نعتقد أن في هذا الكفاية للرد
على هذين الطاعنين وامثالهما من تعرضوا بالغمز لمن أبى عثمان .

وأبو عثمان يرى أن في هذه الطريقة أو الوسطة التي لزمها ه
ضرورة لا مناص منها اذا كان الكاتب حقاً يقصد لافادة قارئه . لان الانسان بعد كل
الاعتبارات انساني . معرض للسأم والطل والبؤ . ولهذا (لا بد لمن استكده الجد من
الاستراحة الى بعض الهزل ^٢) .

وليس هذا فقط . انما هناك تَنَبُّعٌ للمن وتطوُّفٌ له حتى انه في كثير من المواضع
نفضله على الجد كعالة تسمية فقال (وأول ما أذكر من خصال الهزل ومن فضائل المن انه
دليل على حسن الحال وفراغ البال . وان الجد لا يكون الا من نضل حاجة . والمن لا يكون

الا من فضل غنى . وان الجسد غضب والمزج جمام . والجسد مبغضة ، والمزج محبة .
وصاحب الجسد في بلاء ما كان فيه ، وصاحب المزج في رجا الى ان يخرج منه . والجسد
مؤلم ، وربما عرضك لأشد منه والمزج ملذ وربما عرضك لالذ منه (١) .

لهذه الدرجة بلغ تشجيع الرجل لهذه الواسطة نظرياً . أما عملياً
فقد استعملها واستخدمها واحد من في ذلك كل الاحسان . حتى إن قارئنا في كتاب
الحيوان الذي ألفه في سبعة أجزاء والذي من الصعب الجلوس اليه تباعاً دون عنت -
يقروءه "القارئ" من اوله الى اخره دون ان يفكر فيما يسعى ملأ او ساما ، ولولا هذه الميزة
لما كان مثل هذا النجاح من قبل الكاتب.

وملاحظة اخرى نحب ان نذكرها للرجل بهذا الخصوص . وهي انه
لم يجعل مزجه في ابواب خاصة انما فرقها في تضاعيف القول لتكون بمثابة الملح في
الطعام او السكر في الشراب المر . قصد الى هذا ولم يكن منه غفوا اذ قال في
البيان = (ولم تحب ان نجعله في باب واحد) (٢) .

سابعة - ان يمدد ليشق - وهذه ميزة سابعة من ميزات اسلوبه
في التأليف لم يظن اليها احد قبله . ونحن وان كنا نلوه من حيث الصدق والكذب
اي من حيث الاخلاق - لانه لم يكن يصدق في وجوده كلها - الا اننا نتفححه
من حيث نيته التي قصد من ذلك . وهي ابغنا "القارئ" متطلعا الى شيء يلذه .

ومن امثلة وجوده قوله = (وهم البصريون ان خديجا الغصي خادم
مثنى بن زهير كان يجرى مثنى في البصرة في الحمام وفي سعة الفراشة واتقان المعرنة
وجودة الرياضة . وسنذكر حاله في باب القول في الحمام ان شاء الله تعالى (٣) .
لكن يظهر ان الله لم يشأ . ولذا لم يذكر عنه شيئا ولم يف بوعده . وفي
مكان اخر قال بعد كلامه على بعض من عقر = (وسنذكر على هذا الباب في موضعه
من ذكر المعمرين . ونميز الصدق فيه من الكذب . وما يجوز وما لا يجوز ان شاء الله
تعالى (٤) . ولنأتي مرة لم يشأ الله تعالى .

الا انه من العدل ان نقول انه صدق في كثير غيرها . نذكر من بينها
 بوه بومده حيث قال (وسنقول في السَّع والمِثْبَار وفي غيرها من الخلق المركب ان
 شاء الله ^(١)) . وكذلك وعده حيث قال (وسنذكر من نوادر الشعر جملة . فان
 نشطت لحفظها فاحفظها فانها من اشعار المذاكرة ^(٢)) . فعلاً أخذ يسرد طائفة
 منها .

ثامناً - كان يضاهي فارثه لبيقيه متبهاً - وفي هذه الوسيلة سِرّاً
 قلنا ~~من~~ نطن اليه غيره . لان القارىء الذى يقرأ أسئلة موجهة اليه يظل دائماً
 في حال يقظة . اما انتظاراً لقراءة اجوبتها ان كان المؤلف سيذكرها واما أملاً في
 الاجابة عليها بنفسه ان لم يحاول المؤلف ذلك .

وامثلة هذا كثيرة ومتنشرة في كل كتبه . ولو لم يكن لدينا الا امثله
 في الترتيب والتدوير " وتساؤله البلاغي في " الرد على النصارى » لكناه تمثيلاً .
 خذ مثلاً قوله من الترتيب (خبرني مذ كم كانت الناس امة واحدة ؟ ولغاتهم
 متساوية ؟ ومعد كم بطن اسود الزنجى وابيض العقلي ؟ ولم صار اللون اسرع تنقط
 من الجمود ؟ ولم كان الولد يجرى على شبيه ما في ابيه من الامر الحادثة في بدنه
 عن غير القديمة في اصل تركيبه ؟ ومع ذلك لم يولد صبي قط في العرب مجنوناً ؟ وما هذه
 الخاصية التي منعت من هذا المعنى ؟ وفي كم تمت لكل فرقة بعد التبليل لغتها
 واستفاد لسانها ^(٣)) . ثم خذ ايضاً قوله من الرد على النصارى (وسنعالجهم
 ان شاء الله ونجيب عنهم ونستقصى لهم في جواباتهم كما سألنا لهم انفسنا واستقصينا
 لهم في مسائلهم = فيقال لهم = هل يخلو المسيح ان يكون انساناً بلا اله او إلهاً بلا
 انسان او ان يكون الها وانساناً .. فان مِرْاثته ^{الله} ^{الآب} بلا انسان قلنا لهم ... وان رموا
 انه انسان بلا اله قلنا لهم ... وان قالوا بل كلاهما قلنا لهم ... ^(٤)) .

وان كنا نستنتج من هذين الشلين شيئاً فانما ان الرجل كان يستخدم
 هذه الصاهرة (السؤال) كثيراً وانه تارة كان يسأل للتعجيز واخرى للاستفهام .

وانه كان تارة يجيب وتارة يترك الاجابة لفاروقه . وهكذا يشغله في صفحات وصفحات .

تاسعا - كان يخاطب قارئة ليبقى على شبه صلة شخصية به = وفي هذا ما فيه من استسلام القارئ لصاحبه الكاتب . ومن اطمئنانه الى اكثر ما يقول . وهذا الخطاب كان تارة بشكل اسئلة كما مر وتارة بشكل نصائح يسديها اليه في كثير من الامور تشير منها هنا الى ما ذكرناه من نصائحه له في التأليف . وتارة بشكل محاولة جذبه الى جانبه ضد شخص ثالث . وهذا كثيرا ما يبرز في رسائله الدينية مثل "حج النبوة" مثلا . والجامع بين هذه كلها - استعماله كافة الخطاب - مقصد التثليل فقط ، لا يقصد الاستقصاء ، نورد الاقتباس التالي من الحيوان ، اسدى حاول فيه اثبات حداثة ميلاد الشعر . (قال امرؤ القيس =

ان بنى عوف ابتنوا حنا؟ هنيه الداخلون اذ غدروا
ادوا الى جارهم خنارتهم ولم يضع بالمغيب ما نعروا؟
لا حجيرى وفي ولا عدس ولا اسلت غير يحكها النفر؟
لكن عور وفي بذمته لا قصر عابه ولا عور ه

فانظر كم كان عمر زارة وكما كان بين موت زارة ومولد النبي صلعم (!) الا انه يحسن بنا ان نذكر ان ابرز مواطن هذا الاتصال هي اولا مطالع الكتب . وثانيها مواقف الجدل واخيرا المواقف العاطفية خصوصا في رسائله التي فيها يهزل او يهجو او يمدح او ما الى ذلك . فهو لا يصف الشخص الثالث وانما دائما يتكلم مخاطبا الشخص الثاني .

عاشرًا كان لا يتكلم في كتبه لثلاث ينفر قارئة = وهذه ظاهرة من

ادنى الظواهر النفسية مرئها الجاحظ واستغلها لا في رسائله الثانوية وانما في اميات كتبه . في الحيوان وفي البيان وفي الخلا . ثم في التاج والحامض ان صحت نسبتها اليه . والسبب في هذا كما ارى - بالاضافة الى انه بعدد بحث على يجب ان يعتد فيه على اراء غيره - ان الفرائد انا كان حيب تطلع وجد اراء للكاتب شخصية وخاصة ينفر من الكتاب هوى صاحبه بالنتيج . وهذا مشاهد ومعروف .

ويكفي ان اتقول اني اكره كل ما كتب زكى مبارك ومن بعده العقاد - بالرغم من انهما كاتبين كبيران ومن ان ادبيتهما من الادب الزئج - لانى اكره الشخصية والادعاء اللذين يرمي بهما هذان الاديبان ادبيتهما . نقول حرص الجاحظ على هذا فى أمهات كتبه وفى كثير من رسائله خصوصا التى يمكن ان يروى فيها بالتحيز وهو يقصد الى الحق . مثل رسالته فى مناقب الترك .

لكن إذا كان لن يقول ما بنفسه بلسانه ، وهو يريد ان يقول . تكيف يقول .. غير واسطة هى ان يروح يجمع كل ما وصلت اليه يده . ومبعوه " تعينة عامة " وحشوه فى فصول متجمعة يفقد للغاية التى يريد بها . وعلى هذا التهج سار فى كل البيان اللهم الا من شذرات خاصة . وكل الحيوان اللهم الا من غطرات عابرة . وكل البخله اللهم الا من لغتات لم يستطع كتابها +

خذذه مثلا يريد أن يقول إن البيان أحسن من عدمه فى البيان والتبيين . فماذا يفعل . لا اكره من ان يحشد كل كثرما عرف من اقوال تشريه ومقطعات شعرية وحكايات مختلفة ~~يروح~~ يصبها الواحدة تلو الاخرى حتى يتم له فصل . مجموعه يقول بان البيان احسن من عدمه .

ثم خذذه فى " تفضيل النطق على الصمت " فى رسالته الكاملة التى كتبها بذلك تجده استعمل ذات الشئ . اقوال واقوال . اما رأيه الخاص من المسير ان تقف عليه . وشالت مثل تحب ان تقدمه على هذا هو رسالته فى مناقب الترك التى كانت بكاملها مثالا ناطقا على ما نقول . والتى تحتفظ بجملة منها هي التى هددت بها الى هذه الميزة فى اسلوبه . اذ دوما بقلبه . قال (إلا أنا على كل حال سنذكر جملا من احاديث روضهاا ووجيهاها . واموا رايناها وشاهدناها . وقصصا تلقفناها من انواء الرجال وصنعناها . وسنذكر ما حُفِظ لجميع الاصناف من الالات . حتى يكون الخيار فى يد الناظر فى هذا الكتاب . المتصفح لمعانيه . القلب لوجهه . والفكر فى ابوابه . المقابل بين اوله واخره . ولا تكون نحن اقتحلنا شيئا من شئ . وتقلدنا تفضيل بعض على بعض . بل لعلنا ان لا نخير عن خاصة ما عندنا بحرف واحد . نأذا دبرنا كتابنا هذا التدبير وكان موضعه على هذه الصفة كان ابعد له من مذاهب الجدال والراء واستعمال الهوى)

هذا ما نعد اليه الجاحظ وهذه هي غايته من ذلك القصد نعتي
 المعدل أولا وعدم التحيز ثانياً ولابتعاد عن قول " انا " قبل كل شيء .
 لقد لاحظ هذا عليه الباقلائي في لبحاز القرآن وهاجمه بمصر الشيء وانهم
 البغدادي بقله البضاغة . الا ان الحق يقال ان لكل شيء حداً تجاوزه معناه
 الانتكاس . بالاستنبهاد وخصوصاً في السائل العلمية جليل ، لكن انعداء
 الشخصية ونعتي الاراء الشخصية بالعمدة وخصوصاً في الادب امر لا يحمد عليه صاحبه البتة .
 واقل ما نستطيع ان نضفه به انه جبين ادبي لا نفر صاحبه عليه .

لكننا اذا ذكرنا أن الجاحظ كان ابرز اديب عربي تهرت شخصيته في كبة
 ودافع عن ارائه في رسائله . - عرفنا ان الرجل لم يكن فقيراً من هذه الناحية -
 لكن المشكلة تبقى بدون حل . وهي لماذا انعدمت هذه في كبة الثلاثة الكبرى
 وعلى الاخرى البيان . الجواب عندى هو . ان هذه الثلاثة كبتها في آخرات
 ايامه بعد ان اطلع وحفظ وجرب . محاولاً ان يدون فيها اكثر ما يستطيع تدوينه
 ما يمرؤ . حفظاً له وابقاء عليه للخلد . لكن ان يكتب هكذا " كساكيل " وجموعات
 بدون موضوع ، أمر يُظهِرُ ضعفًا من ناحية ولا قيمة له من أخرى . وما أن موضوع الادب
 والبيان واسع ، لذا - راح يتكلم فيها ويدون ما عنده . وشمل هذا نعل في الحيوانات
 وما خلق على هوا مشها من مختلفات .

من هذا نرى ان الجاحظ كان شديد الحرص على قارئه . يحاوره وداره
 وسمى جهده لثلاً يغنيه . وفعل له كل ما في وسعه لثلاً يستمه . وفي ذات
 الوقت كان يأخذ بيده ليقوده الى حيث يريد دون اى سوء ظن . ولهذا كانت
 كبة ذات رواج . ولهذا كان ينتظرها الناس انتظار صعد اليم . ولهذا
 كان لها اثرها الفعال .

سورة التوبة

الا ان هناك نقاضاً اخرى عُرف بها اسلوب الجاحظ مما يجدر بنا
 ان نلحقها بسابقاتها لنثم لنا نظرة عامة في اخصى ميزات اسلوبه التأليفي . لكن
 بما انها ذات صبغة مختلفة عن سابقتها ، لذا سنعطيهما حلاً منفرداً عننا .
 اهم هاته الناحية .

أولا - المسائل الميكانيكية - = كان الجاحظ يحرم كل الحرص على ان يبدأ كل رسالة او كتاب بخطه او يلبيه بالحمد لله ان لم يكن بالبساطة . وبعد هذا كان دائما حريصا على ان يدعو لقارئه بما حضر من الدعاء . ثم يروح يذكر الدافع الذي دفعه للكتابة ما بين يديه . ثم الغرض الذي يرجوه من الكتابة . بعد ان حركه ذاك الدافع او الباعث . حتى اذا ما تم له كل هذا اخذ في سرد أكثر ما يمكنه ان يسرد عما سيفول في الكتاب المقصود . وفي الانشا يذكر كبا سابقه او ينوه باخرى لاحقة .

نقول هذه المسائل حرص الجاحظ عليهما كل الحرص وسمى جهده لان تكون بارزة في كل كتاب من كتبه . والذي يسال كبا . يتحقق من كل هذا . الا اننا هنا سنورد مثلا ولحدائقين/ يؤكد نائيا قلنا . وسختاره من مقدمة البخلاء وسفرته حسب الترتيب الذي قدمنا .

١ = بسم الله الرحمن الرحيم

٢ = تولاك الله بحفظه ولعانك على شكره ووفقك لطاعته وجعلك من الفائزين برحمته

٣ = ذكرت حفظك الله انك قرأت كتابي في " تصنيف حيل لصوم النهار وفي تفصيل حيل سراق الليل " وذكرت مَلَحَ الحزاي واحتجاج الكندي ..

وَلَقَدْ بَيَّنَّ لِي مَا الشَّيْءُ الَّذِي خَبَلَ عَقُولَهُمْ " البخلاء " ... وسألت ان اكتب لك عِلَّةَ خِيَابِ فِي نَفْسِ الْخَيْرَةِ وَاِنْ ذَا الْعُرْوَةِ اِلَى هَذَا الْعِلْمِ افتر...
فاما ما سألت فسأجدهم في قصصهم ان شاء الله تعالى ...

٤ = تفصيل حالهم وتبيان دخائل نفوسهم اجابة للطلب فقط اذ يقول =
ولولا انك سألتني هذا الكتاب لما تكلفته . فان كانت لائمة او عجز فعملك وان كان عذر فعلي دونك .

٥ = وبتبدي برسالة سهل بن هرون ثم يظفر اهل خراسان لاكثر الناس في اهل خراسان ...

٦ = كتاب تصنيف حيل لصوم النهار ...

وجدر بنا ان نذكر ان منهجه فلما اورد كاملا في صدر كتابه . بل
 تمرد ان يذكر منه ~~بعض~~ متفرقة هنا وهناك في ثنايا الموضوع كما دعت اليه الحاجة .
 وما اظننا بحاجة للتفصيل ^{عليه} .

ثانيا - ثنائياته = كان الجاحظ ثنائيا في تاليفه . بمعنى انه لا يستطيع
 ان يتكلم عن مفرد لوحده . انما يفارقه بآخر . فهو لا يتكلم عن الكلب الا اذا قارنه
 بالديك . ولا عن الدجاج الا اذا أتي بالعلم . ولا عن الخنزير الا اذا باراه بالفيل .
 بهذا مظهر من مظاهر ثنائياته في عالم القيد . اما الثاني فهو في ميدان الضلوع .
^{نهر} لا يتكلم عن الشجعة الا اذا قال في الجبن . ولا عن الكرم الا اذا روى في البخل .
 ولا عن محاسن المرأة الا اذا وازاها بمعايبها . ولهذا اشتهر بالأضداد . اما الثالث
 فهو انه في حالة عدم ضرورة المقارنة او في حالة استحالة وجودها يروح يفضل هذا
 الشيء على غيره ويدافع عنه بغيره . كأنه تنبأه كما دلت عليه بعضا من عظماء العرب ومفكراتهم .

وهذه لعمري ظاهرة لا تحتاج للتفصيل بقدر ما تحتاج للتعليل
 والتعليل . خذ مثلا يتكلم عن فصاحة اللسان . وهذه مسألة يمكن دراستها
 دراسة موضوعية بحثة . لكن اني للجاحظ ذلك . فهو لا يستطيع ان يفحص
 حقها حتى يشبث ان العرب انصح الناس لسانا وانهم الامة الوحيدة من بين الامم
 التي امتازت بها . وانها يستقيم التي بهم التعتق وفيهم خلقت . اما غيرهم فلا
 شيء في الميزان . ترى لماذا كل هذا ... وهل هناك من سبب قد كن في الخفاء ...

لقد قال بعضهم إن سبب ذلك هو القوة التي امتلأ بها الجاحظ
 فهو يحب ان يعلنها للناس بكل مناسبة يمكنه ذلك . اما نحن نرى ان العكس من هذا
 ايضا صحيح . وهو ان الرجل فيه شعور "بالنفس الذاتي" فهو يحاول دائما ان يستره بمثل
 هذه المظاهر . اما ايها الصحيح فالحق يقال ان الجواب مبهم . الا اني اميل الى الثاني .
 وساعدني في راسي ان نقصه الخلق عامل فعال في هذا لا يمكن ان يتناساه الجاحظ
 حتى ولو كان ادعى دهاة عصره .

من هذا نرى ان ^{اهم ميزات} اسلوب الجاحظ في التاليف ، أو الدعاة التي يقوم
 عليها ، أو الحي الذي املاه عليه وسيره فيه هو اولا حرصه على القارئ وثانيا طبعه
 الذي لم يستطع ان يخفيه . والان نتحول الى كلمة مختصرة في اثر هذا الاسلوب فيمن جاء به بعده .

ثالثا - تراجمه فمى جا - بمده -

ما لا شك فمه ان المصمر المباس (وخصما قمرنه الاولفن للذفن عاف ففهما الجافظ) كاف ارفع عصر الادب العربى على الاطلاق . بل عصره الذهبى الوحفد الذى وصل فمه الى اففى منتهاه . وما لا شك فمه فضا ان الجافظ كان علما من اعلامه ان لم فكن علم اعلامه على وجه الاطلاق . ونتففة لهذا لا شك ان الكرففم فانروا وانتموا به . فمن هم هؤلاء ؟ فافن ؟ وففف كان منهم ذلك ؟

هذا الاسلوب فى التالف الذى كما نتكم عنه هو غلق الجافظ وابسداغه . اولاف لان حركة التالف على المعجم كانت فى بسدثها ولما تفففف حق ففقال انه افخذ من افترانه او سابقفه . وشاففا انه كان مقفدا على اكفر اولئك الافران فى الزفن . وشالفنا انه اذا درست من قبله لم ففد شففا . فعندهم فمكن ان ففقال ان الجافظ نقله عنهم او انه فافر بهم ففه . فى عالم التالف . افما على المعك ففد أن اكفر من جاؤوا بمده قد نسفوا على منواله .

افما افشر اولئك الناس فالفقرفى فى عفافب المخلوقات . والدمرفى فى حفاة الحفوان الكرفى والبفر فى الكامل . والفرففانى فى الموش . ولن ننسى الأبشففى فى السفسفرف ولا الخفاففى فى مبالس الفرفففا الفرففا ولا الففففى فى الحافن والمساوى الذى ففكا ففكون صوره افرى عن الحافن والاضداد .

فعندهما نقول (فاففر) فعنى انه اففدع فك الطرق التى اسفنها الجافظ والفى فكلفنا عن افهما ففما سفق . مثل التلففم والفكراف والهزل والاسفسفراف وسفاففة الفافرى والفناففة والنساو ل وعدم ابفدا الفافى الصررف الى افره ... هذا ان لم فافخذ من ماففه راسا . وللففففل فقط فافخذ فصل الففباب من حفوان الفمرفى وفففارفه بفصل الففباب من حفوان الجافظ . فافر افنا فافر لعدم اسفسففا ففنا الففل ففكامله لفطول الفصل ولذا ففانا لذكر أوجه الشبه فقط .

- ١ - كلاهما بفدا بففواف الفباب
- ٢ - كلاهما اسفسفرف فى لففوفرافه وففه واففا افرف
- ٣ - كلاهما اسفسفرف الفناففة
- ٤ - كلاهما هزل وضحك
- ٥ - كلاهما قل كلامه وكفرت اسفسففاففه
- ٦ - الا افهما اففرففا فى ان الفمرفى

افخذ عن الجافظ حرففا فى الفز الاول ص ٣٢٢ وهذا لا فعنى سوى شفى واحد وهو ان الفمرفى ففرا الجافظ واسفسفاد ففه وففل عنه والفطف فاففر به .

المقالة الثامنة : في اسلوب الانشاء

يقولون ان الاسلوب هو الرجل ويقولون كذلك ان الاناء بما فيه ينضح ، ويقولون اشياء كثيرة اخرى إن دلت على شيء فاقصا على ضرورة اتفاق الكاتب واسلوبه وان يكون الاخير صورة طبق الاصل عن الاول اذا كان كاتبنا ناجحا في الحق . والجاحظ قد برهن على انه كاتب ناجح . وقد برهن على انه رجل يريد في بابه . ولهذا وجب ان يكون له اسلوب واسلوب نريد في بابه مثله . لنا هو هذا الاسلوب !

لقد استمع الجاحظ الى الاصراخ فاناد من اسلوبهم البدوي الخشن الجزل ، ودارس العلماء فاطلع على طرقهم في كتاباتهم ، وطالع المؤلفات وتسرّب بروحه روح اساليبها . والى كل هذا عرف كثيرا عن الفرس واليونان والهند وغيرهم في كتبهم . ولا بد ان يكون قد اخذ من كل نصيبا معينا . صر مجموع هذه الانصب في أتون عقله المتقد ثم أخذ يكتب باسلوب مكوّناته منها ولكن شخصيته جاحظية . لنا هو هذا الاصلوب !

هو التوازن = وما أدراك ما التوازن ! ولكي تعرف ما هو التوازن اولى الاقل لكي تأخذ منه فكرة عامة سنحاول ~~ال~~ اولا ان نتعرف الى مكوّناته التي لا بد من اجتماعها ليتكون عندنا التوازن . ثانيا ان نلهم ولو باطراف من مؤلفاته اي تلك الخصال التي ليست من صلبه وانما ترافقه وتلوح عنه ولا بد من وجودها معه اذا ما أُجِد . ثالثا زوّاده المؤمنين شقوا طريقه امام جاحظنا . رابعا أثبتناه الذين تأثروا به بعد ان يَلُوزُ وجتته الجاحظ اسلوبا كاملا . خامسا مواطنه التي كثر فيها واخيرا تقديره او ما قال فيه امدائه وانصاره وما سوى فيه نحن بكل اختصار .

اولا مقومات التوازن = تعني بالمقومات تلك الخصائص التي يجب ان تجتمع مع بعضها ليكون من مجموعها اسلوبا جديدا خاصا هو الذي ندهوه

"الستوازن" وأهم هذه المقومات ما يلي -

١ - الفاظ رشيقة : وهذه الالفاظ كما وردت في اسلوب الجاحظ - وكل كلامنا منه - كانت في الاغلبية الساحقة سهلة بسيطة قريبة من النواحي لا تَمَثِّلُ فيها ولا تَصْنَعُ ولا تَفْعُر ولا تَوَمِّر . تؤدي المعنى المطلوب وتقف عند ذلك الحد . لم يقصد منها ظلالا ولم يطلب منها ما وراء الظاهر . ولم يكن هذا من الجاحظ مقلوا بل قصده ان قال : وغير اللفظ ما كان على قد المعنى لا زيادة فيه ولا نقصان^١.

وعلى هذا جرى في كل كتاباته تقريبا . وإليك الشل البسيط التالي من " الجذ والهزل " قال (وبعد متى صار اختيار النخل على الزرع عند الاخوان . ومتى صار تفضيل الحب وتقرظ النور يورث الهجران . ومتى تميزوا هذا التمييز وتهاكوا هذا التهاك . ومتى صار تقديم النخلة مله وتفضيل ~~الحبيبة~~ السنبلة تحلة ومتى صار الحكم للنخبة نسبا وللكرامة صبرا ومتى تكون فيها ديانة وتحكم فيها بميرة وتحدث عنه حمية^٢) .

الا انه يجب ان لا يفهم من هذا ان جميع مفردات الجاحظ على هذه الشاكلة، سهلة سائلة بل ان انه في الحق استعمل كثير من الكلمات الصعبة مما يحتاج في حله لقاموس . واخرى غريبة لا تكن معروفة الا ~~للمعجميين~~ من معرفة كلام الناس آنذاك . فللدخيل في لغته نصيب كما ان للعامة شله . واليك الكلام التالي مثلا على مفرداته الصعبة = قال في " الجذ والهزل " (فلان يدعق في حبه^٣) . وقال في ~~المعجميين~~ البخلاء (كان فلان يتعرض للسابلة ويحالم العلق^٤) . واليك هذا مثلا على الدخيل في لغته . قال في الحيوان الاول (واجود الخصاء ما كان في الصفر وهو يسمى بالفارسية بريخت يعني بذلك انه خصي رطبيا^٥) واليك هذا مثلا على بعض اثر الكلام فيها = قال في البيان (اخرج الله من باب اليمية

فادخله في باب الايسه^١ . واليك هذا الاخير مثلا على عاينته = قال في البخلا
(وليخبر يقول الناس)^٢ .

واذا كما لنستنتج شيئا من وراء كل هذا فهو واقعة الرجل التي
كان يسمى وراءها في كل ما دون من كلام . مطابقة المقال للمقتضى الحال هي التي يريدها .
التعبير الواضح عن اى طريق هو الذى يطلبه وما عداها فمن الكاليات . اذا كان لا بد
من الفارسية فلتكن الفارسية . واذا كان لا مخلص من المايمة فلتحس المايمة . واذا
كانت الفصحى فوق الجميع . هذا هو دستور .

٢١- جمل قصيرة . = اذا كانت مفرداته قد انصفت على العموم بالخفة
والرشاقة فان جملة على العموم تنصف بالقصر والانسجام والسرعة . السوء في الضرب
نحو الهدف . واليك مثلا منها يظهر لك بنفسها ما تريد ان تقول اذ تُشْعَرُ
بمجز عن التعبير . قال الجاحظ في التريخ =

{ وما اظنك صرت الى معارضة الحجة بالثبته . ومقابلة الاختيار بالاضطرار . واليقين
بالثقة . واليقظة بالحلم . الا الذى خصمت به من ايشار الحق . وألهمت من فضيلة
الانصاف . حتى صرت احمى ما تكون الى الانكار . اذ عن ما يكون بالانصرار . واشد ما تكون الى
العيلة نفرا اشد ما تكون للحجة طلبا . الا ان ذلك بطوف ساكن . وصوت خافض . وقلب
جامع . وبأس رابط . ونية حسنة . واردة تامة . مع غنلة كريمة . وفضة علم . وان انقطع
خصمك تغافل . وان خرف ترفلت . غير منحوب . ولا متشنب . ولا مدخل . ولا مشترك . ولا
ناقص النفس . ولا واهن العزم . ولا حסود . ولا منافس . ولا معاقب . تغفل الحز وتصيب الغفل^٣
جمل كذا قصيرة وكلها سهلة وكلها بسيطة خفيفة رشيقة . واضحة موجبة
نحو غرض . فهي مسرعة اليه . حتى ليخيل الى الفارئ انها رنان " مترايلوز " في
ظلام الليل قد انطلق سريعا نحو الهدف المقصود . لاذعة احيانا قارسة اخرى
بكيكة^٤ لحيانا . مبكية في غيرها . الا انها على العموم خفيفة الحمل . بسيطة التركيب .
ذات مغبول عظيم .

لكن يجب ان لا يخيل للقارئ ان كل جمل الجاحظ من هذا النوع . فهذا
وان كان هو الاغلب الام الا ان هناك غيره . فمن تمايزه ما هو كلاسيكي يحتاج
للاصمى حتى يفسر غامضا . ومنها ما هي خاصة به نسجها بعقله ودونها بقلمه

ونها ما هي عاينة بل وبستذلة . واليك امثلة على كل من هاته .

١- قال في الحيوان (والحيوان لا يخرج في لغة العرب من فصيح واعجم .
كذلك يقال لها لم يتكلم قط . فيحطون ما يرغبو ويغزو ويهتق ويهمل وتسمع ويحرو
ويغشم ويحوى وينج ويغزو ويغزو ويهذر ويغزو ويغزو ويغزو ويغزو ويغزو ويغزو ويغزو
ويكش ويغ - على نطق الانسان اذا ابيح جمع بعضه على بعضا)

٢- اما تعابيره الخاصة ناكسرها جميلة يدل دلالة واضحة على روحه
ومن اشهرها = على وجه الدهر ٢ . مع طلوع الشمس ٣ . فما اليمس في جلد
البعير بالعلق من بعض الشعر ٤ . طارت عصانير راسه - للخائف ٥ . ولم ار
جباناً قط اجراً منه ولا جريراً قط اجبن منه ٦ . مثلها كان اعلم الناس بما لم يكن
واجهلهم بما كان .

٣- اما التركيب فنقل المفردات العاينة التي لم يتخرج الجاحظ من
استعمالها حيث اقتضت الضرورة = قال في البخلاء (فلان عن اهل ٧ . وفلان
خرج سوق ابو ٨ .) وفي الترييح (انا تربية كسك ٩) . وفي البيان (انشدوه
قصيدة عبدة (التي على اللام) . مثلها قصيدة ابن الاسفل ١٠ التي على العين ١١) .

ولولا ان شرح هذا سيأتى في باب النقد لاطلنا فيه . لان الجاحظ
قصده وتعمده ارضاء للواقعية التي كانت تجري في كل عرق من عروقة وطبعت كل
عمل جاء به .

٣ . نفس طويل = والنفس الطويل بمعنى ذلك النوع من التعبير الذي
يمسك بنفس القارئ مدة اصول من اللام انتظارا للنتيجة . وهذا بالطبع لا يكون
في القارئ الا بعد ان يكون قد توفّر من قبله في الكاتب . وقد كان الجاحظ فعلا
ذا نفس طويل . واما طول النفس هذا فقد لاحظناه في ظاهرتين = الاولى بعد
ما بين البندا والخير في الجملة الواحدة والثانية قريبا لكن بعدما بين ابتداء
القول وتماه الذي لا يصحّس للقارئ الا بالوصول اليه . ولكي يكون هذا واضحا نورد

(١) ح ١٦/١	(٢) س ١٢٣	(٣) ح ١٢/٣	(٤) ح ١٢٨/١
(٥) ح ١٣٢/٢	(٦) ح ١١/١	(٧) ح ٦٠	(٨) س ٨٠
(٩) س ١٢٢	(١٠) ب ١٢٠/١		

على طارف قدره أو ثالث حظه أو على محك كرم في اصل تركيبه ومجاري عرقه .
وانت تزم ان هذه المعاني خالصة لك مقصورة عليك . وانها لا تليق الا بك ولا
تحسن الا نيك . وان لك الكل وللناس البعض وان لك الصافي ولهم المشوب .
هذا سوى الغريب الذي لا نعرفه والبديع الذي لا نبلغه = فما هذا الغيظ
الذي انضجك وما هذا الحسد الذي اكمدك وما هذا الاطراق الذي قد اغتواك
وما هذا الهم الذي قد اغتاك (١) .

هنا هو طول نفس الجاحظ الذي تحبان نظيره . وهو لعمري
جميل في ناعيته . لقد عرفنا من الكتاب من طال نفسه . نطه حسين مثلاً طویل
النفس لكنه الى جانب ذلك طویل العبارة وكثير تكرار المعنى لذا مح الكيرون اسلوبه .
اما الجاحظ فلما طال نفسه قصرت جملة نكاته هذه وتلك خير مميّنين على
ابراز اسلوب الجاحظ . وليست هذه المرة الاولى التي يعرف بها الجاحظ فيها
ما يكره القارئ فيداره او يحب نجاهه . بل هي واحدة من عدة رأينا
بعضها فيما مر من الحديث .

٤- ترادف الجبل = ما دامت جملة قد قصرت ، وما دام نفسه

طال ، لذا ليس من الغريب عليه ان يسوق جملتين او اكثر من هذه القصار
مما - لكي تنوب عن واحدة طويلة تشبع ذهن القارئ وتؤيد المعنى في نفسه
دون أن يُثبِّت . وليست كل ترادف مثل ترادف الجاحظ لا يُشعر به ، ولا يُفكر
قارؤه بنقصه لانه طبيعي . خذ مثلاً قوله في الترييح (والفاس وان قالوا في الحسن
كانه طاقة ربحان وكأنه خوط بان وكأنه قضيب غيران وكأنه غصن بان وكأنه ربح
رديني وكأنه صيحة بمانية وكأنه سيق هندواني - فقد قالوا كأنه المشتري
وكان وجهه دينار هرقل وما هو الا البحر وما هو الا النيت وكأنه الشمس
وكانها دارة القمر وكانها الزهرة وكانها درة وكانها غمامة وكانها مهاة ٢) .
واذا عرفت ان جميع الشق الاول معناه (جبل الطول) وان جميع الشق الثاني لم
يزد من (جميل الاستدارة) واذا اصلت الى هذا انك ما شمرت اثناء القراءة
بأي ملل ، تأكدت من ان الجاحظ كثير الترادف . ولكنه الترادف الجميل .

٥ - تكرار الكلمات = وهذه ميزة أخرى من ميزات أسلوبه

الإنشائي . تغلب عليه في المواقف العاطفية وخصوصا الوصفية او التأويلية فيها . نعتي تكرار كلمة او تكرار حرف يَجْعَلُهُ بمثابة مركز الهجوم . وقد لاحظنا ذلك كثيرا منه في عدة أماكن من كتبه . نكتفي بذكر تكرار حرف لايم وكان ٢ . وكأن ٢ . وأخيرا حرف الواو ٤ . واليك نموذجا من هذا التكرار = (وإنا لا نستطيع أن نقول في التفريق ، كأن عنقه إبريق فضة ، وكأن قدمه لسان حية ، نمر وكان عينه ماوية ، وكان بطنه قبطية ، وكان ساقه برديّة وكان لسانه ورقة ، وكان سيفه حد سيف ، وكان حاجبه خط بقلم ، وكان لونه الذهب ، وكان عوارضه البرد ، وكان ناه خاتم وكان جبينه هلال *) . واطن في هذا الكفاية لتوضيح ما نحن بصدده . لقد نقل مثل هذا السيد كرد علي في "امراته" وقوله بقوله = (انظر اليه كيف يكرر فعل "كأن" مرات في بضعة اسطر . يا ما احيله في مذكاراته وفي موجزاته ٦) . أما نحن فلا نرى رأى الاستاذ كرد . إذ الحقيقة - والحق يقال - ان هذا التكرار متمم ويصح لا سيما دون تغيير لا في المعنى ولا في البنى - ونحن وان استحسنا منه تكرار الجمل لتغيير البنى بالرغم من ثبوت المعنى الا اننا لا نستطيع ان نستطيع ان نستطيع هذا الثبوت الجامد . وكل ما نقوله = انه لو كان يقطع التكرار ^{المر} كراهه . ولولا أنه النادر في كلام الجاحظ لاتهمناه بضعف البضاعة . لكن الذي يدهن المصيبة هو قلته بل ضدورته .

٦ - الاطناب = والاطناب هو اخذ فكرة معينة ثم معالجتها

باسهاب وتعمق من جميع الوجوه حتى ليخيل للقارى ان الكاتب لم يترك فيها مغفيا الا كشفه ولا بهما الا ازال غاضه ولا يسترأ إلا كشفه . والجاحظ في هذا كان ذا قدرة عظيمة . وليس هذا منه بمجيب وهو دائرة المعارف وجماع علم عصره ومن سيفه . خذ مثلا يريد ان ينسب لنا في رسالة مثاقب السرك ان السرك شجهمان . او خذ في الترتيب يريد ان يقول لنا ان احمد بن عبد الوهاب احمق . او خذ في البخلاء يريد ان يعم الكسدى بالبخل . أو خذ في اي موضوع طرقه = وحاول ان تدلني على غاض تركه على حاله او خبيثة مزاولم ينكسها . كل شيء كان يقول . وكل ما يمكن ان يقال كان يقول .

(١) مع ١٢ (٢) مع ١٣ (٣) مع ١١٢ (٤) مع ١٢ = ١٢ -

(٥) مع ١٨٨ (٦) كرد ٤٢٢

لم يتخرج من الادب المكتشف ، بله العالي ، وحتى علاقات الزوجين كان يثيرها ويغيب لها اذا اقتضى ذلك حوار ما بين الكلب والديك .
 لكننا نقول والأسف يملأ قلوبنا إن تلك الدُرر وردت مفردة مشوشة مضطربة . لو جُمع شتاتها وَوُحِدَ متجانسها كَلَّ في بابها لكنت ابحاث الجاحظ في كل موضوع طرقه إحدى الاعاجيب . قرأت لاحدم قوله لمصاحبه - فَقُلْ لِي بِرَبِّكَ أَيُّ شَيْءٍ كَانَ بِحَسَنِ ابْنِ عُثْمَانَ ! فقال له وما بالك لا تقل لي انت : اى شيء كان لا يحسن .

إن الاشلة القصيرة لا تفني بالغرض لان الجاحظ طويل النفس ، والاشلة الطويلة من التخاذل نقلها لتقيدنا بقيود عدة . لكننا مع ذلك نورد المثال التالي على إطنابه لعمل فيه بعض شفاة الغليل - قال الجاحظ في التزييع (جعلت ندادك . قد شاهدت الانس منذ خلقوا ورأيت الجن قبل ان يحجبوا ووجدت الاشياء بنفسك خالصة ومزوجة وافغالا وموسومة وسالمة ومدخولة . فما يخفى عليك العجة من الشبهة ولا السقم من العجة ولا الممكن من المعتنع ولا المستغلق من المستبهم ولا النادر من البديع ولا شبه الدليل من الدليل . وعرفت علامة الثقة من علامة الريبة . حتى صارت الاقسام عندك محصورة والحدود محفوظة والطبقات معلومة والدنيا بحذائيرها بصورة ووجدت السبب كما وجدت السبب وهي تولد والاسباب وهي تمنع فعمرت الموضوع من المخلوق والحقيقة من التوبة) .

وعلى هذا (لما تقول لي الراي وما تقول لي الرواي) تم ياخذ في اسئلة يهيلها انهيال الطر ويثولها انشبال الما من الشلال . انرا هذا وقيل بربك ماذا ترك الجاحظ ما يمكن ان يقال لابن عبدالوهاب ليفهم انه عالم بكل شيء ، انه لم يترك . أو على الاقل هو مُؤَمِّنٌ على حواس القارئ ليخيّل اليه لأول وهلة انه استقم كل شيء ولم يترك شيئا . وهذا وجهنا سر من اسرار عظمته .

٧ - التوازن = لقد قال الفلقشندي كما سيجي ، ان

التوازن هو عاطل السجع . ولمرى لقد قرب من الحقيقة بقدر ما
 ابتمد عنها . اما اقترايه فمن حيث ان التوازن يتطلب الوزن ولا
 يستغني عن الموسيقى مثل السجع . واما ابتعاده فمن حيث قوله
 ان التوازن سجع عاطل . اذ الحقيقة ان التوازن سجع في الاصل
 لكنه خطأ خطؤه اعلا في سبيل الحرية ورمي به الفهود . ولست ادري متى
 يقال ممن تقدم قد تأخر أو ممن تحرر قد تدهور !

على كل لا يهمننا هذا بقدر ما يهمننا اظهار سمات التوازن
 في توازن الجمل . لا سيما وانه (اي توازن) ابرز عنصر منه
 الاسلوب لدرجة انه اخذ اسمه منه .

هذا التوازن يظهر في النقاط التالية . اولا توازن جمل
 بكامل كلماتها ، ثانيا موازنة الكلمات الاخيرة منها نقط . واخيرا موازنة
 الجمل من حيث هي جمل لا من حيث هي كلمات وجمل جيمها قصيرة
 والا فتطويل الثانية مرعاة للنظم الموسيقى . ولنشرح هذا نورد الأمثلة التالية :

أ . موازنة جميع الكلمات = قال الجاحظ في الجدل والهلل
 (والله لودبرها الاسكندر على دارا بن دارا . واستخرجها المهلب على
 سفيان بن الابرقد . وتحت على هرشة في مكيدة خازم ابن خزيفة . ولودبرها
 لقيم بن لقمان على لقمان بن عاد . ولوا^{ارها} قيس بن زهير على حصن
 بن حذيفة . ولو توجهت لكهان بني اسد على ملو دهامة قريين . لقد
 كان ذلك من تدبيرهم نادرا بديما ولكان في مكيدهم شاذا ريمما . ولينبه
 وانها لتتلع عن قيصير في كيد الزباء وعن خزيفة في مشاورة قصير . وما
 اخالها الا وتدق على ابن العاص . وتنض على ابن عزم . ويكل عنها اخو شقيق
 ويستسلم لها ابن سمية .) بهذا نكتفي من هذا الطال وكل ما نرجوه هو
 ملاحظة حرص الرجل على توازن كلمات جملة ومقالات في ذلك . حتي يخيل
 الى المرء انه كان يعضها الا ثم يسن جرسها ثانيا ثم يحاول ان يضع جميع

هذا انام مجموع ذاك ، ليتم له ما اراد ما يصعب على غيره . " يكمل له اخو تقيف وستملم له ابن سبيه " .

ب - موازنة الكلمات الاخيرة فقط = وهذا ^{نظما} التي نفسه به من قبل . فهو لا يوازن جميع الكلمات انما يوازن اواخر الجمل ليتم له التوازن الذي يريد من الناحية الفنية . وهذا يسجع الى حد محدود . لكنه لا يتطلب القافية بقدر ما يتطلب الجرس . او بكلمة اخرى لا يتطلب الشكل بقدر ما يتطلب الوزن . ومن امثله قوله في مطلع المداوة والحسد (اصحب الله مدتك البعاده والسلامة . وقرننا بالعافية والسرور ووصلها بالنعمة التي لا تزول ، والكرامة التي لا تحول) وكل ما نرجوه ان تقابل (السرور بلا تزول) وان تلاحظ التوازن الموسيقي دون التطبيق اللفظي وهو ما اراد الجاحظ . اما لو طابق اللفظ اللفظ ، لكان لدينا سجع لا توازن .

ج - موازنة الجمل عامة - ونعني بذلك جعل طولها متساويا لكي يتم الجرس ولا نتكسر الثانية اطول من الاولى لذات الملة . وذلك لتتكرر النفس من الاستمرار فلا ينقطع دفعة فيتمتع القارئ بتقطعه . واليك هذا الفل على تمام التوازن وطول الجملة الثانية من الجد والهزل (ابقاك الله - انت شاعر وانا راوية وانت طويل وانا قصير . وانت اصلح وانا ائزج . وانت صاحب برازين وانا صاحب حمير وانت ركين وانا عجول وانت تدبر لنفسك وتقيم اود غيرك وتنسج لجميع الناس وتبلغ بتدبيرك اقصى الرعية ، وانا اعجز عن تدبير نفسي عن تدبير امي ويدي) . انظر الى هذا الكلام ثم قل برك الا يخيل لك ان ابا عثمان كان قحاحا ونا في ذات الوقت . . .

هذا ما استطعنا ان نورده وصفا لاسلوب الجاحظ او لتوازنه بعد ان عرفناه على وجه التخصيص وهو كما ترى اسلوب غريب من السجع جدا . بل تطور منه وزيادة عليه . نشأ السجع ورنه القدماء ورضخوا لقيوده ما داموا في ظلم الجهل ، حتى اذا ما جاء الجاحظ واطلع واطلع ، جاء به هذا الاسلوب الخاص الذي لا هو سجع مفيد ولا امر ارسال ، متفكك بل وسط بينهما وخير الامور الوسط .

ثانيا مواصفات التوازن - هذه ليست من التوازن نفسه كالتي مرت ، بمعنى انها مكوناته التي بدون اجتماعها لا يكون هناك توازن ، او بكلمات اخرى يعتمد عليها التوازن في وجوده ، بل هي نواتج عنه و مرافقات له ، وجودها يعتمد على وجوده . فان وجد وجدت وان لم يوجد لم توجد . الا اننا

على المعمقول ان الصلة بينها وبين مكوناته شديدة لدرجة لا يمكنها أن تفضلها والا كما كن
أخفى جانباً من الصورة . أشهر هذه المرافقات ما يلي =

١ - قلة الحسنات على أنواعها = قلنا ان أسلوب التوازن ، أسلوبٌ قُعيدٌ به التحرر من
قيود السجع الصناعي والقرب جهد المستطاع من الواقع الطبيعي لا عطاء النفس حرية التعبير على سبيلها
لكن دون إسفاف . ولهذا قلّت هذه الحسنات سواء منها اللغوية أو المصنوية حتى نستطيع ان نقول لـ
انها انعدمت بالرة . فانت اينما قلبت النظر حينما نظرت في أدب ابي عثمان ، لن تجد منها
شيئاً . فلا خيال سواء من المعتقد أو البسيط ، ولا مجاز ولا كفاية ولا تورية ولا ... وكيف
يكون عنده ذلك وهو الذي يطالب الكاتب بأن لا ينقح حتى لا يكتب اللالالب للبل . بل كيف يكون وهو الذي
ما ترك فرصة يمكن اغتنامها الا واستعملها لرفع عفيرته بالويل والتبور على التكلف والتصنع والبعد
عن الواقع البسيط .

٢ - مضايقه القول للمقول = وهذه مرافقة ثانية بل وميزة دائماً يستنبطها القارئ
لأدب ابي عثمان . وهي انه في كل ما كتب كان رجاءه عليها . يتبسط حيث اقتضى التبسط .
ويجوز حيث اقتضى الإيجاز . يطيل عبارته ويستعمل المنطق في موافد العجاج . في حين
يقصرها ويعتمد على العاطفة في المواقف العاطفية . خذ عبارته في الحيوان طولة هائلة سلسلة لبنه لا
تورة فيها ولا عنفوان . ثم خذها في التزيين والتدوير او في الجد والهزل قسيرة سريعة لا ذعة .
خذها في الطالع مثلاً سجعاً كاجد ما يكون السج لانها هناك يحلو . ثم خذها في البحث
العلمي عن الذباب مثلاً إرسالاً في اجمل صورة . خذها عندما يصف الأعراب مثلاً بدوءاً خشنة جانية
ثم خذها عندما يكتب اميراً بمدحه مدنيّة رشيقة حلوة . حتى لم يستطع زكي مبارك الا ان يقول =
(لقد استطاع ابو عثمان ان يتخذ من النشر في كثير من الاحيان لغة للنزل) .

٣ - الوحى والإشارة = هذه المرافقة الثالثة لاسلوب الجاحظ . او هي ناتج إحدى
مكوناته تعني الإيجاز . لقد كان يجوز لكن ليس إيجاز العبي . بل إيجاز الفقير المتكمن من
اللغة الذي سخرها لما يريد فهو يعرف متى وكيف يستعملها . يعطي طرف الجبل وترك لخيال
قارئة او لعقل سامعه ان يكمل المقصود من عنده ويصل الى الهدف المطلوب بذاته . فيخرج صمدٌ
نفسه مساهماً في البلوغ . لذا يُحبّ أدب الجاحظ . وهذه لعمري ميزة قلّ من فطن اليها سوى أبو
عثمان .

والذي يهمنا هنا ان نقوله هو أن هذا لم يكن منه عفواً بل كان عن عمد وتعمد وتصويب

نقد اطال في كثير من المواطن في مدح الایجاز وقد مدح في كثير غير غيرها بضرورة اخراج الكلام
مخرج الوحي والاشارة .

الا اننا نحسب ان نقول ان الجاحظ بهذا الخصوص كان على طريقي تقيض . فهو
عندما كان يطنب ويتبسّط كان لا يدع للقارى شيئا يفكر فيه بل يعطيه كل شيء كما مر معنا .
وهو عندما كان يوجز ويفسد الى الایحاء كان يفعل عكس ذلك بالضبط . اما رائده في اين
يطنب واين يوجز فقد كان دائما - "مفتضى الحال" وقد احسن لغوى تَمَرَّقَ تلك الحال حيث
وجدت . وهذه هي العبقرية في الكتابة .

٤ - بروز شخصيته - لعل أهم عنصر أدخله الجاحظ في الكتابة ما لم يُعرَف
قَبْلَهُ هو عنصر الشخصية . نانت اينما طمح بك نظرك في ادبه تلمس شخصية بارزة
قيمة تكاد تلمن عن نفسها في بل فيها .

وقد اتخذ هذا سبيلين - الاول سبيل مباشر كقول "نحن نرى ماوانا
اقول" او امثال ذلك . والثاني غير مباشر يستنتج من رواه كلماته ومن ثانيا سطره ومن نوع
معانيه . ولست اراني بحاجة للتدليل على ما اقول لان هذا مشهور عنه ومعروف لدى كل مطلع على
ادبه . حتى ان ادبه أضحت صورة كاملة عنه . ولقد كتبنا ما كتبنا عن حياته . ونسبنا ما
نسبنا من اموره ورواها ما عرفنا من نجاته . لا ما كُتب عنه - لان ما كتب عنه قليل - انما من كُتب .
ومن كُتب على وجه الخصوص .

ثالثا مواطن التوازن - بالرغم من ان اكثر ما كتب كان بالتوازن الا ان هناك مواطن كان يبرز
فيها هذا الاسلوب اكثر من غيرها لضرورة الحاجة اليه . واليك اهمها =

١ - في رسائله - قد يكون هذا غريبا . لانه ان لم يوجد في رسائله تايين يوجد؟ .
لكن لا غرابة اذا قلنا انه يفكر في رسائله على العموم ونقل بل ويندر في كُتب الرئيسية على
الخصوص . ونستأن بين رسائله وكتبه . والسبب المعقول الذي نراه لهذه الظاهرة هو ان
اكثر الرسائل كتبت للتعبير عن فكرة صغيرة خاصة محدودة هي اكر الاحيان تَمَّتْ الى قلبه بصفة . فهو
في كل رسالته يكتب عن مسائل حيوية يشترك فيها اجتماعيا وشهه في قرارة نفسه شخصيا . في
حين انه في كُتب الرئيسية كان يكتب عن موضوعات قلما كان له بها دخل ذاتي . خذ في
الاولى مثلا يكتب الى احدهم يستعجز هذا . او خذ مثلا يدافع عن العرب ضد الضمير .

او خذ مثلا يرد اتهامات النصارى او خذ مثلا يعتذر لايين الزناك او ~~عقبه~~ يمدح ابن ابي داود وهما وليا نعمته . انتظر منه ان يكون بذات البرود الذي يكذب فيه عن الذبان او عن الخنافس او عن تعريف البلاغة . كل لا اظنك تنظر ولا كان هذا الواقع . ولهذا قلنا ان توازنه كثر في رسائله دون كفيه لان في الاولى نصيباً كبيراً من الذاتية العاطفية .

٢ - في المقدمات او ما قد يسمى العطال - سواء في رسائله او في كفيه

الكبيرة . وذلك لانها غالباً تكون نفثات روحية او تعبيرات ذاتية يوحها بين يديه الكاتب او الرسالة . هذا من جهة واما من اخرى فلأن الكاتب غالباً يهتم بمصالحه فيحي عليه باشي* من الصناعة . ولهذا ترى ان توازنه في هذه الماكن كثيراً ما انقلب الى سجع متفوله في مطلع البيان مثلاً (اللهم انا نعوذ بك من فتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل . ونعوذ بك من التكلف لما لا تحسن كما نعوذ بك من المجبىبا نحسن . ونعوذ بك من المزلزلة والهذر كما نعوذ بك من العمى والحصر . وقدما نعوذوا بالله من شرهما وتضرعوا الى الله في السلامة منهما) .

٣ - في المواقف العاطفية أينما كانت - وهذا لا يحتاج لطول شرح فرساله

الجسد ، والهزل وسالة التربع والتدور ، ودناؤه عن معتقداته الدينية ، واثباتاته لجسج النبوة وغيرها كثير شواهدناطفة على كل هذا .

٤ - في المواقف الوصفية - التي قد تخلو من العاطفية . وما اظن هذا

كان الا لهدوء بال الرجل انذاك ، ولجوده الى حسن التصور . واحسن مثال تأهذه وصفه للشبح القاص في مسجد البصرة الذي يضايقه الذبان وما كانت النتيجة . وتأسف لعدم ايراد الوصف لطوله فليراجعه من اراد التوسع في الحيوان .

هذه اهم مقومات الاسلوب واشهر مراتباته . لكن ترى هذا الاسلوب

يحد ذاته ، من مبتكرات الجاحظ ام انه سبق اليه . وان كان الثاني فما فضله فيه . ثم بعد ان مات الرجل . اى اثر ترك اسلوبه . هذا ما ستحاول القاء نور عليه في الصفحات التالية .

رابعا رواد التوازن - انه لمن الجميل ان نقرر في هذه العجالة ان الجاحظ لم يكن متفيع

التوازن وانما كان متيعاً فيه اثار كبيرين سبقوه . من افعال - احمد بن اسمعيل في اداب

الكاتب^١ وعبد الله بن طاهر في ادب الكاتب للصولي^٢ وسهل بن هرون في صبح الاعشى^٣

والحسن بن سهل بن الامالي^١ . وابن القزني زهر الحصرى . وابراهيم المولى^٢
 في صحيح الامشئ . ثم ابن الفلج في ادبه الكبير واخيرا عبدالحميد في
 رسالة الكتاب .

نقول هؤلاء الجماعة في هذه المقطوعات التي يمكن
 الرجوع اليها للاشارة فقط . سيفوا الجلحظ الى التوازن . وللتدليل
 على ما نقوله وانباته بالحجة نورد الشل للجلحظ التالي (قال سهل بن هرون
 لو ان رجلين خطبا او تحدنا او احتبا او وصفا وكان احدهما جيلا بهيا
 وكبائا نبهلا وذا حسب شريفا وكان الاخر قهلا قهلا وباز الهيئة ديمما
 وخامل الذكر مجهولا . ثم كان كلاهما في مقدار واحد من البلاء
 وفي درب واحد من الصواب لتصدع عنهما الجمع وعاقبهما بعض للقليل الديم
 على التيبيل الجسم وللبار الهيئة على ذى الهيئة) .

الا انه يحسن بنا ان نقول هؤلاء استعملوا التوازن
 في كثير من كتاباتهم ، لكنهم لم يتخذوه اسلوبا لا يحيدون عنه ، او
 اسلوبهم الغالب على كتاباتهم ، انما كانوا يطرقون في محطيات مناهل .

خامسا - نقل الجلحظ في التوازن - نحن هو اتخذه اياه اسلوبه
 الخاص الذي لا يحيد عنه ، وخصوصا في رسائله . ان كثيرا ما تجد
 رسائل برمتها قد كُتبت بالتوازن والأفضل على هذا قد سبقت . اما كتبه
 الكبيرة فقد خلت منه او بالاحرى قل فيها ، لانه كان جملة اكثر منه
 منفيها . ولفرق بين اسلوب الجمع العلمي وبين اسلوب الانشاء الادبي .

هذا هو نقل الجلحظ - اي انه عرفه ، ولحبه ، وعلم
 به واتخذ اسلوبه العام ، وهيكلة ونسبه وبلوره وجملة اسلوبا قائما بذاته . له
 مقومات وله مراتبه وله ميزاته واضح بالامكان مقارنته بخير من الاساليب .

سادسا - أثباتُ التوازن = لقد رأينا انه كان هناك رواد للتوازن

ولا نقول كُتابا سبقوا الجاحظ اليه والقوا في طريقه عنه شيئا من
النور . ثم جاء الجاحظ فاستمسك به وصقله حتى جعل منه اسلوبا
قائما بذاته . مات الجاحظ مخلفا اسلوبه . او طريقته في الكتابة التي عرفت بالتوازن .

فهم كثيرون بهذا الاسلوب وحاولوا تقليده نذكر منهم = محمد بن يحيى الصولي
٣٣٥ في ادب الكاتب^١ ولى الجرجاني ٣٩٢ في الوسيط^٢ وابو هلال العسكري ٣٩٥ في
المنهاج^٣ ثم الثعالبي ٤٢٥ في اليتيم^٤ ثم ابن العميد في القرن الخامس في اكرر رسائله خصوصا
اليتيم^٥ . هذا ولن ننسى ابا حيان التوحيدي في القرن السادس خصوصا في مقالياته^٦ .

وللتمثيل فقط نورد القسم التالي من المقايسة الزابغة = (سمعت ابن مقداد يقول
لا بد من وضع الناموس الالهي الذي يتوجه به افاضة الخير ، وترتيب السياسة ، وما يورث جوكو
سكن البال ، وحسم مواد الشر ، وموطد دعائم السن ، ويبحث على تشريف النفوس ، وتزئين
الاخلاق ، وقرب الطريق الى السعادة المطلوبة ، ويواصل اسباب الحكمة ، ويشوق الارواح الى طلب
الحق واينثار القعد ٧٠٠) وكلها على هذا النسق جعل قصيرة ونفس طويل ، وسهولة
في اللفظ واطناب في المعنى ...

سابعا نقد التوازن - كثيره من الاساليب ، تَعَرَّضَ التوازن لكثير من عبارات المدح والثناء
من راق في لغتينهم وكذلك لكثير من عبارات الذم والبذاء^١ ممن لم يروا فيه ما ارادوا .

قال ابن الانبيري في مثله (ان العدل في الموازنة بين الفواصل هو اخص ميزان هذا
الاسلوب ولى هذا فهو اخو السجع لكن ليس السجع بذاته^٨) وقال السمودي في مروج
(لقد نظم الجاحظ كيبه احسن نظم وصفها احسن وصف وكساها من كاسه اجزل لفظ)
مشير^٩ الى جمال اسلوبه^٩)

(١) ص ٢٥ (٢) ٢٦/٢٨ و ١٣٩ / ١٤٠ / ٣٣٩ و ٣٤٠ (٣) ٤١/٢٨١ / ٢٨٩ / ٣٠٢

(٤) ١/٢٢٢ و ٢/٢١٦ و ٣/١٤٦ و ٤/١٦٧ (٥) ٣/٢ (٦) ١٠ و ١٧ و ١٠٠ و ١٤٢

(٧) ص ١٤٢ (٨) ١٦٦ (٩) ٨/٣٤

لكن ألقِ للرمانى في صبح ~~البحر~~ الاعشى ان يقف موقف الايجاب من التوازن . فهو عندما حاول تسبته لم يزد على ان قال (هو السجع العاطل) وكفى بهذا دليلا على حقيقة نظره اليه . ومنزل الرمانى كان الباقلاى . فهو عندما لم يستطع ان يجد فيه المعامز التي يمكنه بها صرحه ترك الرمانى يتعمق في التسمية وراح هو يقول في الاعجاز . (واما كلامه في اننا ذلك نطوّر قليلة والناظر يسيره . فاذا احجى الى تطويل الكلام - خاليا من شيء يستعين به ليخلطه بقوليه من قول غيره . كان كلاما كلام غيره . فان اردت ان تحفى هذا فانظر في كتبه في نظم الليران وفي الرد على النصارى وفي خبر الواحد وغير ذلك ما يجرى هذا المجرى . هل تجد في ذلك كبحا كله ورقة تشتت على الرقظم بديع او كلام ملح . على ان متأخري الكتاب قد ناووه في طريقته وجاذبوه على منهجه فمنهم من ساواه حين ساماه . ومنهم من ابر عليه حين ابراه) . الا انه من الجيل ان نضيف ان الاستاذ القدسي في " تطور الاساليب " حين نقل هذا من الباقلاى ما كاد يضح النقطة الاخيرة حتى اردف معلقا = (وفي هذا الكلام مع ميل صاحبه الى تحقير شأن الاسلوب الجاحظي - تعظيما لنظم القرآن - نرى ما اشتهر به هذا الاسلوب . ما جعل له مقاما خاصا بين النكبة . وهذا الباقلاى نفسه في مقام الآخر من كتابه يذكر من برع في صنعة الرما ثل وتقدم في شأوها حتى جمع فيها بين طرق المتقدمين وطريقة المتأخرين حتى خلص لنفسه طريقة وانشأ لنفسه منهاجا (نسلك تارة طريقة الجاحظ وتارة طريقة السجع وتارة طريقة الاصل) . فهو يعترف ان الجاحظ امام طريقة ليست هي طريقة المتقدمين ولا طريقة المتأخرين ٣ .

هذه لمحة في موقف انصاره، ولمعة في موقف اعدائه كما نبذه من رأى اديب متأخر في اسلوب الجاحظ . اما نحن فنرى ان التوازن يجد ذاته اسلوب موهبي جميل لا يحتاج للجهد الذى يبذله كاتب السجع ولا ياتي بالسهولة التي يكتب بها كاتب التمرسل . انما هو وسط بين المنزلتين . وطى هذا فهو خفيف على الكاتب جميل لدى القارئ . اما توازن الجاحظ خاصة فقد كان الى الارسال الطبيعي اقرب منه الى التجميع الصناعي . وهذا ما يقره خطوة الى القلوب .

وفضل الجاحظ فيه واضح من حيث انه الكاتب الذى سهر عليه حتى جمع اطرائه وصهرها
وقولها واخرجها للناس اسلوبا قائما بذاته

ثانيا - الجاحظ والاساليب الاخرى

قد يخيل للقارئ ان الجاحظ استأنس بالتوازن فجعله ديدنه وتوسيع له واغرض
عينه عن كل ما عداه . لكن الحقيقة غير هذا . فالجاحظ كان اوسع من ان يضيق صدره
بـ الاساليب الأخرى . وقلمه كان اسلس من ان يتقيد بواحد . ولهذا كان له فيها شطحات
ومن طرفها سرحات وله منها مواقف تحب ان لا نمر عليها بسكوت .

اولا الجاحظ والسجع - عرف الجاهليون السجع . واشتهر به كهلانهم . حتى
ان اكثر ما وصلنا من نثرهم كان بهذا الاسلوب . لكنهم بمجسي القرآن ودعوتهم للحرية من جميع
نواحيها . مال الناس للتعبير عن اراهم بطلاقة واخذوا يكسرون القيود الصناعية واحدا بعد
الاخر . حتى انهارت دولة السجع . لكن هذا الانهيار جاء بالتدرج وعلى مر الاجسام .
وفيما يلي نذكر نبذاً من تلك الثورة على السجع محاولين ان نلقي نورا على تدرجها حتى
انتهت بالتوازن الذى هو كما قلنا درجة واحدة اعلا من السجع في سلم حرية التعبير اللغوي

قال الرسول لمن اجابه سجعاً (أسجعا كسجع الكهان ؟) . وهذا إن عني
شيئاً فليس الا مؤقناً سلبياً من السجع . ثم جمع الحديث فكان السجع فيه النادر .
ثم جمعت خطب الصحابة وقوالهم فكان السجع فيها بقليل اليلع من الطعام . ثم دُونَ
الكثير من بعد ذلك فكان نصيب السجع ثانياً . وما يشير الى ان هذا الاتجاه كان
مقصوداً - ما نقل الجاحظ عن معاوية في رسالة " مدح التجارة " حيث قال (حتى ان
معاوية مع تخلقه عن مراتب اهل السابقة . املى كتابا الى رجل فقال فيه = لهو اهلون علي
من ذرة او من كلب من كلاب الحررة . ثم قال = أُمعُ " من كلاب الحررة " واكتب من الكلاب .
كأنه كره اتصال الكلام والمزاوجة وما اشبه السجع) .

أما سبب هذه الثورة من السجع فنرجع في اساسها الى سببين كما استطعنا

ان نعيم - اولاهما نفي . وذلك لَكُرُو الكتابِ التَّكْفَرُ . وما يدل عليه قول الجاحظ (ونحن
 لن نسجع في كتابنا هذا ^١) . وثانيهما - ديني . وذلك لان السجع كان لغة الكهانة .
 وما ان السلمون حاولوا ان يحاربوا كل ما يمت للماضي "الأسود" بطفة ، لذا هاجموا حتى
 السجع . وشير الى هذا قول الجاحظ ايضا ، وما كره العرب بالسجع اتخاذ الكهان
 اياه لغة ^٢) . بقيت الحار على هذا النوال اى بُعْدًا عن السجع حتى جاء القرآن الثاني
 والثالث والنصف الاول من الرابع التي دالت في اثنائها دولة السجع وان لم يستغن القم
 عنه بالرة . قال الخفاجي في سر الفحاحة ما ملخصه - ان السجع في القرنين الثاني والثالث
 قل استعماله وان يكن ندر من استغنى عنه بالرة ^٣ .

هذا هو الموقف العام من السجع . لكن ترى ماذا كان موقف الجاحظ . -
 قال أبو عثمان [ان السجع جميل وقد احبته العرب لسهولة لفظه . الا انه لسوء الحظ كان
 الاسلوب الذى انتجته الكهان . والكهان كما لا يخفى اصبحوا مكروهين . وبما لذلك كره الناس
 قولهم ^٤ . الا انني والحق يقال ارى ان السجع لا بأس به اذا لم يخرج عن الحد المعقول
 بحيث يصير الى الصنعة والتكلف . اذا كل تصنع وكل تكلف عندى ^{مفوت} ضغوت ^{مفوت} مهما كان نوعه ^٥] .

لهذا نجد الجاحظ في كل ما خَلَّه من تراث لم يقف موقفا سلبيا صرنا
 من السجع ولا موقفا ايجابيا كذلك . انما كان بين بين . ففي الكتاب الذى تراه فيه
 يهاجم السجع ويغتر منه - تراه اولا ينقل مسجوعات كثيرة ويختصر للسجع ابوابا
 كاملة ^٦ . ثم تراه هو نفسه يقول اقوالا لاسرية ^٧ واليك بعضاً من سجمه اولا لانبث صحة ما
 نقول - وثانيا لايراد قطعة نتعرف بها على اسلوبه المسجوع كما تعرنا على اسلوبه العوزون .
 قال يصف القرآن (حجة على الطمعد وتبيان للموحد . قائم بالحلل المنزل والحرام
 المنصل . وتاصل بين الحق والباطل وحاكم اليه يرجع ^٨ العالم والجاهل وامام تقام
 به الفروض والنوازل . وسراج لا يخسب ^٩ ضيائه وصباح لا يخزن ذكاؤه .
 وشهاب لا يطفأ نوره وحسر لا يدرك غوره ومعدن لا تنقطع كبره . وسعقل يمنع من

(١) ج ٢/٣ (٢) ب ١٥٠/١ (٣) ٩٤ - ٩٢ (٤) ب ١٥٠/١

(٥) ب ٢١/٢ (٦) ب ١١٢/١ - ١١٨

الهلكة والوبار وموسد يدل على طريق الجنة والنار . وزاجر يصد عن الحارم وجير
يم التعاكس^١ .

ومن هذه القطعة نرى ان الجاحظ كان بإمكانه ان يكتب سجعاً وسجعاً من
النوع الرفيع . لكنه لم يكتب كثيراً وانما كان ذلك منه بشكل ثقلات لا ضابط لها وردت
متناثرة هنا وهناك هذه أطول واحدة منها . اما البواقي فنثقت قصيرة في جملتين او
ثلاث على الأقل . مثل قوله في الحيوان (والحمام - ابرد ما يكون الاسان واقتره . واقطع
ما يكون واقصره^٢) ثم يقول تاركاً السجع (هذا وفي الانسان ضروب من القوى احدها
فضل الشهوة الخ)

ثانياً الجاحظ والترسل - لم يهاجم الجاحظ الترسل كما هاجم السجع . ولا مدحه
كما مدحه . انما سكنت عن كل لا او نعم بخصوصه . ولن يظهر اى منقب عن مثل
ذلك في كل ما بقي لنا من ادبه .

لكنه يستنتج من مجمل اسلوبه الانشائي الذي بين ايدينا ان الرجل كان يعجل
اليه بل كان يعدده اقرب اسلوب لروحته الحرة المطلقة للثبوت بعد التوازن . لهذا نراه
في كثير من المواضع يستعمله ويستعمله بكثرة حتى لقد ياقظ على ثلاثة ارباع رسالة به .

واظهر ما يكون هذا الاستعمال للسجع في المواضع التي تحتاج لهدوء
بال وحجاج وناقشه . او وصف علي . اى في المواطن التي يصعب فيها استعمال
السجع والتوازن . واليك بعد هذا مثله على ترسله . قال في الرد على النصارى (فان
سألونا عن انفسهم فقالوا - ما لنا لا نعرف ذلك ولم يبلغنا عن احد بقة . اجبتناهم
بعد اسقاط نكيرهم وتشنيعهم وتزوير شهودهم . جوابنا انهم انما قبلوا دينهم عن
اربعة انفس = اثنان منهم من الحواريين بيقينهم يوحنا ومثي . واثنان من المستجيبة
وهما مارقوش ولوقش . وهؤلاء الاربعة لا يؤمن عليهم الغلط ولا النسيان ولا تعمد
الكذب ولا التواطؤ على الامور والاصطلاح على اقتسام الرئاسة وتسليم كل واحد
منهم لصاحبه حصته التي شرطها له . فان قالوا فانهم كانوا افضل من ان يعتمدوا
كذباً واحفظ من ان يمسوا شيئاً واعلم من ان يخلطوا في بين الله تعالى او يضيعوا

يضيعوا عبدا . قلنا ان اختلاف رواياتهم في الاناجيل وتضاد معاني كيهيم في نفس المسيح مع اختلاف شرائعهم دليل على صحة قولنا ليسهم وغفلتكم عنهم . وما ينكر من مثل لوقس ان يقول باطلا وليس من الحوارين . وقد كان يسوع ديا قبل ذلك بايام يسيرة . ومن هو عندكم من الحوارين خير من لوقس عند المسيح في ظاهر الحكم بالطهارة والطبائع الشريفة وبراءة المساحة .

هذا نط من ترسله . الا ان ^{الخط} ~~الخط~~ ^{الخط} فيه يجد ان الباحث في الحقيقة لم يكن مترسلا بكل معنى الكلمة بل كان يخلط الترسل بالتوازن خصوصا في هذه المواقف . وعذره في هذا واضح . فله من موقف الحجاج خير دافع على الترسل . وله من موقف العاطفة خير دافع على الموازنة . وليس له في موقف يجمع بينهما الا ان ان يجمع بينهما .

والان اليك موقفا لعصيرا من المواقف التي كان فيها مترسلا بكل معنى الكلمة . قال في الحيوان يتكلم عن الدجاج = (حدثني اعرابي كان ينزل البصرة . قال قدم اعرابي من البادية فانزلته . وكان عندي دجاج كبير ولي ^{امراة} ~~لي~~ ^{امراة} ~~لي~~ وابنتان منها . فقلت لاعرابي بادري واشوي لنا دجاجة وقد فيها البنا نتخذاها . فلما حضر الغداء جلسنا جميعا انا وامراتي وابنتاه وابنتاي والاعرابي . قال فدفعنا اليه الدجاجة فقلنا له اقسما بيننا . تريد ان نضحك منه . فقال لا احسن الفسفة ، فان رضيتم بقسمتي قسمتها بينكم . قلنا فانا نرضى . فاخذ راس الدجاجة فقطعها وتاولنيها وقال الراسر للراس . وقطع الجناحين وقال الجناحان للابنين . ثم قطي الساقين فقال الساقان للابنتين . ثم قطع الزنكي وقال المجز للمجوز . وقال الزور للزائر . قال فاخذ الدجاجة بأسرها وسخر بنا .) هذا مثل من ترسله اوردها على قصره ليكون شاهدا على ما ذهبنا اليه .

ثالثا الجلعظ والرمزية = قد يبدو العنوان غريبا . ولا نهل كان هناك رمزية وهل مررها الباحث ثم ماذا قال عنها اذا كان هناك شيء منها . الحق يقال ان الرمزية قديمة في الادب العربي . وقد مررها حتى

الجاهليون واستعملوها في شعرهم . لكن لا على انها " رمزية " ولا على انها مذهب
 في الاسلوب . وانما على انها نوع من الكلام الموجز المخطوم . وكما كان الجاهليون
 مفرمين بالقول المخطوم والكلام الموجز .

نقول هكذا مررها الجاهليون . ثم جاء الاسلاميون وتلاههم المباسيون
 فتوسعت دائرة الادب ^{باعتباره} الى ^{وتوسعت} ~~الاجانب~~ القوم ^{باعتباره} بالاجانب ^{وتوسعت} ~~انكارهم~~ ^{انكارهم} ~~جيت~~ ^{جيت} ~~لذلك~~ ^{لذلك} واخذوا
 ينظرون لكل ما يبيح ايديهم نظرة اوسع في انائها واهل في ابحاثها مما تعودوا .
 " نالكلام المخطوم " و " القول الموجز " و " خير الكلام ما قل ودل " - كل هذه ^{لذلك}
 تعابير ^{لذلك} ~~بهيمة~~ لا بد وان تعني شيئا اعمق من هذا الظاهر . وكان اول من
 عرف هذا الشيء الصيق هو الجاحظ . ان نوه به نظريا في البيان والتبيين
 واستعمله عمليا في كثير من المواطن نذكر من بينها رسالته في " الهزل والجد " .

فالرمز هو المصدر المادي من رمز يرمز . الا ان عصر الصنعة
 كما يظهر - ~~الرمز~~ ^{الرمز} ان يعترف به ما لم " يتصنع " . ولهذا اضيف اليه يا
 وتاء ودخل في حوزة العصر الحديث نصار " رمزية " . هذا هو الرمز . اما
 الجاحظ فهو ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ زعيم ادباء العصر العباسي ورئيس القصة
 الجاحظية من المعتزلة وصاحب اللقا التعانيف الكثيرة المشهورة . واما العلاقة
 بينهما فملاقة كاتب باسلوب عمره وتكلم عنه وكتب فيه وله فيه آراء . تعدد يعق
 من اجل الآراء .

والان ما هي رمزية الجاحظ خاصة . وبماذا تختلف عن او تتألف مع ما
 يدعوا اليه بعض الحديثين ؟ - رمزية الجاحظ رمزية مؤدوجة هدفها احكام العلاقة بين
 اللفظ والمعنى . يقول الجاحظ ما معناه ان السكنة تبقى سكيننا وتبقى لها فضيلة السكين
 ما دامت تقطع . اما اذا قلت من ذلك فقد زالت عنها " السكينية " ويجب ان نعاملها
 على اساس آخر . وشل السكين اللفظ . فقيمة اللفظ بانه واسطة او اداة للتعبير عن المعنى
 الذي يجول في صدر الكاتب . فان غير فهو لفظ والا فقد زالت عنه " اللفظية " ويجب
 ان نعامله على اساس آخر .

وعند شرح هذه الفكرة العامة او المؤلف الخاص من اللفظ يقول = على

اللفظ ان يكون على قد المعنى لا اكر ولا اقل لانه اذا زاد كان من قليل التغليب
المكروه والتكرار الضقوت . وان نقص كان من قليل المعنى الذى قد يؤدى الى
الالتباس في افعال المعنى . الا انه يستحسن من الكاتب القدير ان يقلل من الفاظه
جهد استطلعه ويكثر من معانيه بشل تلك الاستطاعة . بمعنى عليه ان يحمل اللفظ
معاني اكر مما يحمله ايها // بسطة الكتاب بشرط مراعاة الوضوح . وفي هذا (اى في)
تقليل اللفظ وتكثير المعنى مع مراعاة الوضوح) يتميز كاتب عن كاتب وتميز قدرته على امتلاك
ناحية اللغة . وليس التثقل على صحة هذا بمعوز . لانت اذا اعطيت فكرة بسيطة
لطالب ابتدائي ولاخر جامعي وطلبت منهما ان يصوغاها في اقل عدد ممكن من الكلمات
جاءت كلمات الابتدائي ثلاثة اضعاف كلمات الجامعي . وهذا ان دل على شيء . فاننا على ان
الابتدائي لم يعرف كيفية اى الكلمات اذل، لولح . يخبط ويخلط ظاناً انه من " المتفلسفين " في
الموضوع .

ومن هذا نرى ان رمزية الجاحظ تقوم على ثلاثة اسس = الاول اعتبار
اللفظ واسطة لاجراء المعنى ووضه في ذلك . الثاني التركيز على قاعدة " ما قلّ ودلّ " اى استعمال اقل عدد ممكن من الكلمات لاعطاء اكبر عدد ممكن من المعاني . الثالث الاهتمام
بالوضوح وجعله مقايماً لكفاءة الكاتب ومقدرته على الكتابة . او بكلمات اخرى = رمزية
الجاحظ تلخص في اعطاء القارئ طرف الجبل وتركه يصل الغاية المنشودة بنفسه بشرط ان
يكفل الكاتب له ذلك بحسن التوجيه عند اعطاء طرف الجبل . اذ عندئذ يشمر
القارئ انه ساهم في الوصول لمعنىه ويحب الكاتب لانه ساعده على ذلك . وهكذا
يستفيد القارئ وتبقى العلاقة حسنة بينه وبين الكاتب . وهذه لعمري غاية الكتابة .

والان ما الفرق بين الرمز القديم والرمزية الحديثة ؟ بغض النظر
عن التذكير والتأنيثه وبغض النظر ايضا عما يعنيه هذا التحوير - نقول ان القديم
يعتبر اللفظ واسطة لغاية هـ في حين يهتم به المحدثون اهتماماً يولعه الى مقام
الغاية هـ حتى ان بعضهم وصف الرمزية الحديثة بانها " اسلوب الالوان المناعية " .
هذا اول فرق . اما الثاني فهو انه في حين يهتم القديم بالابحاز وينوء بكلماته
بقيسته كثيراً . لا يميزه المحدثون مثل هذا بل يقولون " قل وقل حتى تفني غليلك " .
وهذا لعمري ان دل على شيء . فاننا على ما تشير اليه قعة الطالبين الجامعي والابتدائي التي
مر ذكرها . اما الفرق الثالث فهو الوضوح . ففي حين يهتم القديم بالوضوح ويجعله

الفضيلة التي تكسب اللفظة صفة اللطيفة ، ينكره المحدثون ويقولون لا = فالمسألة ليست مسألة حسابية ($30 = 6 \times 5$) انما هي مسألة شعور . والشعور غالبا غير واضح . ونحن لا نريد ان " نصنع " = ولو درى القوم ان ما يمدعون اليه "غزبية" لا "رغزية" ، لكثروا عما هم بصدد ، ولعادوا الى ابي عثمان يستثنتونه ~~بما يحق~~ في حقيقة الامر .

وأخيراً اليك مشلين = الاول من الجاحظ القديم يرمز الى شجار نسب بينه وبين ابن الزيات واتخذ سبيل الرمز اليه الضعف واختلاف ورقه . والثاني من ~~سبيل~~ ^{سبيل} ~~سبيل~~ ^{سبيل} المحدث يرمز الى شيء لسوء الحظ لما اقره . فملكه تكون يا قاري اسعد مني حظا فتكشفه .

قال الجاحظ = (اني لامجب من ترك دلائر عمله متفرقة مبثوثة . وكرايس درسه غير مجموعة ولا منظومة . كيف يمرضها للخرم . وكيف لا يتمها من التفريق . وعلى الدتر - اذا انقطعت حزامته وانحل شداده وتخرمت رسله ولم يكن دونه وقاية ولا جنة - تفرق ورقه ، واذا تفرق ورقه عسر جمعه واشتد نظمه وامتنع تاليه وربما ضاع اكثره . والدفتان اجمع وضع الجلود لها اصون والعزم لها اصلح ...) اقرا هذا القليل او ارجع الى مطوله في رسالة الهزل والجبد التي نشرها بول كراوس ، ثم قل لي اي رمز اجمل من هذا . مخضوب عليه بكلمة غاضبا ويستعطفه فيقول ... اذا تفرق ورقه عسر ~~بعض~~ نظمه وامتنع تاليه و ... ربما ضاع اكثره .

وقال ~~بعض~~ ^{بعض} = في تفسيره الى زاره :

هبتت سفنني الزيار	لو كنت نائمة الجيب
المرسى بها العبد	ماروحة اللؤلؤ الجيب
رسمه معجزة الزيار	ظل على وهج النسيم
أرضي على الزم انك	حفظت قلبها الحزيب
صوت شبح حلقه الكاء	رازا البوصة المحصين
معنى راعته البها	غيبته في العجايب الوين
دلفنة هدرني بجا	درايفوت الساطعين
وهب بعبه الطهار	دخوات وسواس رزين

ثالثا - فلسفة الجاحظ في الأسلوب

" الفلسفة هي البحث في اصول الاشياء التي بدونها لا تكون " . وقد بحث الجاحظ في اصول الأسلوب التي بدونها لا يكون . وعلى هذا نحصل ان نعنون الفقرة بهذا العنوان ما دنا نحاول ان نوضح موقفه وارهه بهذا الخصوص .

ملخص ما قال = ان الأسلوب نتاج عاملين مهمين اولهما الكاتب او الرجل وثانيهما المكتوب او الموضوع . او بكلمات اخرى يقوم الأسلوب على دعامتين الاولى ذاتية Subjective . والثانية موضوعية Objective وبالاجتماع هاتين الدعامتين وعملهما متأزمتين يكون الأسلوب اسلوبا ويكتسب صفات خاصة تميزه عن غيره . ولتوضيح هذا نورد ما يلي =

اولا - الأسلوب هو الرجل = يرى الجاحظ ان الكاتب ~~ويجلب~~ وعاء وان كل ما يخرج منه لا بد وان يكون تصويرا جزئيا له . وعلى هذا يمكنك ان تأخذ الرجل لتعرف الصورة . كما يمكنك ان تأخذ الصورة لتعرف الرجل لانهما كما يمتدقان متقابلان الى حد كبير . الا ان تانلهما يتم وشبههما يقرب عندما يكون الكاتب مؤقفاً وناجحا في كتابته اذ عند ذلك يصوغ شخصيته في اسلوبه .

وقد دلل الجاحظ على هذا الاتباه اولا في الموضوع عن طريقين =

اولا عن طريق نظرية بلزاي بعض الاقوال التي يستنتج منها هذا وثانيا عن طريق عملية بكتابة حسب الرأي . فمن النظرية قوله في البيان (ما قرأت كتابه رجل قط الا عرفت عقله)^(١) . وقوله = (الأدب هو عقل غيرك تضيئه الى عقلك)^(٢) . ونقله (ثلاثة اشياء تدل على عقل اربابها = الكتاب على عقل صاحبه ، والرسول على عقل مرسله والهدية على مقدار مهديها)^(٣) . وقوله ايضا في البيان (كلام الناس في طبقات كما ان الناس انفسهم في طبقات)^(٤) . وقوله في مكان آخر = (الكلام حسب التكلم) فان كان بدويا وجب ان يكون غشنا جزلا وان كان حضريا وجبان يكون لطيفا سهلا وان عكس ذلك هو المستنقع

اما استعماله اللغة لحل المسائل الفقهية فاليك مثالا عليه . في رسالة " الرد على النصارى " حيث حاول ان يفسر مسألة غلّة ابراهيم لله قال (والخليل والمختل سواهما في كلام العرب . والدليل على ان يكون الخليل من الغلّة قول زهير بن ابي سلى وهو يمدح هربا =

وان اتاه خليل يوم مسألة يقول لا عاجز مالي ولا حرم وقال الاخر =

واني الى ان تسعفاني بحاجة الى آل ليلي مرة لخليل وهو لا يمدحه بان خليله وصديقه يكونون فقيرا سائلا ياتي يوم المسألة ويبسط يده للصدقة والعطية . وانما الخليل في هذا الموضع من الغلّة والاختلال ، لا من الغلّة والخلال . وكان ابراهيم عليه السلام حين صار في الله مختلا ، اضاف الله الى نفسه وابانه بذلك عن سائر الانبياء . لسماء خليل الله . فتأمل .

(٢) سمة اطلاعه : كل ما مضى يرينا اهتمام الرجل باللغة . وكانت النتيجة اولا ان اتسعت آفانه فيها . ثانيا ان تنوع معلوماته عنها . واخيرا ان كانت آراؤه استعمالاتها . واليك نبذة عن كل من هاته .

اما الاتساع فيدل عليه اولا كثرة غريبه ، ثم كثرة اجنيبه ، ثم كثرة عاميه ، ثم قدرته على التفاسير العديدة واخيرا خوضه في مواضيع صعبة من هذا القبيل ولولا اننا المعنا الى كل هاته ومثلنا عليها لتوسعنا فيها بعض الشيء .

اما التنوع فيدل عليه اولا تأثر مفرداته بمفردات الفلاسفة والتكلمين . مما نكاد نصادفه في كل مواقفه التي تعبر فيها لفشل هذه المواضيع . وهذا لم يكن منه عفوًا بل تعمد مجانسة للبيئة . واليك قوله في هذا الصدر (ولكل صناعة كمالها انما قد حصلت لاهلها بعد امتحان سواها . فقيج استعمال الكلام في المواقف العادية . كما انه قبيح استعمال كلام الاعراب في المواقف الكلامية . اذ لكل مقام مقال) . والمفردات التي استعملها من هذا النوع كثيرة نذكر منها = الجوهر والعرض والحقيقة والتخييل واللبسية والابسية ، والاخلاط ، والجزء الذي لا يتجزأ ، والكيفية وغيرها .

اما الثاني الذي يدل على تنوع مفرداته فهو معرفته الدقيقة بسروح اللغة . حتى

استخرج منها كلمات علمية كثيرة ، وحتى تمكن من ان يتكلم عن الحيوان وطبائعه وكل ما يتعلق به - بأسلوب سلس ولغة سهلة تظن ان القوم كتبوا فيها قبله كثيرا . واشهر هذه المفردات في باب التسمية ما لا ضرورة لتعدادها . انما نحبان نشير الى انه في كثير من الاحيان كان يحاول خلق كلمات جديدة اذا لم يجد ما يسمد الحاجة . فقد قال السندوبي انه اول من استعمل كلمة " لبلأ " لما في داخل العار . وانه " اى السندوبي " قد نشر عنها في معاجم اللغة فلم يقع لها على اثر . مما يدل على ان الجاحظ خلقها من عندياته^٢ .

هذا من حيث سعة اطلاعه ومن حيث تنوع معلوماته في اللغة . اما من حيث آراؤه فله فيها صفحة جميلة نحسب ان ننسخ منها ولو اسطرا - فالجاحظ ، كما عرف من سعة اطلاعه ورحابة صدره - لا يرى بأسا من استعمال الدخيل اما للتطبع والنظر او لضرورة الحاجة اليه . ولهذا وردت كلمات فارسية كثيرة في مفرداته . لكنه اذا وجد ما يقوم مقامها من العربية فانه كان يحجم عنها ويستبدلها . هذه واحدة ، اما الثانية فهي ان اللغة واسطة لظهور المعنى ونفيلتها في انها كذلك . فاذا خرجت عن هذه النفيلة نعلينا ان نعاملها على اساس آخر . ومن كل هذا يستنتج ان اللفظ قيمته في اداة المعنى لا في اى شيء آخر . ولهذا اتسعت آفاق قاموسه . واما الثالثة فهي ان النحو والاعراب وما اليهما لم يوجد الا لمساعدة اللفظ على الوصول الى هذه الغاية . فقيمتها في انهما كذلك ، لا في حد ذاتهما . ولهذا يتساهل مع الكاتب اذا لم يعرب نواذر العبارة ويتسامح مع الكواعد اذا لم يلاحظن الاعراب . كما يتساهل مع الآخرين الذين لم يبلغوا من القوة في الاعراب بحيث يستطيعون ان يعربوا كل ما يقولون ، لدرجة انه يستغفر لهم تسكين اواخر الكلمات ما دام الغرض الانتهام^٣ . وعلى هذا نقد سبق الجاحظ للكثيرين من المحندين الذين يدعون لحركة التسكين . الا انه يقول ان كل هذه ترخيصات للضرورة والا فالنحو قوة للضعيف وهجنة للشريف^٤ .

تبقى نقطة اخيرة بخصوص لغته ، نحسب ان نورد غامضا . وهي = ترى هل كان يعرف الفارسية . قال احمد امين والغالب انه كان يعرفها ! وقال كرد علي ترجع انه كان قد ألم بها^٥ . والواقع الذي بين ايدينا يؤيد كليهما . لكنه يقال من الناحية الاخرى

(١) ج ٤ / ١٥ (٢) سندوبي ٨٠ (٣) ب ١ / ١١ (٤) ب ٢ / ١٦٢

(٥) ب ٢ / ١٦١ (٦) ب ٢ / ١٥٩ (٧) ضحى الاسلام ١ / ٣٨٦ (٨) امراء البيان ٣١٧

الفصل السادس - في علم الجاحظ -

-x-x-x-

بالرغم من ان الجاحظ لم يعرف الا كاديب ، فان له في كتاب الحيوان الذى خلقه في سبعة اجزاء ، وفي غيره من الرسائل المختلفة ، نظرات ، واشارات على غاية من الاهمية . خصوصا اذا ذكرنا اهميتها اليوم وادعاء القوم انهم مكتشفوها . وهذه القواعد قد توزعت على عدة علوم = اهمها علم الحياة ، علم النفس ، علم الاجتماع ، علم الاخلاق واخيرا علم التاريخ . نالى نظرة في تلك النظرات العلمية التي مرت او بالاحرى القواعد العلمية التي اوردها في كل من هاته نتوجه .

x x x x
x x x
x x

اولا - علم الحياة - BIOLOGY

x ————— x

وهذا بالطبع اهمها كلها لان كتابا كاملا في سبعة اجزاء الق نيه خاصة . اما اهم القواعد التي كان يلح اليها ويورد الامثلة عليها فهي =

(١) - - - - - النشوء والارتقاء - - - - - EVOLUTION

صعدا في سلم النشوء والارتقاء . قال في الحيوان = بعد ان تكلم كثيرا عن الكلب (...) وقد عرفت تشبه باطن الكلب بباطن الانسان وتشبه طاهر القرد بظاهر الانسان . ترى ذلك في طوله وتغيض عينيه وفي ضحكه وفي حكايته وفي كيف واصابعه وفي رنمها ووضعها وكيف يتناول بها وكيف يجلس اللقمة الى فيه وكيف يكسر الجوز ويستخرج لبه وكيف ... وكيف ا) . ومن هذا نرى ان الرجل يقابل الانسان بالقرد لا من حيث التركيب الداخلي فقط بل ومن حيث الخارجي ايضا ، ومن حيث الطباع والمعادات كذلك .

وهو لم يكتف بايراد الفكرة بل راج يشرح ومتعلقاتها سلبا وايجابا ويورد اقوال غيه بخصوصها فتكلم عن مسالة السلخ والتطور الاجباي ومسالة المسخ او التطور السلي . اما عن " السلخ " او تكتف الحيوانات وترقيتها وتطورها من حالة الى اخرى فقد قال = (زعم ثامة عن يحيى بن برمك ان البرغوث ينسلخ فيصير بعوضة . وان البعوضة التي من سلخ دمعوص، ربما تصلحت برغونا . والنمل تحدث لها اجنحت ويتغير خلقها وذلك هو سلخها ^(١) . اما عن " المسخ " فقد قال موردا وجهتي نظر بخصوصها (اما القول في المسخ فان الناس اختلفوا في ذلك . فاما الدهرية فهم في ذلك صنفان = منهم من جحد المسخ واقتر بالخسف والريح والطوفان ... ومنهم من قال لا تنكر ان يفسد الهواء من تاخية من التواحي يفسد ماؤهم وتفسد ترثهم فيعمل ذلك في طباعهم على الايام كما عمل ذلك في طباع الزنج ٢٠٠٠)

من هذا نرى ان الرجل نوه واثار الى هذه القاعدة العلمية الجليلة اولاً . ثم اورد بعض الشرح عنها واقوال الاخرين فيها . لكنه لم يذكر رايه الخاص . وهذا ديدنه في اكر كتبه كما سبق وقلنا .

(٢) - مجانسة البيئة Adaptation to Environnement = هذه هي القاعدة

الثانية وتعني بها ان يسمى المخلوق (بالطبع تانيما) لموافقة ومجانسة ومناسبة البيئة التي يعيش فيها . فان كانت صالحة كان صالحا ، وان كانت طالحة كان طالعا كذلك . ان كانت سودا كان اسود كطيور اكر المناطق الحارة وان كانت بيضا كان ابيضا كالدب القطبي وان كانت خضرا كان كذلك مثل اكر حشرات الخضروات . - لقد عرف الجاحظ هذه الظاهرة وتكلم عنها واسهب فيها واستعملها حتى في المسائل الدينية . فاليك الشرح .

قال في المجموعة شكلا عن اثر الحرارة في اهلها . (وكل من نزل الحرارة من غير بني سليم سود . وانهم ليستخذون المالك للبرقي والسقاء والمهنة

والخدمة من الاشباةيين . ومن الروم نساؤهم فما يتوالدون ثلاثة ابطن حتى تنقلهم
 الحرة الى الزان بنى سليم . ولقد بلغ من امر تلك الحرة ان ظباءها ونعامها وهوامها وذئابها
 وشعالبها وشاةها وحميرها وخبيلها وطيورها كلها سود (وادود معلقا) والسواد
 والبياض انما هما من قبل خلقة البلدة وما طبع الله عليه الماء والترية . ومن
 قبل قرب الشعر ومعددها وشدة حرها ولينها وليس ذلك من العفوية ولا تشويه ولا تفضيل
 ثم قال في الحيوان (ومن يمكن البحرين) ٢ . وفي اخر قال معللا هذه الظواهر
 (... وان اسود الحمام فان ذلك احتراق وسجاوزة لحد النضج ومثل به من الناس الزنج فان ارحامهم
 تجاوزت حد الانضاج الى الاحراق وكشظت الشعر شعرهم فتقبضت والشعر اذا ادنيقته من النار
 تجعد) ٣ .

الا ان اثر البيئة في رايه لا يكون جسمانيا فحسب بل وخلقيا ايضا . قال
 في الحيوان (وقد راينا العرب وكانوا اعرابا حين نزلوا خراسان - كيد انسلخوا من جميع تلك المعاني -
 وتروى ببلاد الترك كيف تطيع الابل والدواب وجميع مايتبعهم من سبع وسبيحة على صبايحهم) ٤ .
 من هذا نرى ان البيئة تؤثر على موجوداتها فتطبعها بطابعها من
 الناحيتين الجسمانية والعقلية . وقد مثل لنا الباحث على كل منها اجمل تمثيل
 كما راينا وطلبنا اجمل تخطيط كما قرانا . الا انه زاد نزل يستعملها في امراضهم
 الادبية والدينية . اما في الادبية فهي معرفة هذا اثر على عقلية القسم ، ولذا
 اختلفت تعاريف البلاغة عنده حسب اناليهم والبشوات التي تربوا فيها . فالبلاغة
 عند المرى الايجاز لانهم ملأوا كل هم السرعة والاقتصاد وعند اليونان المنطق لانه
 على هذا نسا . اما في الدينية فهو يرى ان اسمعيل تكلم العربية وان لم يكن عربيا
 مناسبة لبيئة العربية التي وجد فيها) ٥ .

٣ - التعاون Symbiosis = وهذه صاعرة اخرى
 عرفها الباحث . اي ظاعرة تعاون بعض المخلوقات على المعيشة . وليس هذا
 بغيره عليه وهو الذي كان حينئذ تعرض للموضوع يحاول اثبات وحدة الكون باجمعه وتعاون
 افراده كلهم على اثبات وجود قوة واحدة مديرة ٦ .

قال في الحيوان عندما كان يحاول اثبات هذه النظرية^١ أي تحاول كل المخلوقات على وجود قدرة مدبرة^٢ (... وأيش^٣ لعجب من طائرين يراهما الناس من أدنى حدود البحر من شد البصرة الى غاية البحر من شق السند . احدهما كبير الجنة يرتفع في الهواء مصعدا والاخر صغير الجنة يتقلب عليه صعبت به . فلا يزال مرة يرتفع حوله ويرتفع على راسه ومرة يطير عند ذنابه ويدخل تحت جناحه ويخس من بين رجليه " فلا يزال يغمه وكبره حتى يتقيه بذرق + فاذا ذرق تحاماه فلا يخطئ^٤ انصى حلقه حتى كأنه رمى به في بحر حتى كان ذرقه محتاجا مدحاة بيد اسوار . فلا الطائر اصغير يخطئ^٥ في التلقى وفي معرفته انه لا رزق له الا الذي في ذلك المكان . ولا الكبير يخطئ^٦ التشديد . يعلم انه لا ينجيه منه الا ان يتقيه بدمره . فاذا اوى ذلك الذرق واستوى في ذلك الرزق رجع شيعان ريان بغوث يومه ومدى الصائر الكبير لبيته . وامرهما منهو وثانها ضاهر لا يكس دفعه ولا تهمه الحبرين عنه^٧ " ومن مكان اخر ارد مثلا ثانيا على ذات الناهرة فقال (والتساع يفتي فاه اذا غمه ما قد تعلق باسمائه حتى ياتي ضائر فياكل ذلك فيكون طعما له واحة للتساع^٨) .

هذه امثلة اوردھا الجاحظ، وهي لعمري نعم الامثلة لتوضيح هذه القاعدة الحيوية القيمة . طبعاً نحن لا نقول ان الجاحظ عرّفها بحد ذاتها اي كما يعرفها علماء اليوم - انما نقول انه لا حد - وارد عليها امثلة . ومن هذا فضل كبير .

٤ - التهجين = HYBRIDIZATION والتهجين هو

تلقيح ابيس مختلفين لينتجا نه يكاد يكون نالفا . مثل تلقيح القور مع الحمام لينتجا البعل او الكلب مع الضبع لينتجا المصبار على حد قول الجاحظ بذاته .

لهذه القاعدة ذبول طويلة وكثير . لم يعرف منها الجاحظ الا ان هذا الهجين يكون مختلفا عن ابيسه . فهو تارة ضعيف وتارة قوى ومن الصعب ان يكون مثلهما . بالضعف م يعلل الظاهرة تعليلا علميا كما فعلها علماء الحياة اليوم - لانه لم يكن باستطاعته ذلك . انما اكتفى بالتبنيه عليها والتمثيل لها .

في الجزء الأول من الحيوان قال مشيراً إلى الظاهرة (قالوا قد يعرض الذئب (الذئب) في تلك البلاد للنسابة الوحشية فيفسدها . فتلحق بولده يجهل خلقه ما بين خلق النسابة والضعف . فان كان انثى فيعمر لها النمر الوحشى فيضربها فيمير الولد زرافة (١) . ومن مكان آخر تكلم عن العسبار من حيث انه ولد الكلبة والسميع ومن ثالث تكلم عن البغل من حيث انه نتاج تساقط الرمكة والعمار . وكل هذه امثلة من حيوانه تشير الى انه لاحظ الظاهرة العلمية هذه .

لكنه لاحظ ايضا اشياء اخرى عنها . فقد عرف ان الهجين (اى نسل الابوين المختلجين) يكون غالباً اقوى من ابيويه او قد يكون اضعف حسب حالتها وفق هذا القدر قال (ان البغل المتولد بين الحمار والرمكة لا يبقى لنفسه نسل . والزرافى المتولد فيما بين الدمام والورشان يكر نسله ويحول عمر ولده . والبخت والنول ان ضرب بعضها بعضها حتى الولد منفوس الحلق لا حير نفسه (٢) وهذه النتيجة التى توصل اليها الجاحظ في القرن الثالث للهجرة اى ضرورة احتداد الهجين عن ابيويه ان سلباً او ايجاباً هى التى توصل اليها مندل في القرن الثامن عشر لليلاد وملا النعم الدنيا مدحاً لمبقرته .

هـ - التوالد العذرى Parthenogenesis = وهناك

ظاهرة اخرى لاحظها الجاحظ هى ظاهرة التوالد العذرى . او البكرى . او الولادة بدون سابق تلقيح ذكر لانثى . مما افرد العلم الجديد . ومثل عليه يتكاثر الاميبا مثلاً والخن كذلك . نقول لاحظها وتكلم عنها بحضور بيير الدجاي غير الملقح في الجزء الثالث من الحيوان ثم عاد يؤكدها ويهاجم الذين انكروها بقوله في ذات الجزء (وقد انكر ناس من المومنان واشباه المومنان ان يكون نسل من الخلق كان من غير ذكر وانثى . وهذا جهل بشان العالم واقسام الحيوان . وهم يظنون ان على الدين من الاقرار بهذا القول مضرة . وليس القول كما قالوا . وكل قول كذبه العيان فهو فحش خطأ (٣) . لذن لقد راي الجاحظ بعينه هذا ولذا فهو لا يقبل به بديلاً .

٦ - تنافس البقاء . Struggle for Existence هذا

ناموس طبيعي اجتماعي عام . لاحظه الاحد وكبته واناس في التمثيل عليه خصوصاً في عالم الحيوان

نذكر تسلط بعض الحيوانات على بعض مثل الكلب على القط وانقض على القار .
 وذكر اسلحة كثيرة من الحيوانات التي تدافع بها عن نفسها مثل خرطوم البيل
 وانساب القط وحيلة الثعلب ونفسا الضب . مما لاضررة لاعادته اولا لانه
 معروف ونائيا لان في نقل اقل شيء منه اطمالة لا مبرر لها . لكننا نعتقد
 ان القطعة التالية لها قيمتها في هذا الصدد . قال في الحيوان =
 (وهم سلاح الضب ان العقاب تاكل الحيات . وان بينهما عداوة لان الحية اسمها
 تطلب بيضها ونراخها . قال والمذاد تقابل البومة لان المذاد يحصد بيض البومة
 نهارا وتشد البومة على بيض المذاد ليلا فتاكله لان البومة ذليلة بالك ار ردية
 النسر واذا كان الليل لم يقو عليها شيء من الطير والمذاد يقتال ابن عرس
 لياكل بيضه ونراخه . قال وسين الحداة والمذاد قتال لان الحداة تحصد بيض
 المذاد لانها تشد مخالب واسن طيرانا . وسين الاضرغالة والنسراق قتال
 لانه يغتال الاضرغالة ويصايبه . وسين العنكبوت والحياة عداوة ... و ١) الى
 كثير من العداوات التي اتى على ذكرها مما يدل على استحكام القتال وديم النزاع في سبيل
 الحياة .

٧ - علم الحياة الترتيبى Systematic Biology = هذه الطريقة

في معالجة علم الحيوان لم تعرف الا حديثا . اى تنقسم الحيوانات الى عائلات مشتركة
 في خصائص خاصة . ثم درس كل عائلة على ذلك الضو . الا ان انجاحها عنها في القديم
 وحاول ان يدرس حيواناته على ضوءها لكن ضرورة الاستمرار التي راي بها منعه من
 ذلك وحالت بينه وبينها .

قلنا عر هذه الطريقة . والدليل على ذلك محاولته تطبيقها بجمع
 الحيوانات المتشابهة من مجموعة واحدة مثل قوله عن الحمام مثلا (نالقرى حمام
 حمام والروشان حمام . والسفنين حمام ، وكذلك الحمام واليعقوب وضروب
 اخرى كلها حمام ٢) . ومثل قوله عن الزنابير (وليس بين نبات وردان والزنابير
 نسق ولا بين الزنابير والدبر والخنافس فرق . ولا بين العصافير والزراير فرق ٣) .

وليس هذا فحسب بل راج يثبتها بالاستشهاد بغد ان تاكد بالعيان .

فقال (والدليل على ان اخناس النحل والدبر كلها ذبان . ما حدث عباد بين

صهيب واسماعيل المكي عن الاعمر عن عضية بن سعيد العوفي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم =
كل ذباب في النار الا اخذته لم . وليس هذا وحسب بل رل يستحق الشاهد من القرآن
ايضا بقوله (زعم اناس ان جميع الحيوان على اربعة اقسام = شئ* يطير وشئ* يمشى
وشئ* يعمى وشئ* ينساج . وقد قال الله عز وجل = والله خلق كل دابة من
ما* فتمهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجليه . ومنهم من يمشى على اربع يخلق ما يشاء*)
ومن هذا نرى اولاً ان الجاحظ ادرك هذا الاختلاف بين حيوانات والتفارب
بين اخرى فقل يجمعها في عائلات متقاربة . الا انه يقال اولاً ان قاعدة تقيمه
كانت ناقصة بالرغم من انها صحيحة . وثانياً انها لم تبح* وانحة بالرغم من انها قصيرة
لكن له من روح العصر الذي عاش فيه (اى عدم معرفة هذه الامور) خير عذر
ومن نزعته الادبية في بحثه احسن ملجأ .

هذه نظرة عامة وسريعة في العبادي* او الفواعل او النوايسم العلمية
التي لاحظها الجاحظ في علم الحياة . كل هذا ابرازنا كما وردت دون اى تعليق
الا ما اقتضت الضرورة به . فنقول انه عرّسنا النشوء والارتقاء . وصرر مجانسة البيضة
وهر . صاعرة التساوي وادرك مسألة التهيي . وم يفسر التوالد العذري . هذا الى
كلام مفيد مختصر في تناز البعا* ثم انقسام الحيوانات الى عائلات . - وكفاة تديلة -
ونحن بان نضيف انه كان ملاحظا اكبر منه باحثا .

ثانياً - علم النفس - PSYCHOLOGY x

في هذا الميدان طرق الجاحظ عدة توالى من نواحي النفس البشرية والحيوانية .
ناسب في كل منها فصل . وكتابه " البخل " بالاضافة الى " الحيوان " ورائلده
الاحرى نفع كتمان السر " و " الحاسد والحسود " بالاضافة الى " التريح والتدبير " ونرق ما
بين اعداوة والحسد " ، لم نمد في اكثرها كتب درس للنفسية البشرية وتحليل وانما لها
على ضوء الاحتمار . ولو لم يكن قد ضوق في هذا الموضوع سوى ناحية البخل وناحية الحسد
وناحية التنبل بالاضافة الى كثير من طبائع الحيوان لكفاه فضلاً .

الا ان هناك قواعدا نفسية كان دائما يحاول الدهران حولها لتوضيحها تحب بدورها ان تنقد عليها بعدد الشيء بعد ان جمعت متفرقاتها من هنا وهناك - اهم هذه ما يلي :-

١ . حب الشيء الى الانسان ما منع = وقد مثل عليها تنبيلا جيلا في رمل

"كتمان السر" حيث قال اذا اردت ان تفتنى سرا تتعال لا يهيم وقل له = احب ان اقول لك سرا . لكن ارجوك كل الرجاء ان لا توصله الى احد . وكرر عليه كلمتي " سر " و " ارجوك ان لا توصله لاحد " . وانا الكليل بان كل البلد ستدري به . ذلك لان النفس البشرية نزاعة للحرية وتكره كل قيد . فانت تقولك = لا تقبله لاحد . قيدته بقيد سيبقى دائما وابدا نزاعا لبقك منه .

٢ . وسببه الشيء* فيجذب اليه = قال في الحيوان (... لان الشكل

انهم عن شكله واسكن اليه واصيب به . وذلك موجود في اجناس البهائم وضروب السباع . والصين عن السبع انهم وله العا واليه اني . وكذلك الظلم و العالم والجاهل والاعامل . وقال الله عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام = " ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا " لان الانسان عن الانسان انهم وطباعه لطباعه انهم (٢) . والسبب عنده في كل هذا ان اخذت اشياء متشابهة في الاصل ورغائبها متفارقة ولذا لم ان تتفاهم (٣) . هذا ان اخذت الاشياء متشابهة في الاصل ورغائبها متفارقة ولهذا لم ان تتفاهم .

٣ - والمرء يجمل عيب نفسه - وامثلة هذا تكاد تملأ النجلاء

والترجيع " فالخيال لا يرى قبح تجل بل لا يكاد يفره . انما يرى ذلك في غيره ويتجاهله . وان عيب الوهاب لا يعمد نفسه ابدا ولهذا ناه ونظر بانظر الجاحظ " لان يرفقه عند حده كما قال . وسير توضح لهذه القاعدة هو مراجعة كتاب الترجيع . اذ هناك تعرف رسوخ كعب الرجل في الموضع ومعرفته الدقيقة بدقائق النفس البشرية .

٤ - الانسان يميل لمتاله . - فهو لا يقر بعيب ابدا . واذا رأى

عيبا فانه يستتره ويحاول ان يدمسه عن الناس باسهار عكسه . فالنعيف في اسامه نراه دائما يتظاهر بالقوة والغنى يتظاهر بالذكاء . واحسن الامثلة عنده رسالة في النبل والتبذل . واجمل ما جاء فيها قوله

والتي لا يتقبل لانه ليس بحاجة الى ذلك . اما الذي يتقبل هو من ليس عنده نيل .

٥ - النفس الانسانية ضعيفة فلا تنسى هذا = لذلك لا تكثر عليها

من الجدل لئلا تحترق ، ولا تكثر عليها من الهزل لئلا تموت . ولهذا كان تنويه في اديه كله . واحسن مثال عملي قدمه بهذا الخصوص قوله في رسالة التجارة لا تعط الدرس بكامله للتلميذ . بل اعطه منه قليلا قليلا وهو وتدريج من الصعب الى الاصعب وشوقه انهاء ذلك فان التشويق في النفس اشرا كبيرا . ص ١٥٩

٦ - متفرقات = هذه المتفرقات تجدها في كلامه عن طبائع

الحيوان التي اوردها منجبه في نثايا كتابه . وللتفصيل على هذا راجع (١) ما لن نذكره خوفا من التطويل .

ثالثا - علم الاجتماع - SOCIOLOGY

اما في باب الاجتماع فلجلل اراءه هي مزيج من اراء عصره التقليدية واءاء عقله الجبر . واليك اشهرها بكل اختصار =

١ - الجاحظ والمرأة = لقد اورد الجاحظ في كتبه كثيرا من

الانتقادات كلها الى انحطاط النظرة الى المرأة في ايامه وقبل ايامه . بل هي بحق تمثل نظرة العرب التقليدية الى هذا المخلوق . واليك جانبها منها = نقل نسي البيان . قول خالد (وما عسى ان اقول لقوم كانوا بين ناسج برد ودابغ جلد وسائس قرد وراكب عرد . دل عليهم هدهد . وغرقتهم نأرة . وملكتم امرأة^(٢) . يشير الى قوم سبأ وملكتم بلقيس ونقل فيه كذلك من خطبة لمبدالله بن مسعود قوله (النساء حباله الشيطان^(٣)) وفي ذات الكتاب نقل قولهم الشائع (لا تستثيروا معلما ولا راعي غنم ولا كثير العقود مع النساء^(٤) . وكذلك قول عمر بن الخطاب (اكثروا لمن من قول لا . فان قول نعم يضر بهن على السالة^(٥) .

واما في الثالث فقد كاد يعطي الصورة الكاملة لهذا الموقف التقليدي بنقله هذا الحديث (كتب الحجاج الى الحكم بن ايوب = اخضب على عبدالله بن عبدالمطلب الحجاج امرأة جميلة من بعيد مليحة من قريب شريفة في قومها ذليلة في نفسها امة لبعلمها . نكتب اليه . قد اصبتها لولا عظم نديها . نكتب اليه الحجاج = لا يحسن نحر المرأة حتى يعظم نديها . قال الرار بن منقذ العدوي =

صلتة الحذ طويل جيرا ضمة الثدي ولما ينكر

نقال علي بن ابي طالب بن ابي طالب كرم الله وجهه = لاء حتى تدني* الضجيج وتروى الرضيع . - هذه هي نظرة القوم اليها . هو آخر ما استطعوا ان يرموها اليه = ان تدني الضجيج وتروى الرضيع .

والجاحظ قد ضرب على هذا الوتر كثيرا في كتبه . نذكرها تارة بخفة العقل مع النوكي . وتارة بالظيس مع الاولاد . وتارة بانساب اخرى كثيرة من هذا النوع . انه ^{انه} ^{الاي} الحق كان ينور على التقاليد ويعطي تعلمه حرية التعبير عن عقله الحر . نقد وقد مواقف مشهورة بهذا الصدد واليك بعضها . الجاحظ لم ير بالحجاب = اولا لانه لم يكن في الجاهلية^١ وثانيا لانه نزل على نساء النبي خاصة في الاسلام^٢ وثالثا لان الكهيات من مشهورات العباسيات لم يعترفن به^٣ . ورابعا لانه غير طبيعي انما خلقته غيرة الرجل وحب امرته بالمرأة^٤ . هذا بخصوص الحجاب اما بخصوص الاختلاط فقد دافع عنه كل دافع وقال انه طبيعي الذي لا بد منه لولا الفساد الاجتماعي^٥ . وله موقف ثالث بخصوص المرأة وهو اعتراجه بساواتها بالرجل في كل البيادين وقد رهبه على ذلك علما بنقله عن كيرات منهن في الادب وفي الزهد وفي الحيوان حتى . وليس هذا نحسب بل نقلها عليه في مواقف خاصة كما نرى في (النساء والعشيق)

٢ - الامامة = وللجاحظ اراء في الامامة . فهو كما يشتم من كلامه لا يؤمن بما يسمى اليوم حكم الشعب . " لان هذا الشعب اكر من العامة . والعامة في صالحها تنزه لا تنهم صالحها . " اذا اجتمعت نانها للشعب وان تفوقت فالخير كل الخير

في تفرقتها تطلب الرزق". ولهذا هاجسهم كثيرا حيث تعرض لهم واعلن عن عدم ثقته بهم في كثير من المواطن .

ورايه هو ان يقوم جماعة ممن تتوفر فيهم شروط خاصة يستلونها زمام الحكم ويديرها بدقة باحكام . وبهذا لا يغيره يسير المجموع في طريق النجاح . اولا لكفاءة هؤلاء في عملهم ، وثانيا لانصراف العامة الي اشغالهم .

وهو يرى الى جانب هذا ان القلة في عدد هؤلاء الرومما هي المطلوبة . حتى انه اوصى بامام واحد فقط . وصحبته في ذلك ثلاثي الخلافة . وهو في الوقت الذي يعترف فيه بان رأى اثنين احسن من رأى واحد يقول = ولا يد للخير من شر حتى يتم كيانه^٢ .

هذه الآراء مستفادة من رسالة في الامانة . ومن الاماكن الاخرى التي ورد فيها ذكر للموضوع في مختلف كتبه . ومن مجموعها يستنتج ان الرجل كان نزاع للحكم الفرد لا بغيره .

٣ - نظام الطبقات = يرى الجاحظ ان اختلاف الناس في مواهبهم

ومقدراتهم وكفائتهم امر طبيعي . بل هو لضروري لصالح المجتمع . والخير كل الخير في بقاء تلك الفوارق . والشر كل الشر في محاولة ازالتهما او تجاهلها . فالعالم لا يمكن ان يكون كالباهل . ولا الخاصة كالعامة . ومن جيل قوله في هذا العدد = تصور ان جميع الناس خلقوا اوهم بعقلية واحدة وجنانية واحدة بلا فرق ولا تمييز . تصور لهم هذا ثم تصور منهم الاضطراب والفوضى في المجتمع . نسبجان من الهم ثلاثا ان يسمى ابن محمدا والهم غيره ان يسميه شيطاناً^٣ .

هذه اهم نظراته في الموضوع . الا ان له غيرها كثيرا ما لا نستطيع ايرادها في هذه العجالة اولا لضيق المقام وثانيا لقلة بروزه في كتبه .

(١) هامش الكامل الثاني ٣٣ (٢) هامش الكامل الثاني ٥٥

(٣) هامش الكامل الثاني ١٢٢

رابعاً - علم الاخلاق

لقد نصب الجاحظ نفسه محامياً عن الاخلاق الحميدة . نكتب ايجابياً يدعو اليها وكتب فيها سلبياً يشقد وينفر من ~~ال~~ الرذيلة = كما ترى في لائحة كتبه عن " الاخلاق " ما يمكن الرجوع اليه . وللتلخيص نقط نقول انه = كتب في البخل ناقداً ، وكتب في حيل اللصوص منفصلاً . وكتب في الجوارى متهكماً . كما انه نقل كثيراً من الزهديات في البيان ، واستخلص شيئاً جديلاً من اخلاقيات الحيوان . هذا بالإضافة الى تذود كبيرة في السلوك وآداب المعاشرة وتجدها مفرقة في الحيوان .

وخلاصة آرائه في كل هذه رأيان يكادان يكونان متناقضين = الاول هو ترك الدنيا والتوجه للآخرة بضمها العليا . والثاني هو ترك الآخرة والانكباب على الدنيا بطلانها وملاهيها . وليس بخريب على الجاحظ هذا التطرف فقد عرنا فيه من قبل .

اما الاول فيستفتح من مقولاته في الزهد واقوال الزهاد وما اليهم ما اكرر منه في البيان والتبيين . واما الثاني فمن رسائله المتعددة مثل رسالة " الثارب والمشروب " التي دافع فيها عن شرب النبيذ ومثل " رسالة القبال " التي ذم فيها لعدم اخلاصهن في حبهن ومثل رسالة " المغنين " التي حيد فيها الفناء ومثل رسالة العشق والنساء " التي دافع فيها عن المرأة اولا وارانا اختبارات عيقه وشققتها ثانياً .

خامساً - علم التاريخ

في هذا الميدان كان الجاحظ مؤرخاً اجتماعياً اكثره من سياسياً . وادبياً اكثر من علمياً . فهو عندما يتناول شخصاً لم يكن يناوله من حيث مركزه السياسي بل كان يأخذه من حيث انه رجل اجتماعي نيتكم عن علاقته بغيره وعن ارائه في النظام وعن اقوال الناس فيه وهكذا . لكن الضرورة تضغرتنا لان نقسم الموضوع لقسمين = اولاً التاريخ السياسي الذي يسائر العصور السياسي ويتكلم عن رجال الدولة وان لم ينسبه بتلك الصيغة . وثانياً التاريخ

التكبرى منهم . واذا عرفنا ان ذات موقفه وقفه هتلم من العامة وقال به في كلكه عرفنا الى ان مقدار كان الرجد دقيق النظر في امور المجتمع . ولننخط اراه في نظام الطبقات لانه يكاد يعلن عن نفسه بنفسه لنتفق الى رايه في الاخلاق ذاك النظر الذي ان كان ليتمثل شيئا فانما واقعية باجلى معانيها . " ساير البيئة وجار المجتمع ولايس الدهر الذي تعبر فيه " . ان كانت اخلاقا فاضلة فادع . لافضل منها . وان كانت رذيلة فترجبا بالذائل . واما رايه في تدوين التاريخ فقد كاد يتميز به . التاريخ عنده ليس مجرد سرد حوادث . انما هو نتاج اعمال رجال . ثم يمكن تدوينه الا على هذه الحاب . تاريخا اجتماعيا . والجغرافية عنده مثل التاريخ بالضبط . الجغرافية ليست جبالا وسهولا وانهارا . هي جغرافية انسانية . هي وصف للعلاقة المكيكة بينها وبين اهلها .

الا انه يؤخذ عليه اولا انه كان ملاحظا اكثر من باحثنا
ثانيا انه كان وصانا واكتفى بذلك ولم يستنتج قوانين عامة
ثالثا ان اكثر مادته كانت قليلة ابتدائية .

الا ان له من البيئة التي عاين فيها كما قلنا خير معين . ولى العموم
نلك دوره . فكم كان سبانا لعصره بعصور . حتى ان كل مدح فيه اضحى بعد كل
هذه الدراسات تما من التكرار .

المقالة الثالثة في دين الجاحظ

انه لمن المؤسف حقا ان تضعي اكثر كتب الجاحظ في الدين وسائله . والمغل ومشاكله . فتظلم امامنا الطريق وحتى كل نجم نستطيع ان نستعين به في هذه المعازة . فاحالة القدرة على الظلم التي تتعلق بمسألة القضاء والقدر ، والاستطاعة ودلق الاعمال التي تعالج مشكلة حرية الانسان ، رسالة خلد القرآن التي تعرضت لقضية عالما كثر فيها الاخذ والرد ، رسائل الردود على المشبهه والقبولية وغيرهما مما تجده في قائمة سرد كتبه كلها ضاعت ولم يبق لنا منها شيء .

اما كيف ضاعت . فغالظ الظن ان ذلك كان عن احدى طريقين = الاولى تغلب اعداء الجاحظ عليه وعلى توفقه منذ ايام المتوك ومن ثم اغارتهم على كل ما خلفت بهذا الصد وسجلتهم الخلاص منها على اى وجه كان . والثانية حرق الماتب الذى تكرر وقوعه في اواخر العصر العباسي عندما سادت الفوضى وتحكم في الناس جهالهم .

نقول بهذا عدما ذكر كتب الجاحظ في الدين الا القليل النادر . وليت الامر وقف عند هذا الحد ، اذن لاستضعنا ان نعتد على من جاء بعده في استقاء مادتنا عنه بهذا الخصوص منهم . لان هؤلاء الذين جاؤوا بعده سادتهم روح سلبية متزفة ، انكوت كل اثر للمغل ومن ثم انكوت كل اثر للجاحظ نصيره . وان كان هناك اى اثر بقي ولم يستقيموا محوه راحوا يعملون فيه معاول التشويه من نقد مر الى سخيرية لاذعة الى تهكم يذل امامه كل متناجح ومن امثلة هذا قول ابن الراوندى يسخر من قول الجاحظ بخلق القرآن (ودعي الرجل ان القرآن مخلوق يستحيل تارة في شك امرأة واخرى في شك رجل) .

نقول لكل هذا عذرا على عدم التعرض لهذه انماحية من ادب الجاحظ . لكننا وجدنا ان الموضوع لا يتم بدون ايراد ولو لمحة قصيرة عنه . فمن ايس ناتي به . واخيرا هدتنا الحيلة الى الاعتماد على الشذرات القليلة التي نوقها في باقي كتبه رسائله مما قد سلم ، وعلى الشهرستاني الذى يعد احسن مرجع قديم عرفناه في الموضوع . لكن هذه الشذرات المتفرقة وما

أورد الشهرستاني وغيره كان من الفلة والغموض بحيث لم نفهم منه شيئا . ولهذا اضطربنا الى ان نستعين بفهم بعض المحدثين لها مثل احمد امين وغيرهم .

اما الذى سنحاول ان تبينه في هذه المقالة ، او بالاحرى ان نلقى عليه ضوءا فهو أولا موقفه من القرآن وثانيا موقفه من الحديث وثالثا موقفه من الفقه وشاكلة بخصوص علاقة الدين بالعقل .

أولا الجاحظ والقرآن

كسمل عادى ابن الجاحظ بان القرآن من عند الله . لكه كعزتلي انكر ان يقر له بالقدميه كما يقول السنيون . ولذا راح يقول بانه مخلوق كباني مخلوقات الله واليك قوله بالحرف (... ثم رزم أكثرهم ان كلام الله حسن ... وان ادجيل غير القرآن . والبقرة غير ال عمران . وان الله تولى توليفه . وجعل برهانه على صدر رسوله . وانه لو شاء ان يزيد فيه زاد . ولو شاء ان ينقص منه نقص ... ولو شاء ان ينسخه كله بغيره نسخه . وانه انزله تنزيلا . وانه فصله تفصيلا . وانه بالله كان دون غيره . ولا يقدر عليه الا هو غير ان الله مع ذلك لم يخلقه ... فاعطوا جميع صفات الخلق . وضعوا اسم الخلق ... والمجيب ان الذى منعه - برحمه - ان يكرم انه مخلوق انه لم يسمع ذلك من سلفه و هو يعلم انه لم يسمع ايضا من سلفه انه ليس بمخلوق^(١) .

هذا من حيث موقفه من مسألة خلق القرآن التي لعبت كدورا كبيرا . اما من حيث مسألة اعجازه فالغريب من امر الجاحظ انه يقول بالصرقة اى ان العرب يمكنهم ان يأتوا بمثله ولكن الله صرنهم عن ذلك . قال (فانا نقول بالصرقة في عامه هذه الاصول والابواب ... وقد ذكرنا ... وذكرنا ... وذكرنا من صرف من صرف او هام العرب عن محاولة معارضة القرآن^(٢) .

اما من حيث تفسيره فقد وقف موقفا يشكر عليه اذ جعل العقل هو مدار

كل تفسير . تفسر احيانا تفسيراً منطقياً معقولاً وتند احيانا تفسير غير الخرافية وسحر منهم على حسب عادته التي عودنا . واليك بعضاً من هذه اللغات من كتاب الحيوان .

لقد انكر الجاحظ الخرافة من اصلها وهو لم يعتقد بحديث الجن واشعار الجن وما اليه . ولذا نفى كل خبر عيان عنهم رايها اياه بلانه " حديث خرافة " . وقد طبق هذا المنطق في التفسير فقال في تفسير (انها شجرة تدعى فين اصل الجحيم . ظلمها كانه رؤوس الشياطين = وليس ان الناس راوا شيئاً فص على صورة . ولكن لما كان الله قد جعل لها في جب طباع جميع الامم استباج جميع سور الشياطين واستسماجه وتراسته واجرى على المنه جميعهم ضرب به القتل في ذلك . رجع بالايمان والتنفير وبالاخافة والتفريق الى ما قد جعله الله في طباع الاولين والآخرين عند جميع الامم على خلاف طبائع جميع الامم^(١) .

هذا مثلاً على استعمال العقل الحر في التفسير . اما الثاني فعلى استعمال العقل الواسع الاتفاق فيه . قال في تفسير (ربنا لا تحملنا مالا ساقا لنا به واعف عنا = يجوز ان يكون انما يريدون صرف العذاب . ويجوز ان يكون انما يريدون تخفيف الفرائض . وقد يجوز على قوب من قال " لا استطيع النظر الى فلان " على معنى الاستقبال^(٢) .

اما القتل الثالث فعلى سخريته بالمفسرين الآخرين في قولهم ان اصل اللفظ من عصاة الاسد . وان الحنظير من سلح الفيل . وذلك انه عندما جمع نوع مخلوقات كثيرة لسيد سلبته ولا بهم المعنى واخذ الفار يعبت بالمتاع وكاد يخسر السفينة اوحى الله للاسد بان يعطس فخرج من منخره زوي سنابير . فمار الفيل وسلح فكان زوج خنازير . وبعد ان اورد هذه الحكاية اورد معلقاً وهذا ما تتلوه به النساء والاولاد وسبحن الحرائات من المفسرين^(٣) .

واذا اردت الزيادة من هذا فراجع ج ٢٢/٤ ح ٢٩/٤ ج ١٢٩/٣ ح ٨٣/٦ ح ١٦٩/٦ . ومن هذا نرى ان الجاحظ كان يقول بخلق القران اولا وكان من القائلين بالصرقة في اعجازه ثانياً وكان من مؤيدي استعمال العقل في تفسيره ثالثاً .

ثانياً الجاحظ والحديث

... على العمى يقال ان موقف الجاحظ من الحديث لم يتخذ صفة الجد . ولهذا نراه

تارة يطيل اسناده وحقق فيه ، وتارة يقصره او يهمله ، واخرى يورد احاديث ضعيفة وفي غيرها
 كاد ينسى بجمل هذا المؤلف ، واليك الاثلة .

كان الجاحظ في كثير من الاحيان يطيل السند علما منه بان ذلك نوع من التحقيق
 في السنود مما يخص به خسة نحو الحفيفة التي كانت غاية في كل ما كتب واليك مثلا على ذلك =
 (فضيل بن عياض . عن الطعن بن يزيد . عن عبد الله بن زحر . عن علي بن يزيد . عن
 القاسم مولى يزيد بن معاوية . عن ابي امامة الباهلي . قال قال رسول الله " ادبوا الخيل .
 وتسوكوا . واتعدوا في الشمس " . . .)

وفي غيرها كان يختصره اي يورده باقصر اسناد ممكن . من امثال ذلك قوله (عرف
 عن الحسن قال . قال النبي صلعم " يللمسلم على اخيه ست خصال . يسلم عليه اذا
 لقيه . وينص له الاغاب . ويعوده اذا مرس . ~~و~~ وشيع جنازته اذا مات . وجيبه اذا
 دعا . وشتمه اذا عطس) .

وفي كثير منها كان يروي الاسناد بالمرة كقوله (قال النبي صلعم " اذا كب
 احدكم فليترب كتابه فان التراب يارك " (٣) .

وفي اماكن اخرى كان لا يصيل ولا يقصر ولا يذكر سندنا وانما كان لا يهتم
 بالسند ايا كان نوعه . انما كان يهتم ان يروي والسلام . مثل قوله (اسماعيل بن عمار . عن الحسن
 بن دينار عن الخفيف جندر " عن رجل " عن معاذ بن جبل عن النبي صلعم قال = ليس من
 اخلاق المؤمنين الطلوا الا في غلب العلم . فاسمع كيف يروي " عن رجل " ثم يطش الى صفة
 الحديث .

وليس هذا فحسب بل ان من عدم العلمية لم يراع في الاسناد فقط وانما لم
 يراع في السنود كذلك . قال (رسول الله صلعم اللهم اذهب ملك غسان وضع مهم كده °) .
 وكذلك (قال رسول الله صلعم عمران بيت المقدس خراب يترب . وخراب يترب خراب الملحمة .
 وخراب الملحمة نتج قسطنطينة . وفتح قسطنطينة خراب الدجال) .

وكل هذا ان كان ليدل على شيء فعلي عدم اعصاء نصيب كبير من الاهتمام بالحديث. ولعل نيماييلي محاولة لتبرير هذا الموقف . اما لتبرير موقفه في حذو السند فقد قال (كان يزيد بن هبيرة يقول احذروا الحديث كما يحذره مسلم بن قتيبة^(١) . فلعلمه اعجب بطريقة مسلم فاتبعها . اما لتبرير موقفه في عدم الدقة في المستند فقد قال (قلت لحباب انك تكذب في الحديث . فقال وما عليك اذا كان الذي ائذنه فيه احسن منه^(٢) .

الا ان اعداءه لم يقنعوا بهذه البررات . ولهذا راحوا يتهمونه بكل تهمة . فقال نعلب بالوزم من انه من تلاميذه (اسكوا عن الاخذ بحديث الجاحظ . فانه ليس بثقة^(٣) . واراد صاحب الميزان بذاته (وانا اقول = لقد كان الجاحظ من امن البدع^(٤) . اما البغدادي فحدث عن اتهاماته ولا حرج .

الا ان الحق مهما تولت عليه الغمرات وتكاثفت عليه الخيم - لا بد وان يظهر . فالجاحظ لم يكن " ليس بثقة " واما كانت له نظرة خاصة في الحديث هي نظرة اكر المعتزلين الذين يعملون العقل في كل ما لديهم . وهذا ما تضيح ، سدر المزمتمين . فيتعجلون الامر بالتهجم . ولتصدر دعوانا - ان ان لرجح كان ملصقا في نظراته العلمية العقلية الى كل شيء - وان كان يخطئ احيانا نرد ما يلي = اولا كان يشت في الحديث ولا يقبله حتى يحقق فيه . ثانيا كان يثبت الى الوضع فيه . واخيرا كان قد وضع قاعدة عامة لقبوله او رفضه .

كان يشك . في البيان قال (على اننا لا ندري اقال ذلك رسول الله صلعم ام لم يقله . لان مثل هذه الاخبار يحتاج فيها الى الخبر المكشوف . والحديث المعروف^(٥) . وفي الحيوان بعد ان اورد طائفة من الاحاديث عن الوزع التي لا يمكن لعقل سليم ان يقبلها قال (وهذه الاحاديث كلها يحتج بها اصحاب الجبال^(٦) .

كان يثبت على الوضع . مما يظهر من قوله في الحيوان بعد ان اورد حديثا في العنقرب ملخصه ان من قتل حية او عقربا فكانما قتل كافرا - فعلى هذا المعنى يكون تأليف الحديث^(٧) .

(١) ب ٢/ ٧٢	(٢) ب ٢- ٢٣٥	(٣) ميزان الذهبي ٢/ ٢٨٨	(٤) نفس المصدر
(٥) ب ٣/ ٢٨٨	(٦) ح ٤/ ١٦	(٧) ح ٤/ ١٨	

واخيرا - كذاب المعتزلة - راح يهاجم الحديثين لعدم دقتهم وانهم جماعون يهضمون الجمع والجمع يفظ . اما افعال العقل فليس له الى ما يعملون سبيل . (ولو كانوا يرون الامر على عللها وصرهانها خفت المؤونة . ولكن اكثر الروايات مجردة . وقد اقتصرنا على ظاهر اللفظ دون حكاية العلة ، ودون الاخبار عن البرهان^١) .

وليس هذا بحسب بل راح يقرر القاعدة العامة في مثل هذه المشاكل . وهي الاجماع . ناذا اختلف النار في الحديث كان يصححه فم وضعفه اخرون . او كان يروى حديث اخر ينافضه بل اقصا عدم الاخذ به . لذلك . اعلى المهتمين بالامر ان يعملوا فيه العقل لغرض النظر على الاستناد . ولهذا تروى الاحاديث الواردة في التبيذ لاني بعضها يفيد الحل بعضها يفيد الحرمة ورجع الى عقله يحكمه .

ولكي نتطلع على تفاصيل هذا راجعه في اماكن مختلفة من رسالة التبيذ المنشورة في هامش الكامل الثاني سنة ١٣٢٣ س ٢٥١ فما بعدها .

وحد هذا - اي بعد ان يشك - ومنه على الوضع - ويهاجم عدم الدقة ، وضع قاعدة واضحة في قبول او رفض اي حديث ، ولخيرا تحكيه العقل تحكيه مطلقا - لا نستطيع ان نجاري الراي السابق بانه لم يكن ثقة . وانما نقول انه حارون الغريب ولكن ذلك كان احيانا يفتوه . وليس ذلك بغريب عليه ما دام اننا معرضا للخطا والتسيان .

هذا هو موقفه من القرآن ومن الحديث . وحسن بنا ان نضيف ان مادته في كتبه تدل دلالة واضحة على ان اطلاعه وتفرضه بكليهما كانا من درجة منى . حتى لو ان جامعا يجمع متفرقاتهما لتجمع لديه مقدار يعتد به في الحكم والنوع .

ثالثا الجاحظ والنفق

والنفق في الاسم هو استخراج الاحكام من القرآن والحديث والسنة وما تجمع الى جانبها من المعلومات والجاحظ كعزتني اولا وكريسر للجاحظية ثانيا كانت له ارا . في الموضوع اكثر من ان تحصر في فالة تعد بصحات . الا اننا سنقتصر على الاهم والاشهر .

١ - في الاجتماع - لقد رأينا من قبل ان الجاحظ لا يرى بالحجاب قط . وقد استشهد على ذلك بالفراخ وغيره . ولم يقل بالتفريق بين الجنس كما رأينا في النيان . ودعا الى الشيوعية النسائية . يتحفظ في ذات الرسالة . اما الغناء فقال انه لا بأس به بل وحسبه لي ثم اناصر في الوثيق وقال انه نوع من التبراة تقع عليه المساومة والمنارات بالنسب . وهذه ناحية سوداء من نواحي تفقه . وتعرض لمسالة اللحم واكله فقال ان لحم الخنزير حرم لا لانه خنزير انما لوساخة في عصبه^١ . وتكلم عن بيدر القنطرة^٢ . وحوام الصيد^٣ . فحللها ونادى بالهول والنبير على من حرمها . اما النبذ وتحليله في نظره تحكية قد عال البحث فيها حتى انه كتب رسالة كاملة في ذلك .

٢ - في الفلسفة الدينية - قال ان المعارف كلها طباع ضرورية وليس منها واحد بالاختيار^٤ . وقال ان لا نعد للانسان الا الارادة^٥ . وقال ان طبائع اجسام ثابتة ولا يمكن ان تتغير^٦ . وقال غيرها كثير الا ان هذه اهم ارائه الخاصة . اد ان هناك اراء اخرى حرة نارت فيها باقي المعتزلة لا يهمننا ايرادها ولا اطالة البحث فيها بهذا الصدر . لانها تخرجنا عن موضوعنا من ناحية وتطيل بحثنا من اخرى .

يقول ان معرفة الانسان لاى شيء لا تكون باختياره وانما هي مفوضة عليه . ولذلك لا يحاسب عليها . انما يحاسب على ما نعر باختياره . وكل هذا محاولة لحل مسألة الفضاء والقدر وحدد الله في ادخال الانسفياء النار^٧ . ولتفسير هذا قال = لان ينتج الانسان عينه امر اختياري . اما ان يرى فامر اضطراري . هل هذا فهو يحاسب على فتح العين لانه كان حر التصرف به لكنه لا يحاسب على ما راي لانه كان مضطرا اليه . ومثل ثاني اورده احمد امين لتوضيح الفكرة هو (لان يحاول انسان ان يفكر امر اختياري . اما ان يعلم فامر اضطراري) ومثل ثالث اورده الزالي في المستقصى (ان الجاحظ لا يرى بان الكفار كلهم سيذهبون للنار . ذلك لان اعتقاداتهم اضطرارية . والاضطرار لا حساب عليه . هم احرار في التفكير او عدمه . فان وصلوا الى ان الاسم حق وكفروا بذلك فانهم يحاسبون . اما اذا لم يصلوا فانهم لن يحاسبوا) الى هذا الحد من النظر الحر وصل بالجاحظ عقله النير .

(١) ج ٣٤/٢ (٢) ج ١٠٢/٢ (٣) ج ٥٩/٣ (٤) منية الامل ٣٤

(٥) مقالات الاسامي ٤٠٧ (٦) بغدادى ١٢٦ شهرستاني ٨١/١ (٧) امين ١٣٣/٣

(٨) غزالي ٣٥٩/٢

هذا عن مسألة الإرادة وذاقتها بأمعنة . اما مسألة الجوهر الثابت فلم يقل فيها تنورا عما سبق . فهو يرى ان الجوهر ثابت لا يحترق الفناء . وهذا هو نفسه القانون الكيماوي المشهور " المادة لا تتغير وانما تتغير صفاتها . تنقص وترداد في الكم . وتتغير وتتبدل في النوع . اما ان تغنى فلا " وقد غضب عليه المشايخ من اجل هذا . نذكر منهم الشهيرستاني الذي قال على هذا فالجاحظ يرى بان الله قادر على الخلق لكنه غير قادر على الافناء .

٣ - نظرات اخرى - نعني انه كان يرى في هذا الكون وحدة لا تتجزأ يعمل افرادها كل من محيطه وضمن دائرته للوصول الى هدف علم مشترك فيه الخير للجميع . ورسالته الدلائل والاعتبار الى جانب الشذرات الكثيرة التي وردت في الحيوان حموسا الفكرة التي طالما ردها في الدناع عن درس صغار الحيوانات (نعني ان لكل مقامه) ادلة دامة على هذا الرمز .

ونعني ايضا انه كان يرى في الدين عنصرا متما للدين وأنه لا خوف بينهما كما يخيل لبعضهم . وان الذي يجمع بينهما هو العقل الواعي . قال في الحبان (وكلر) وقد انكر ناس من العوام واشباه العوام ان يكون نسي من الخلق كان من غير ذكر واثق . وهذا جهل بشأن العالم واطسام الحيوان . وهم يظنون ان على الدين من الافرار بهذا مضرة . وليس القول كما قالوا () . وفي المعاد فان ما معناه ان الدين هو الدنيا وان كذا منهما متم لآخر . (واعلم ان الاداب انما هي الات تصلح ان تستعمل في الدين وتستعمل في غير الدين)
في الدنيا . انما وضعت الاداب لاصول الصباغ . وانما اصول امور التدبير في الدين والدنيا واحدة فما نسدت فيه المعاملة في الدين نسدت فيه المعاملة في الدنيا . وكل امر لم يصح في معامرات الدنيا لم يصح في الدين . وانه الترق بين الدين والدنيا اختداف الدارس () .

ونعني ايضا انه كان يرى في العقل شيئا يمكن الاعتماد عليه والايان به لحل كل المشاكل . فالعقل في ادب . والعقل في العلم . والعقل في الدين . والعقل في كل معضلة كان ديدنه . ولهذا قال ابن العميد . كتب الجاحظ تعلم العقل اولا والادب ثانيا .

رابعاً موقف الجاحظ في الدين

لقد نال صاحب النزاهة الجاحظ كال اماما من ائمة المعتزلة^١ . كما قال الخياط لقد كان ائمة في الدين^٢ . لكن ازاء هذين القولين نجد قول ثعلب انه لم يكن ثقة وقول صاحب اليزان . لقد كان الجاحظ من اهل البدع كما مر معنا . ولكن من الترفيق بالضبح براهينه وادلته المستقاة والتي نعلمها تمام العلم . وامام هذا نرانا في حيرة . ترى هل كان زنديقا مارقا ام انه مظلوم .

ان الجواب على هذا من الصعوبة بمكان . قد دفاعه عن الدين الاصلاحي عامة ضد اليهود وند النصارى^٣ ودفاعه عن فكرته خاصة ضد كل الفرق الاخرى خاصة مثل الدرية والجبرية والمانانية والمجوسية والمعتزلة والرافضة والزنائدة وغيرهم . هذا بالإضافة الى تعجيده الدين من الناحية الايجابية - كلها تغير الى اخلاص وتفاني لا يشوبهما شك . - الا ان قوله بالحرية العقلية منه وسخس القرآن وغيرها كثير في نحر الاخرين كقول لا يشوبه شك ايضا . ترى ما حقيقة الامر . وما السبب في كل هذا التلاعب .

الجواب بقدر ما استطعنا ان نحسبه هو ان الرجل كان مسلما حرا يعتمد على العقل في بيئة مسلمة مقيدة تعتمد على النقل . والعقل دائما متجدد في حين ان النقل دائما محافظ . ومن ينظر الى الوراء لا يمكنه ان يتفق مع من ينظر الى الامام . ولهذا كان الفتكر الكثير والاتهام .

هذه واحدة . اما الثانية فهي ان في الجاحظ حينما ادبنا تكلمنا عنه . لا يقول رايه بصراحة وانما يدور ولف ومعني حتى انه في كثير من الاحيان كان يقول عكس ضميمه فيمدح العامة وهو الذي اتخذ ديدنه مهاجرتهم ومدح السلطان بالرغم من انه نفو الناس من خدمته ومدح حتى النوكي بالرغم من انه كان دائما يسخر منهم .

هذا هو الجاحظ المعتزلي الجاحظي . اردنا اكر ما نستطيع ابراده في صفحات اسفين اولا لثقتها وثانيا لضياح مصادرها الجاحظية الاصلية .

(١) نزاهة الانباري ص ٢٥٨ (٢) انتصار الحيا - من ياقوت ٥٧/٦ (٣) نصارى ١٣ السح

نظرة و تقدير

من هذا ترى ان الجاحظ كان فريدا في حياته من حيث جمعه المتناقضات سواء في خلفه او خلفه او تدرجه في سلم الحياة . ومنه نرواه كان مكتابا اى كثير الكتابة واديبا خلف ما لا يقل عن ١٥٠ كتابا مما لا يمكنها معه الا ان نصفه بانه غير عادى حتى ولو كان موضوع كتابته ضحرا على وتر واحد . ومنه ترى انه كان ذا اسلوب خاص به سواء في التأليف او في الانشاء او في البحث العلبي مما لم يعرف قبله وان كان عرف فان له الفضل في بلوغه . ومنه ترى ايضا ان له في موضوعات الادب كالنقد واللغة والشعر وما اليها اراء تخلت بالسبق من ناحية والقيمة العلمية اخرى حتى انه لا يزامح فيها بعز علماء امروا المحدثين . واما الدين فللعقل كلما جار الزمان على الجاحظ صرخه لانه كان اكبر انصاره ايام سيادة دولة النقل .

نقول كل هذا نراه من دراسة سنة واحدة لكن ترى ما الذى بقي مما لم نره . لحد الان . او بكلمات اخرى = ترى لو ضا بنا الوقت ما الذى كان يمكننا ان نخرجه للسوق من دودة ابي عثمان او من بحر بن بحر . نحن لا يحالجتا شت في ان الدودة ملأى بالشار ولا في ان البحر زاخر بالجواهر . لكن ما هي . وكيف يمكننا استخراجها . هذا هو السؤال الذى بقي يجول في الصدر . وهو الذى نرجوا ان يوفقنا الله لجوابه في المستقبل القريب - هذا ان لم يقم " احد الذين لا يعملون ... " فيعمل ، وسبقنا اليه .

الملحق الاول في مصادر الدراسة

(١)	عبرن ابن كتيبة	٢٧٦	القاهرة	١٣٤٦
(٢)	تاويل بن قتيبة	٢٧٦		القاهرة	١٣٢٦
(٣)	مختصر بن النقيه	٢٨٠		لايدين	١٨٨٥
(٤)	كامل الجبرد	٢٨٥		لايينج	١٨٦٤
				القاهرة	١٣٢٤
(٥)	محاسن وساوى البيهقي	٣٢٠	لايدين	١٩٠٣
(٦)	عقد ابن ربه	٣٢٨		القاهرة	١٢٩٣
(٧)	وزراء الجبهشيارى	٣٣١		القاهرة	١٩٣٨
(٨)	مروج السمعدى	٣٤٦		باريس	١٨٧٢
(٩)	تنبيه السمعدى	٣٤٦		لايدين	١٨١٣
(١٠)	اغاني ابي الفخ	٣٥٦		القاهرة	١٢٩٣
(١١)	نهرس ابن التديم	٣٨٥		لايينج	١٨٧١
(١٢)	مقابسات التوحيدى	٤٠٣	القاهرة	١٣٤٧
(١٣)	لعجاز الباقلائي	٤٠٣		القاهرة	١٣١٥
(١٤)	نرق البندادى	٤٢٩		القاهرة	١٣٢٨
(١٥)	يتممة الشمالبي	٤٣٠		بيروت	١٣٠٤
(١٦)	ملل بن حزم	٤٥٦		القاهرة	١٣١٧
(١٧)	ملل الشهرستاني	٥٤٨	القاهرة	١٣١٧
(١٨)	تاريخ بن عساكر	٥٧١		دمشق	١٣٢٩
(١٩)	نزهة الانبارى	٥٧٧		القاهرة	١٢٩٤
(٢٠)	ادباء ياقوت	٦٢٦	القاهرة	١١٣٠
				القاهرة	١٩٣٧
(٢١)	بلدان ياقوت	٦٢٦		لايينج	١٨٦٦
(٢٢)	مثل ابن الاثير	٦٣٧		القاهرة	١٢٨٢
(٢٣)	حكاه القنطري	٦٤٦		القاهرة	١٣٢٦
(٢٤)	طبقات ابن ابي اصيبعة	٦٨٨		القاهرة	١٣٠٠

١٣٢٥	٧٣٢	تاريخ ابي الفداء	(٢٥)
١٣٢٥	٧٤٨	ميزان الذهبى	(٢٦)
١٢٨٥	٧٤٩	تاريخ بن الهردى	(٢٧)
١٢٢٥	٧٦١	وليات ابن خلكان	(٢٨)
١٣٠٥	٨٨٨	حيوان الديمرى	(٢٩)
١٣٣٧	٨٢١	صبح الفلقستندى	(٣٠)
١٣٠٦	٨٥٠	مستطرف الابشيبي	(٣١)
١٣٢٦	٩١١	بخينة السيوطى	(٣٢)
.....	١٠٦٩	طراز الخفاجى	(٣٣)

ب - كل هذا بالاضافة الى كتب الجاحظ نفسه التي سبق وتكلمنا عنها
 مسهبا ومنصلا في الفصل الذى خصصناه لها في الرسالة ما بين ص ٥٠ - ١١٨ .

ج - والاضافة ايضا الى ما يلي من كتب الحديثين .

١٨٨٢	بيروت	معارف البستاني	(٢٤)
١٩١٣	القاهرة	تاريخ اللغة العربية لزيدان	(٣٥)
١٩١٣	لايدن	الموسوعة الاسلامية	(٣٦)
١٩٢٨	بيروت	مجلة المشرق	(٣٧)
١٩٣٢	دمشق	مجلة المجمع العلمي	(٣٨)
١٩٣٢	القاهرة	رسائل السنديوي	(٣٩)
١٩٣١	القاهرة	ادب السنديوي	(٤٠)
١٩٣٤	القاهرة	نثر زكي مبارك	(٤١)
١٩٣٥	بيروت	تطور المقدسي	(٤٢)
١٩٣٥	كالكونتا	فهرس شفيح للعقد	(٤٣)
١٩٣٦	القاهرة	ضحى امين	(٤٤)
١٩٣٦	دمشق	الجاحظ مردم	(٤٥)
١٩٣٧	القدس	مختار النشاشيبي	(٤٦)
١٩٣٨	دمشق	جاحظ جبرى ش.	(٤٧)
١٩٣٨	لايدن	ملحق بروكلمن	(٤٨)

الملحق الثالث - في الذين اخذوا عنه

لقد قال القاضي الناضل ان ما منا احد معاصر الكتاب الا وتطفل على تراث الجاحظ .
ان نقلا او استفادة او تحليفا . ولملي في النائمة التالية لحاول او بالاحرى ادم قول القاضي
بمراجع مؤرخيه استطعت ان اضع عليها في اثناء الدراسة .

(٤) ابو الفرج في اغانيه

٣٥٤/٨	٨/٢
١١٦/١٠	٤١٣/٢
١٨٠/١٠	١٤٥/٢
٢٣٦/١٠	١٧٧/٢
٤٣/١٦	٢١٤/٢
٤٥/١٨	٢٢٤/٢
...	٣٦/٤

(٥) الجهشيارى في وزرائه

١/١٦٤	٦/١١٠
١/١٩١	٥/١١٦
...	١٢/١٢٧

(٦) الميرد في كامله

٧/٣٥٢	٥/١٧١
٥/٣٦٤	٣/١٦٦
٢/٤١٩	١/٢٢٧
١٥/٤٧٢	١٧/٢٨٣
١٠/٧١١	١٥/٣٢٠
٢/٧٢٧	٥/٣٢٨

(٧) اخرون = معجم ياقوت ٢١/١ ١٠٨/٧

١٦٥/٧ ابن الفقيه في المختصر ٦/١١٦
١١/٢٥٣ ابن عساکر ١/٧٧٠ ابن
النديم ١٤٤ . محاسن البيهقي = كله .

(١١) السمودي في مروجيه

٢٢٢/٧	٤/٣
٢٢٣/٧	١٧/٣
٢٢٥/٧	٢٢/٣
٢٢٧/٧	١٣١/٦
٣٢٦/٨	٣٦٦/٦

(٢) ابن عبد ربه في عقده

٢١٢/١	٢٦/١
٢٤٣/٢	٩٣/١
٢٤٤/٢	١٨٤/١
٢٦/٣	٢٧٠/١
١٨٧/٣	٢٨٧/١
٣٣٥/٣	٣١١/١
٣٤٣/٣	٢٩/٢
٣٤٦/٣	٩٢/٢
٣٨٦/٣	١١٦/٢

(٣) ابن قتيبة في عيونيه

١٩٩/٣	٢١٩/١
٢١٦/٣	٢٣/٢
٢٤٩/٣	٥٦/٢
١٠٨/٤	٢٠٤/٢
...	١٣٧/٣

الملحق الرابع - اولا في شعره

لقد حاولنا جهدنا ان نجمع اكبر عدد ممكن من شعر الجاحظ لنطلع على نفسه
الشعري ومفهوه الخاص للشعر . الا اننا لسو الحظ لم نجد كثيرا من ذلك فاضطررنا ان
نكتفي بما يلي بعد ان جئناه من مصادر متفرقة . والناظر فيه يرى ان اكثره شعرا ميكانيكيا
ضعيف الخيال وسقيم العاطفه ، اغلظه مدح وباقيه شعر مناسبات .

(١) - كتب الجاحظ الى احمد ابن ابي دؤاد

لا تراني وان تناولت عدا بين صفيهم وانت تسير
كلم فاضل عليّ بمال - ولسانه يزينه التحبير
فاذا ضحكنا الحديث وبيت وكاني على الجميع امير
رب خصم ارق من كل روح ولفرط الذكا يكاد يطير
فاذا رام غاييتي فهو كساب وعلى البعد كوكب مهور
- - - ياقوت ٦٠/٦

(٢) - ويقال ان الابيات التالية مدح بها ابن ابي دؤاد وابن رباح وابن الجهم

بدا حين اثرى باخوانه نفل عنهم شباة المدم
وتكره الدهر صرف الزمان نبادر قبل انتقال النعم
نقى خصه الدهر بالمكروا نعاجز منه الحيا بالكفر
ولا تهكت الارض عند الموال ليقطع زواره من نعم
ياقوت ٦٠/٦

(٣) - قال يموت هجا خالي ابو عثمان الجمار بابيات منها :

نسب الجمار مقصور اليه منتهاه
تنتهي الاحساب بالناس ولا تعدو قفاه
ياقوت ٦٠/٦

(٤) - قال المبرد انشدنا الجاحظ في مرضه

اتسرجو ان تكون وانت شيخ كما قد كنت ايام الشباب
لقد كذبتك نفسك ليس ثوب دريس كالجديد من الثياب

(٥) - وقال لي احدثهم متفلسفا وهو من احسن ما قال

خضعت لبعض القوم ارجو نواله وقد كنت لا اعطى الدنية بالفسر
فلما رأيت الشخص يبذل بشره ويجعل حسن البشر واقية الوفر
رجعت على ضلعي وراجعت منزلي نصرت حليفا للدراسة والفكر
وشاورت اخواني فقال حليمهم عليك الفتى السرى ذا الخلق الغمر
اعينك بالرحمن من قول شامت ابو الفرج المأمول يزهد في عمرو
ولو كان فيه راعبا لرأيتك كما كان دهرنا في الرخاء وفي العسر
اخاف عليك العين من كل حاسد وذو الود منسوب الفؤاد من الذمر
فان ترفع ودي بالقبول فاهله ولا يعرف الاقدار غير ذوى القدر
ياقوت ٧١/٦

(٦) - ومن شعره لي ابن ابي دؤاد

وعويس من الامور بهيم غامض الشخص مظلم مستور
قد صنعت ما توغر منه بلسان يزينه التحبير
مثل وشي البرود هلهله الذ سج وعند الحجاج در ثبير
حسب الصمت والمقاطع اما نمت القوم والحديث يدور
ثم من بعد لحظة يورث اليد سر بعرض مهذب مؤنور
ياقوت ٥٩/٦

(٧) - ومن شعره لي ابن الزيات - قوله

بدا حين انرى باخوانه نفل عنهم شباة العدم
والمر كيف انتقال الزمان نبادر بالمرف قبل الندم
كود علي ص ٢٩٢

وانه لا يحسن بنا ان نلاحظ ان هذه القطعة اوردتها من قبل ياقوت واردها سلبا
نمرة ٢ وقد اختلف النص في الروايتين . والى جانب هذا الاختلاف يجب ان نذكر ان
كود علي فيهما هو المتأخر .

(٨) - وانشد البرد للجاحظ قوله

ان حال لئون الراس عن لونه ففي خضاب الراس مستمتع
هب من له شيب له حيلة لنا الذى يحيا له الاصلع
ياقوت ٥/٦

- (٩) - قال ابو العينا * انشدني الجاحظ لنفسه في ابراهيم بن رباح .
 وعهدى به والله يصلح امره رحيب مجال الراى متبلج الصدر
 فلا جعل الله الولاية سبة عليه ثاني بالولاية ذو خبـــــر
 نقد جهده بالسؤال وقد ابي به المجد الا ان يلج ويستشري
 ياقوت ٦٦ / ٦

- (١٠) - قال الجاحظ في ابي الفرج يساله اطلاق رزقه من قصيدة طويلة
 اقام بدار الخفض راض بخفضه وذو الحزم يسرى حين لا احد يسرى
 يظن الرضى شيئا يسيرا مهونا ودون الرضى كاس امر من الصبر
 سواه على الايام صاحب حنكة واخر كاب لا يريش ولا يسرى
 ياقوت ٧٩ / ٦

- (١١) - قال ابو العينا * انشدني الجاحظ لنفسه .

يطيب العيش ان تلقى حليما غذاه العلم والراى المصيب
 ليكشف عنك صلة كل ربيب وفضل العلم يعرفه الاربيب
 سقام الحرص ليس له شفاء وداء البخل ليس له طبيب
 ياقوت ٦٥ / ٦

- (١٢) - وقال ابن خلكان في وفياته انشد الجاحظ معتبرا .

لقد قدمت قبلي رجال نطالما مشيت على رسلي فكنت المقدمة
 ولكن هذا الدهر ثاني صروفه فتبرم منفوضا وتنفض مبسرا
 ابن خلكان ٥٥٥ / ٨

- (١٣) - روى له ابن خلكان ايضا قوله في الاصحاب .

وكان لنا اصدقا* خذوا تفانوا جميعا وما خلدوا
 تساقوا جميعا كرواس المنون فمات الصديق ومات العدو
 ابن خلكان ٥٥٥ / ٨

- (١٤) - روى ياقوت قوله في مرضه .

مريض من مكانين من الافلاس والدين
 ياقوت ٦٢ / ٦

٤
(١٥) - يروى له المبرد في كامله قوله .

فاذا بلغت ارضكم فتحدثوا ومن الحديث متالف وغلوط
فاتنوا علينا لا ابا لابيكم بافعالنا ان التنا هو الخلد
الكامل للمبرد ٢١٣/١

(١٦) - يروى له ايضا قوله .

اما رايت بني بحر وقد حفلوا كانوا خبز يقال وكتاب ...
هذا طول وهذا حنبل جحد يمشون خلف عمير صاحب الباب
الكامل للمبرد ٢١١/٨

(١٧) - نقل له السندوني في مقدمة البيان والتبيين قوله .

بخدى من قطر الدموع ندوب والقلب من مذ نابت وجيب
ولي نفس حتى الدجى يصدح ورجع حنين للفؤاد مديب
ولي شاهد من غرنقي وسقميا وخبر عني انني لكثيب
كاني لم افجع بفرقة صاحب ولا غاب عن عيني سوك حبيب
مقدمة البيان ١٩/٢

(١٨) - يروى السندوني ان ابا العينا* قال الجاحظ .

زرت فتاة من بني هلال فاستعجلت الي بالسؤال
مالي ارك قاني السبال كانما كوعت في جريال
ما يبتغي منك من امالي تنحى قداي ومن حيالي
مقدمة البيان ١٥/١

(١٩) - ونقل السندوني ايضا قوله في الجمار .

نسب الجمار مقصر اليه منتهاه
تنتهي الاحساب بلناس ولا يعدو قفاه .
يتحاج من ابو الجمار فيه كاتباه
ليس يدري من ابو الجمار الا من يراه
مقدمة البيان والتبيين ١٥/٨

اذا قارنا هذه بما ورد في نمره ثلاث نلاحظنا ان السندوني قد اضاف البيتين الاخيرين على
رواية ياقوت . اما من اين اتى بهما فالله اعلم .